

اهداءات ٢٠٠٢

أ/حسين كامل السيد بك فاضل
الاستاذية

الانتصارات المذهلة لعلم النفس الحديث

(٢)

استكشاف أغوار الذهن

النجوم المغناطيسية

تأليف

بيهر داکو

ترجمة

عبد الحكيم أركان بيثون

دار العربية
بغداد

مكتبة التراث الإسلامي
القاهرة



مكتبة التراث الاسلامي

٨ شارع الجمهورية - عابدين ت : ٣٩١١٣٩٧ - ٣٩٢٥٦٧٧ - فاكس : ٣٩١٣٤٠٦

مدخل

● ميسمير والتنويم المغناطيسي

حصلت لثلاث فتيات اختلاجات شديدة فقد سقطن على قفاهن بسبب الضحك التشنجي والحازقات القوية ومن هنا بدأت الازمة العصبية .

وكان ينظر اليهن رجل يرتدي ملابس حريرية . هذا الرجل هو السيد الكبير لهذا المكان الغامض . كان الظلام يلف المكان بصورة شبه كاملة والنوافذ كانت مغطاة بستائر سميكة لتمنع دخول اشعة الشمس . وميسمير الذي يُعد أبو «المغناطيسية الحيوانية» ورائد التنويم المغناطيسي كان يمسك بيده عصا معدنية وهو يتأمل . لقد كانت الفتيات الثلاث في أزمة شديدة .

وفي وسط الغرفة «المعجزة» كان يتبؤها دلوأ خشبياً في داخله ماء وزجاج مسحوق ویرادة وتخرج من الدلو عن طريق الغطاء المثقب أذرع من الحديد النظري .

لقد ولج المرضى الى هذا المعبد في احتفال مهيب حيث كانت تسمع اصواتاً موسيقية وكان الصمت كاملاً بالنسبة

للمرضى . كل واحد منهم كان يضغط على احد الاذرع الحديدية
في الموضع المريض .

بعدها ظهر ميسمير بلباسه الفاخر ومرببطه أمام المرضى مركزاً
نظرة على عيونهم ، ومن ثم مرر عصاه على اجسادهم . . . وفي
تلك اللحظة سقطت الفتيات الثلاث على الارض . . .
وها هو ملخص عن حياة ميسمير المنوم المغناطيسي
الشافي . . .

في عام ١٧٣٤ ولد مسمير في مدينة رودولفزيل التي تقع على
بحيرة كونستانس . وماذا عن أبيه؟ لقد كان يعمل حارساً في الغابة
وتنفيذاً لرغبة والدته يدخل الى الدير وهو في العاشرة من عمره
ليتعلم كيف يصبح كاهن المستقبل . ويستمر في دراسة اللاهوت
حتى دخوله الى الجامعة . كما درس ايضاً علم الفلك والفيزياء
والرياضيات . وكان يقرأ بارسيلز هذا الرجل الذي كان يعتقد بتأثير
الكواكب . . . ويقوم مسمير في هذه الاثناء بنصف دورة اذ تتغير
توجهات حياته فيترك الكنيسة ويتجه نحو الطب . فيصبح بذلك
كاهناً للجسد . .

وهكذا يدخل مسمير مرفوع الرأس الى عالم الطب العلمي
لذلك العصر الذي كان يقر ان كل شيء يمكن اثباته مادياً . بينما
كان يؤمن ميسمير بقوى مجهولة وغامضة . وألم يعتبر من قبله
غليوم ماكسويل ان الامراض كافة ما هي الا طرح للسائل الحيوي

لاعضائنا؟

ألم يكن يؤمن ان استعادة التوازن يتم عن طريق استرداد «البقوة المغناطيسية»؟ وسيتبع ميسمير ايضاً الطريق ذاته .

في عام ١٧٦٥ كان ميسمير في الحادية والثلاثين من عمره وكان موزارت في التاسعة من عمره . انه موزارت الذي سيقوم ميسمير برعايته في حوالي عام ١٧٦٨ ويقدم ميسمير اطروحته الطبية الموسومة «تأثير الكواكب على الجسد الانساني»

كان هذا الاختبار بمثابة تحد للطب العلمي الذي درسه . ولكنه استطاع ان ينجح ! ولم يصرخ الكهنة البوذيون في ذلك العصر قط بأنه دجل . الا يعني ذلك ان ميسمير كان طالباً ممتازاً ! وهكذا اصبح هذا الطب شرعياً وتم الاقرار بالرجل صاحب الدلو . انه يكسب قليلاً من المال . . . وهو فقير . تصوروا لقد كان يمضي وقته في معالجة البؤساء دون مقابل ودون شهرة . . . غير ان حياته تنقلب مجدداً . ففي عام ١٧٦٨ يتزوج ميسمير من ارملة ثرية . وهو الذي لم يكن يبحث لاعن الشرف ولا عن النجاه سيجدهما فجأة في طريقه .

لقد كان ميسمير يعتقد : ان هناك سائلاً كونياً تسبح فيه الاجساد كافة . . . وكان يرى ان الارادة البشرية لها القدرة على استخدام هذا السائل وجعله يخرج من نقطة ومن ثم يتراكم على

واحدة اخرى . . نحن الان اذاً في عام ١٧٦٨ . ان لدى السيدة ميسمير فتاة تصاحبها وتدعى الانسة فرانتزل جيشرتزن وسيكون لصحتها السيئة الاثر الكبير على مستقبل ميسمير . مم كانت تشكو الانسة جيشرتزن؟ من كل شيء . شلل مؤقت واضطرابات معوية وتقيؤات تشنجية وكآبة وارتعاش الاعصاب والاغماء والعمى العابر وباختصار الهستيريا* .

وقد نجحت معالجة ميسمير في شفاء هذه المرأة .
ها هي الطبول تقرر لتعلن النجاح الكبير لميسمير الذي كان يؤمن بعمله ويملك الشجاعة ايضاً لمجابهة متبعجي العلم في عصره . لقد لمع اسمه وبدأت شهرته بالانتاع .
غير ان ميسمير الذي كان يمتلك ذهنية عملية اكتشف ان الامر سيطول اذا ما قام بمعالجة كل مريض على انفراد . . . فاخترع طريقة الدلو الجماعي ! وهكذا اصبح بوسع المرضى الولوج الى المعبد على شكل جماعات . . . وقد امسكت شخصيات معروفة باذرع الحديد الخارجة من الدلو . فالكاتب لاهارب كان موجوداً هو الآخر والذي كان يتراسل مع الدوق الكبير بول في روسيا ! كل شيء كان جيداً على ما يبدو والمغناطيسية الحيوانية ينتظرها مستقبل باهر . . .

* سيتم التطرق اليها لاحقاً .

غير ان قوتين كانتا تراقبان الحالة : الطب والموضة .
* الموضة : تخيلوا نساء العصر يفضحون اسرار المغناطيسية !
ألم يفعلوا الشيء ذاته عندما أباحوا بعقدهم في عصر هيمنة
فرويد؟

* الطب : ان اساتذة الطب انفسهم الذين قبلوا الاطروحة
الشجاعة لمسمير كانوا ينتظرون الفرصة للنيل منها . وقد جاءتهم
على هيئة فتاة بصيرة (تيريزا فون بارادي) عازقة بيانو تحت حماية
الامبراطورة . لم يفلح أحد في شفائها حتى أفضل اطباء العيون
في فينا .

ويسبب فقدان الأمل تقرر عرضها على مسمير . . . الذي
تمكن ان يعيد النظر اليها بمعالجة متقدمة . هل انها قصة عجيبة؟
ربما لكنها حقيقية . لقد كان يدعى بالعمى الهستيري . . . والان
استمعوا . . . لقد عاد النظر اليها غير ان الفتاة لم تعد تعزف جيداً
على البيانو . وهذا يعني انها قد تفقد الدخل الذي كانت تحصل
عليه كعازقة بيانو . لقد أقرروا بانها استعادت بصرها ولكنهم أنكروا
قدرتها على النظر لانها لم تكن تعرف بماذا تسمى الاشياء ! (بينما
كانت هذه الفتاة بصيرة وهي في الثالثة من عمرها) .

واخذ الاطباء يلعنون مسمير ويذيعون هذا الخبر ويروي مسمير
بنفسه ان والد الفتاة دخل الى منزله كأنه مجنون يحمل السيف في

يده! غير أن البصر فارق الفتاة مجدداً (وهو ما يؤكد حالة العمى الهستيرى) وطرده مسمير من الجامعة ولجأ الى فرنسا.
وكما يحدث دائماً فإن اللجنة المكلفة بدراسة المسميرية لم تهتم قط بمعرفة فيما اذا كان ميسمير قد أشفى أم لا بل ان همها الوحيد هو اكتشاف دقة نظرياته! أية نظرية؟ ما هي «المغناطيسية الحيوانية»؟ يستحيل البرهنة على ذلك وان حالات الشفاء التي قام بها ميسمير وضعت في خانة... الخيال. وقد نجحنا(كما يقول المشعوذون).

● التنويم المغناطيسي والايحاء

في عام (١٨١٤) اصبح مسمير في الظل... غير ان طريقته ما تزال باقية. وهناك شخص معروف جداً يدعى السيد دويو سيغور وهو ضابط في الجيش ويبحث يعمل في مجال التنويم المغناطيسي في منزله في منطقة سواسون. غير ان هذا الاسلوب من التنويم المغناطيسي تجاوز الطابع الاحتفالي حيث تستخدم الموسيقى وتسدل الستائر ويقوم هذا الشخص الخارق باللاجوء الى العلم وذات يوم (القصة معروفة) لم يسقط احد الرعاية الشباب (المنوم مغناطيسياً) في حالة من التشنجات وبدلاً من ذلك استغرق في نوم عميق ليس بسبب التعب او اللامبالاة ولكن نتيجة لنعاس غريب وأحدثت ضوضاء وحركات وصراخ دون

جدوى فالراعي الشاب لا يستطيع النهوض ولكن فجأة ينهض الشاب ويمشي ويتحدث وهو يخضع كلياً للسيد دبوسيغور الذي لم يكن بعيداً عن اعتبار نفسه ذواردة كونية لقد اكتشف التنويم المغناطيسي وكذلك الأحياء المnom . وبعد ميسمير ودوبوسيغور اكتشف دولوز الأحياء ما بعد التنومي . ويشير الى ان الشخص عندما يكون يقظاً فانه يرد على الاوامر المعطاة له عندما كان نائماً . (مثال لحالة بسيطة وشائعة - نقوم بتنويم شخص ما مغناطيسياً ونوحي له ان الماء الذي سيرشفه سيكون مليئاً بالفلفل بعدها نوقظه من النوم ، سيصق الشخص حيثئذ باشمئزاز ولن يكون بمقدور أي انسان في العالم ان يبعد عن ذهنه هذه الفكرة وبغية انتزاعها منه يتوجب تنويمه مجدداً) .
وتابع الكثير من البحاثة اعمالهم حتى وصل التنويم المغناطيسي الى مرحلة الصعود .

غير ان الميسميريين كانوا يتحدثون كثيراً . . . ورغم النجاحات الكبيرة العملية بتأثير التنويم المغناطيسي (ونحن في القرن التاسع عشر!) فان الميسميرية تدهورت اكثر مما تطورت . وقد اندلعت الموجه الاخيرة في انكلترا حيث تحول الدكتور اليوتسن الى الميسميرية الامر الذي أدى الى تقديم استقالته القسرية في عام ١٨٣٨ . . .

واليوم وفي عام ١٩٥٥ تقرر انكلترا بفعالية التنويم المغناطيسي

وتطلب على لسان الجمعية الطبية البريطانية ان يستخدم التنويم المغناطيسي في المستشفيات ويدرس بنفس القدر والاهمية التي تدرس فيه الفروع الاخرى. وحدث ذلك بعد أن أقر الشيء ذاته في الاتحاد السوفيتي وكثير من البلاد التي تتحدث بالانجليزية. وفي عام ١٨٣٨ اجريت عمليات بترهية دون ألم باستخدام التنويم المغناطيسي ، اذاً فعصرنا الحاضر يقوم باعادة دراسة مشكلة علاجية مثيرة للاهتمام . . . وصلنا الى الدكتور ايسديل وهو طبيب انجليزي يعمل في الهند.

فهو يستخدم التنويم المغناطيسي وينجح في اكثر من ثلاثمائة عملية كبيرة باستخدام التنويم وبدون اية اوجاع! وكيف استقبل هذا الانجاز المدهش؟ قول بالاحتقار. . . فقد اغلقت مستشفى.

● التنويم المغناطيسي - بوابة اللاواعي

لقد وصفته المجالات الشعبية وصفاً جيداً . . . ماذا تريدون، المدهش! . . . مريض مستلقٍ اذا كان ذلك ممكن . . . وبيئة هادئة . . . وصوت منخفض. رتيب ومخادع ومتعب وهو صوت المنوم. حيث يقول «سوف تنام . . . ان لك رغبة جامحة بالنوم . . . انظر الي . . . انظر في عيني . . .» وفي الوقت ذاته يركز

الشخص موضوع البحث على جسم لامع موضوع فوق عينيه على بعد عشرين سنتمراً تقريباً أمامه . والصوت المنخفض يردد دائماً : «سوف تنام . . لك رغبة جامحة في النوم . . .» ويقوم المريض بخفض اجفانه الثقيلة او تنظيف دماغه الذي غدا فارغاً وخائراً . . . أو تصغر مقلتيه في الوقت الذي يصبح فيه التنفس عميقاً وبطيئاً ومتناغماً . . والصوت الذي يساعد غالباً ما يكون صوتاً دافئاً سهل التغلغل يعمل في صالح منفذ العملية . . . ومن ثم يبدأ الايحاء المنوم : «وبتداء من هذه اللحظة لن تزعجك الحكمة . . . ومنذ الان ستشفى كافة الدماامل . . . وستختفي الاكزيما . . هل تسمعني؟ ستشفى اكزيמתك . . . سيغدو جلدك جميلاً وممتازاً وصقيلاً وخالياً من الدماامل . . .» وغالباً ما تشفى الاكزيما وتختفي الدماامل . . . وهناك التنويم المغناطيسي الذي يسبق العملية . وهنا نشير الى حالة امرأة انكليزية اجريت لها عملية باستخدام التنويم في عام ١٩٥٦ حيث كان لهذا الخبر وقعاً كبيراً آنذاك . فقد قام الطبيب برسم مربع وهمي على بطن المريضة طول ضلعه عشرين سنتمراً . ونائت المريضة مغناطيسياً ، وأوحى لها الطبيب «سوف أخدر بطنك . . . والتخدير سيحدث في داخل الحدود الي رسمتها . . وفي داخل هذا المربع لن تشعري بشيء . . . ولن تشعري بأي ألم . . .»

وبدأت العملية وتمت دون الشعور بأي ألم .
وقد يتسبب التنويم المغناطيسي في ظهور انتفاخات على
الجلد اذا افترضنا ان هذه المنطقة كانت محروقة . وعن طريق
الايحاء التنويمي بوسعنا ان نرفع او نخفض عدد ضربات القلب
عندما نوصي الشخص ان يتعرض لحادثة مثلاً . وهنا ايضاً تحصل
تغيراتقلبية ناجمة عن تحفيز العاطفة . وتأثير التنويم
المغناطيسي كبير على الجهاز التنفسي وشديد على الجهاز
الهضمي . ويؤثر النوم المغناطيسي على حركات وافرازات المعدة
والامعاء كما يؤثر على الجهاز البولي (زيادة أو نقصان في كمية
البول) وهناك تأثير على الوظائف الجنسية ايضاً ويدوانه بالامكان
تأخير او تقديم مواعيد العادة الشهرية . أما تأثير النوم المغناطيسي
على الاعصاب المحركة للعروق فكبير جداً وبخاصة على الجلد
عند ظهور ندب دموية وانتفاخات . . . (فالجلد يرتبط بعلاقة
حميمة مع الجهاز السمبثاوي) .

ماذا يبرهن ذلك؟ ان مظاهر التنويم المغناطيسي توضح
العلاقة الوثيقة القائمة بين «الروح» و«الجسد» . وسأعود الى هذا
الموضوع عند دراسة الهستيريا والطب النفسي - البدني .
وسيكون بوسعنا معرفة امكانات النوم المغناطيسي . ونفهم لماذا
نحاول ان نجعل منه ترياقاً عالمياً!

● كيف يتجسد النوم المغناطيسي

النوم المغناطيسي هورقاد ناقص ينجم عن الايحاء المغناطيسي (بينما الخدر هورقاد ينجم عن تقنيات كيميائية) والرقاد المتعلق بالتنويم المغناطيسي هو ليس رقاداً كاملاً حيث يسترخي الشعور لكنه لا يشرد ويحتفظ الشخص بقدرته على التركيز والانتباه اما مداركه الحسية فتبقى قائمة ولا تفقد العضلات حيويتها قط الامر الذي يتيح للشخص النائم مغناطيسياً المشي والنهوض والقيام ببعض التصرفات التي قد تكون متعبة جداً للشخص العادي. لنفترض جداً اننا نقول الى أحد الاشخاص المنومين مغناطيسياً بأنه يتعذر عليه تحريك ذراعه اليمنى وحتى لو اراد سنرى:

- انه سيقلص العضلات القابضة كي يطوي الذراع

- وانه يقلص العضلات الباسطة لمنعها من الالتواء.

وخلال النوم المغناطيسي نعرف ان الشخص موضوع البحث يبدي الكثير من الانصياع - الى حد معين! - نحو الشخص المنوم.

انه يجيب على الاسئلة ويمثل لبعض الاوامر. وحيث ان الاوامر يجب ان تنفذ بعد الرقاد المغناطيسي فهي غالباً ما تكون كذلك، غير اننا لم نكتشف قط إن إتمام فعل من هذا القيل قد يكون في تناقض صميمي مع المشاعر الأخلاقية للشخص.

* هل بالامكان تنويم الشخص رغماً عنه؟ في عصر شاركو كان يُعتقد بإمكانية تحقيق ذلك غير ان العصر الحديث يرفض ذلك وعلى الرغم من صعوبة التبصيم فالشخص المصاب بالهستيريا قابل للتنويم المغناطيسي بسهولة فائقة... وهذا لا يعني ابداً ان كل شخص قابل للتنويم هو مصاب بالهستيريا! ويدعي باينسكي قائلاً:

- ان الشخص المعني لا يفقد ذاكرته خلال ما كان يجري اثناء النوم المغناطيسي.

- وان الرقاد السباتي ليس لا شعورياً.

- وان الشخص لا يفقد مطلقاً سيطرته الارادية ونتيجة لذلك لن يرد بدون تبصر على كافة الاوامر التي يوجهها له المنوم.

ويضيف باينسكي: «في الحالات الجدية يصبح المنومون مغناطيسياً مجدداً سادة أفعالهم كما لو أنهم كانوا في حالة يقظة». وهذا الانعكاس الاخير يجعلنا نفكر بالحكاية المسلية التي حدثنا عنها جانيه عندما قدم المنوم مريضة منومة مغناطيسياً الى تلامذته في كلية الطب وطلب اليهم تقديم بعض المقترحات. أحد هؤلاء الطلبة اقترح ان تخلع ملابسها. وبعد هذه الكلمات استيقظت المنومة مغناطيسياً فجأة وخرجت غاضبة... وهو أمر مطمئن جداً في نهاية المطاف. وينطبق الشيء ذاته على امكانية اقناع شخص بارتكاب جريمة قتل وهو تحت تأثير التنويم

المغناطيسي .

ولكن اذا كان للشخص ذاته استعداد داخلي نحو ارتكاب الجرم؟ التجربة بمفردها حسب تستطيع الاجابة على هذا التساؤل .

كيف يجب النظر الى النوم المغناطيسي؟

ننظر اليه بيروود كما هو الحال في العلاجات النفسية الاخرى على الرغم من مظهرها «المدهش» للوهلة الاولى . ولسوء الحظ لا يزال الايمان بالتنويم المغناطيسي على النطاق الجماهيري كما كان عليه الحال عام ١٨٧٠ . فالنوم المغناطيسي يُعد وكأنه دجال يمتلك قدرات ويمسك بين يديه المصير الكامل لمريضه! والحقيقة هي أقل اعجازاً مما نتصور فهي تستند بشكل كامل الى النشاط العصبي كما سنراه لاحقاً .

وقد يكون النوم المغناطيسي عاملاً مخدراً . واذا ما نجحت بعض العمليات الكبيرة تحت تأثير النوم المغناطيسي فعلينا الا ننسى قط بانها كانت موجودة منذ القرن التاسع عشر ولنحيي اولئك الرواد!

فالقدره الكبيره للتنويم المغناطيسي تتمثل اذن في امكانية التعويض عن التخدير الكيماوي . غير اننا نستطيع ان نستنتج ان ١٠٪ من الاشخاص فقط يمكن ان يخضعوا لتأثير التنويم

المغناطيسي وهو أمر يضعف امكانياته العملية .
والقدرة الاساسية الأخرى تتمثل في الايحاء التنويم الذي
قد يساعد على تفادي الالام التي تلي العملية الجراحية .
ما هي قدرة المنوم المغناطيسي من وجهة النظر السيكلولوجية؟
● في الامراض العقلية، يبدو انه لم يتم الحصول على أية
نتائج ايجابية . فالكثير من المتخلفين عقلياً يقاومون المنوم
المغناطيسي لان الاخير يولد فيهم رد فعل هذيانى .
● وفي علم النفس : يمكن الحصول على «نجاحات كاذبة»
مذهلة .

وكان يبدو أمراً منطقياً جداً ان نتمكن عن طريق التنويم
المغناطيسي التخلص من الافكار الجاهزة والرهاب والتأناة
والاستحواذ .

وغالباً ما نكتشف ان بعض الاضطرابات تختفي بسرعة . كما
تختفي الاعراض غير ان النتائج لا تتميز بالديمومة . لماذا؟ لان
الاتجاه الصمىمى يبقى قائماً .

ولكن الاعراض تتولد من هذا الاتجاه الصمىمى . واذا ما
اختفت احدى الاعراض فان هناك احتمال كبير ان يحل محله
آخر . واذا اختفى الثانى ظهر الثالث . . . وهذا يعنى ان الاتجاه
المرضى لا يمكن التخلص منه عن طريق التنويم المغناطيسى .
وهذا ما سيولد توالى الاعراض المتأتية من السبب ذاته الذي

يعيش دائماً في الصميم . (والهستيريا هي إحدى الامثلة الساطعة) . لاننا اذا أردنا ان نقتل الثعبان لا يمكننا تحقيق ذلك بقطع ذنبه حسب .

العُصاب

يفسر العُصاب عادة بكونه آلية الأمن الداخلي . والمصاب بالعُصاب هو شخص لجأ الى العُصاب ليجد فيه أمنه الذهني .

وبما انه يجد فيه الأمن ، يصبح أمراً بديهياً ان العُصاب ذاته (شعورياً أو لا شعورياً) ضروري . وبصفة عامة لا يشتكي الشخص من اصابته بالعُصاب . انه يشتكي من الشيء الذي يسبب له المعاناة . والحقيقة لا يسبب العُصاب ذاته المعاناة لانه سيصبح أمراً لا شعورياً . غير ان العُصاب يولد اعراضاً وهذه الاعراض مؤلمة وهي ما يتمنى الشخص التخلص منه .

● لنأخذ هذا المثال البسيط : الاستكمالي

لنفترض ان الاستكمالي يعاني من الوحدة والاهمال ومن انفعاليته وخجله . ويقرر اذاً الشفاء من هذه الانفعالية ومن هذه الوحدة وهذا الخجل وهي كلها مجرد اعراض مرضية . لكن هل

سيرغب الشفاء من عصابه الصميمي الا وهو الاستكمالية؟
كلا... لان هذه الاستكمالية تمثل الطمأنينة بالنسبة اليه!
ونلاحظ اذاً في حالة مثل هذا القبيل ان التنويم المغناطيسي
عديم الفائدة. اذ ستدخل ارادة المنوم في صراع مع الارادة
الصميمة للشخص المنوم مغناطيسياً ولن يتم الحصول على أية
نتيجة.

والحل الوحيد في مثل هذه الحالة يكمن في اللجوء الى
العلاج النفسي المعمق. ولكن لنعيد للنوم المغناطيسي قيمته
الحقيقية التي هي على أية حال كبيرة!

● شاركو ومستشفى دولا ساليترير -

دخلت دراسة التنويم المغناطيسي المرحلة التي يمكن
تسميتها «بالرسمية» مع قدوم البروفيسور- شاركو (١٨٢٥-١٩١٣)
طبيب الامراض العصبية في مستشفى دولا ساليترير... هل
اصبحت الدراسة افضل واكثر علمية؟ شاركو الذي كان منهمكاً
بامراض الجهاز العصبي اكتشف الاهمية الكبيرة للتنويم
المغناطيسي الذي كان يُجزل ويرفض بالشغف ذاته. غير ان
شاركو كان طبيباً للامراض العصبية وليس طبيباً نفسياً. وفي ميدان
الامراض العصبية كان يهتم بفلسفة المنوم مغناطيسياً وبحركاته
ورود افعاله. كل ذلك جعله يقترب من المظاهر السيكولوجية وهو

خطر التخصص . . . ! وتجدر الإشارة الى ان شاركو لم يقم بتنويم
أحد قط ، وبوسعنا ان نتصوره يدخل الى صالة . . يقوم فيها
التلاميذ بعرض أحد الاشخاص المنومين مغناطيسياً عليه .
وعلى الرغم من كل ذلك فقد كان شاركو على حق . . .
وبإكتشافه ان المظاهر السيكولوجية كانت ترتبط بدراسة حساسة
فقد كان يرغب قبل كل شيء في معرفة الصفات الطبيعية لهذه
الحالة الشاذة بغية التعرف عليها عن طريق علامات لا تُعزى ابداً
الى التصنع . لنكرر اذاً ان شاركو انهمك قبل كل شيء في دراسة
الحركات وردود فعل الاشخاص الواقعين تحت تأثير التنويم
المغناطيسي .

وهكذا ابتداءً شاركو الكبير بدراسة فسلجية للتنويم
المغناطيسي . وهذا ما جرى : فمدرسة مُستشفى دولا سالتيرير
كانت «تتزوّد» بالنساء المصابات بالهستيريا (يسهل تنويمهن
مغناطيسياً) ويخضعون للملاحظة . وكان شاركو يتحول من
الخاص الى العام بكثير من السهولة وأعلن ان المرضى من هذا
النوع فقط كانوا مستعدين للنوم مغناطيسياً ! وبالنسبة اليه تعد
حالات النوم المغناطيسي مظاهر شاذة

برنهايم أو إعلان الحرب

برنهايم الذي يمثل مدرسة نانسي لم يكن متفقاً قط ولم يتردد

في ذكر ذلك .

هل ان المرضى بمفردهم مستعدين للتنويم المغناطيسي ؟
يجيب برنهايم ، كلا أبداً ! فالتنويم المغناطيسي يعد ظاهرة طبيعية
جداً والغالبية العظمى من الاشخاص يمكن تنويمهم مغناطيسياً .
وهاكم ما قاله : « ان ما ندعوه بالتنويم المغناطيسي ما هو الا اشغال
حيز طبيعي من الدماغ بنشاط معين وهو : الايحائية ، أي
الاستعداد للخضوع الى تأثير معين دون مناقشة الفكرة . ليس
هناك تنويماً مغناطيسياً وما أريد قوله هو انه ليس هناك سوى
اشخاصاً لديهم استعداد بدرجة ما لتقبل الايحاء ونستطيع ان
نوحى لهم بافكار وانفعالات وافعال وهلوسات . . . »
ماذا يمكننا ان نستنتج ؟ . . . ان إمكانية تقبل التنويم
المغناطيسي مشروطة بالحالة العضوية في تلك اللحظة ، وان
مظاهر النوم المغناطيسي تعود الى السبب ذاته : الايحائية وهي ما
سنراه لاحقاً .

● بابنسكي ، الرجل الذي يستنتج

أكد جوزيف بابنسكي (١٨٥٧-١٩٣٢) آراء برنهايم . ويُعد
التنويم المغناطيسي حسب رأي بابنسكي مجرد ايحاء معززة بحالة
من عدم القدرة على السيطرة . ويرى التنويم المغناطيسي على
انه « حالة نفسية تجعل الشخص الموجود فيها قادراً على تقبل

الايحاءات الخارجية». وبالتحول نحو الهستيريا فانه لا يعتبرها مرضاً عضوياً بل حالة نفسية تجعل الشخص موضوع البحث قادر على الايحاء لنفسه والخضوع لايحاءات الغير.

● الايحاء الانفعالي

محكمة الجنايات منعقدة ورأس أحد الاشخاص سيكون موضوع المحاكمة. محامي الدفاع يشد عن ساعديه ويبدأ مرافحته وتستمع هيئة المحلفين اليه وهي متعبة من الحجج المقدمة. الم تتم مخاطبة عقولهم وفضيلتهم واستقامتهم الانسانية؟ ويتحدث المحامي محاولاً اقناع هؤلاء القضاة... وفجأة يعود المترافع للتذكير بطفولة المتهم. أب سكيروأم سكيرو، منازعات وبؤس وعراك مستمر... ويصرخ المحامي قائلاً: «فكروا ملياً بهذه الطفولة الشنيعة ايها السادة المحلفين وأحكموا بالبراءة!...» أحد المحلفين يصفر وجهه فهذه الوصية اصابته كالسهم ليس في عقله ولكن في قلب عاطفته، لان هذا المحلف تذكر ايضاً ان والده كان يتعاطى الكحول وان والدته كانت متوفية كما تذكر بؤسه وطفولته التعيسة. لقد توغل حديث المحامي داخل اعماقه، استطاع هذا المحامي ان يكسب أمام هذا المحلف، فقد خسر العقل والاقناع أمام العاطفة. والاندفاع المتولد عنها بقي سيد الموقف. فمن هذا المحلف قد تصدر

البراءة أو تخفيفاً في الحكم . . .

. ومتى كان المنطق والعقل في حيرة من أمرهما ينتصر الايحاء الانفعالي في المعركة . ويعرف قادة الجماهير جيداً ماذا تعني قوة الايحاء ! وكانت تعرفها ايضاً السينمائية ليني ريفنثال من الرايخ الالمانى الثالث التي أخرجت فلم دخول هتلر الى الاعياد الكبيرة للحزب ! اكثر من مائة الف رجل متظمين جيداً في صفوف والاف الرايات واجراس نورمبورغ تفرع وحلبة من الحجر والرخام وباحة طويلة أمام الغابة . . . وداخل هذه الساحة النباتية ، يتقدم هتلر بمفرده بدون حرس في الوقت الذي تصدع فيه الاناشيد وتستعرض المدافع من بعيد . . . أهو مشهد مسرحي ؟ بالتأكيد . ولكنه ايحائي قبل كل شيء ومرتبطة بعاطفة كبيرة ، لانه في هذه اللحظة كان بإمكان أمر ايحائي واحد ان يحول هذا المد الانساني الى سيل . . .

وهذه العروض العسكرية المنسقة التي تشبه عرضاً في الباليه والموسيقى التي تصدح وهذه الطبول التي تفرح والتي تجعل الناس المعادين للعسكرية يقولون ان ذلك يؤثر في انه ايضاً الايحاء الانفعالي .

● ما هو الايحاء؟

يجب عدم الخلط بين الاقتناع والايحاء . فاذا ما أردت اقناعك

فانني أتوجه الى عقلك ، فاحاول أن أحصل على موافقتك
الارادية والواعية . وتكون مقتنعاً اذا اعترفت فاني كنت على حق
وستمح مصادقتك لبراهيني .

أما اذا اردت أن أوحى لك فاني ساستخدم طريقة مغايرة
تماماً ، فعلي التوجه الى ايحائيتك . . . وهذا ما يبدو وكأنه امر
بديهي . ولهذا علي أن اتجاوز وعيك وعقلك والامر مراكزك
العصبية اللاواعية ، الامر الذي يتطلب وجود ظروف خاصة لان
العقل والارادة يجب ان يختفيا أو ينخفض حجمهما . ونصبح اذاً
موحي لهم متى ما فقدت الارادة القدرة على المقاومة .

● ما المقصود بالايحائية أو الاستعداد الايحائي ؟

انه الاستعداد الذهني الذي يتيح احترام الاوامر بسهولة تامة
ودون مناقشة الاوامر .

ويمكن ان يتوضح هذا الاستعداد في حالات متعددة :

- الايحائية قد تأتي من السذاجة أو من سرعة التصديق .

انهم الاشخاص المستعدين لتقبل كل شيء . غير انها ليست

الايحائية بمعناها الصحيح .

- الايحائية تتجسد في بعض حالات الاختلال العابرة : التعب

الشديد مثلاً ، والنهك العصبي وكافة الاضطرابات الانفعالية التي
تؤدي الى فقدان السيطرة على الذات (نحن نعترف الهلع

الجماعي) والانفعالية الشديدة (كالمحلف الذي اقتنع في البداية واصبح موحى له في النهاية). والدرجة الاعلى والايحائية تظهر في الهستيريا (وستدرس لاحقاً). وباختصار:

الاقناع: يحدث على اثر مناقشة واعية. والطرف الآخر يقتنع طواعيه.

الايحاء: حالة يقبل بها الطرف الآخر دون مناقشة أو تسبيب. والفعل يعد حقيقة فور حصوله، والايحاء يتوجه الى اللاوعي (كما هو الحال في الايحاء التنويمى).

* مثال عن الايحاء: أحد اصدقائك يجلس على كرسي طبيب الاسنان ويخضع الى علاج قاس. وقد يكون أمراً وارداً ان تشعر أنت فجأة بألم سواء في أحد أسنانك أو غيره. وفي هذه اللحظة تعاني دون ان تشك من أي مرض عضوي. وسيقال لك ان ذلك من وحي «الخيال» بينما انت تعاني فعلاً. فنشك فوراً ان الجهاز العصبي قد يكون وراء ذلك وسنلاحظ ذلك لاحقاً.

* من جانب آخر، فان الايحاء غالباً ما يتطابق مع فكرة موجودة في اعماق الفرد. انظروا الى هذا الانسان الخجول الذي يخرج من قاعة السينما التي يعرض فيها فيلم لدوجلاس فيربانكس! انظروا اليه جيداً: انه يريد ان يكون فيربانكس، انه حقاً فيربانكس وهو يشعر بخفة ومرح وينظر بجراًة!

هذا الرجل موحى له . . . فقد ايقظ فيه فيربانكس شعوراً لا واعياً: الشعور بالقوة التي يحتاجها في مواجهة ضعفه .
فالايحاء اذاً فكرة تدخل الى الدماغ ويقبلها، انها تهدف الى خلق نزوة غير واقعية ينجم عنها الفعل .

● شروط الايحاء

اذا كان الايحاء شيئاً خاصاً فان شروطه يجب ان تكون خاصة هي الاخرى . ولا يمكن للايحاء ان يتحقق الا في مثل هذه الشروط .

١- الايحاء المعتاد نسبياً:

اذكر بالخجول الذي غادر قاعة العرض انه يرغب بالحصول على القوة لانه يشعر بالضعف . هذه الرغبة تجد نفسها اذاً في اعماقه . هل الرغبة تجد نفسها اذاً في اعماقه . هل أوحى فيربانكس الى هذا الخجول؟ كلا . انه أوقد فيه الآلية حسب، وتولى الاعياء الذاتي للخجول ما تبقى . لقد تحولت الرغبة الى ايمان مؤقت يولد افعالاً (المشية والنظرة والصوت والايحاءات الخ)

- شرط رقم (١): الايحاء المعتاد يجب ان يتوافق مع شعور موجود مسبقاً في اللاوعي للشخص المعني والذي قد يولد النزوة .
- شرط رقم (٢): يجب الا يتم رفض الايحاء، والحالات الشائعة هي: التعب والانفعالات والخجل والرغبة والكآبة

والهلع . . . الخ

وهكذا تتقلص المقاومة الذهنية ويتصرف الموحى بسهولة .
مثلاً : اذا قلنا لشخص شديد الانفعال وفي ازمة تامة من الرهبة
« . . . رياه ، كم تبدو مضطرباً وشاحباً . . ! » لن يواجه مثل هذا
الايحاء اية مقاومة فضلاً عن ذلك فانه يلامس شعوراً موجوداً في
هذا الشخص . ويظهر الهلع عليه فوراً .

ماذا يفعل الموحى اذا؟ انه يحفز ويدفع الفكرة اللا شعورية .
ويتحول الشخص موضوع البحث الى الايحاء الذاتي ونرى اذاً
ان الايحاء صعب أو مستحيل اذا كان الشخص يمتلك كافة
وسائله لانه سيناقش ويسبب . . الخ وبذلك نتحول الى حالة
الاقناع . ان للايحاء المعتاد اذاً تأثيرات مؤقتة لانه يعتمد على
حالة عجز مؤقتة .

٢- الايحاء المرضي

هذه حالة أخذت من الملاحظات المتعددة لجانيه .
ايرين شابة في الحادية والعشرين من عمرها تتعرض الى
مرض شديد نتيجة لوفاة والدتها . كانت ترفض شرب ماء الحنفية
لأنها كانت تعتقد ان هذه الحنفية لا تخرج ماء بل دماً أحمر ، متى
بدأ هذا الايحاء الذاتي أو هذه الهلوسة ؟ عندما رأت ايرين يوماً ما
انسياب الماء قطرة قطرة . . « كما سال الدم من شفتي والدتها . . »

لقد تحول الایحاء الذاتی لابرین الی فكرة ثابتة متسلطة . والفكرة المتسلطة هی احدى اشكال الایحاء الذاتی فی اقصى حالاته . وبعد التنویم المغناطیسی الارضية المثالیة لزراعة الافکار المتسلطة فی دماغ شخص ما . وفیما یأتی تجربة عادیة للتنویم المغناطیسی : شخص نائم ، نوحی الیه وهو واقع تحت تأثیر التنویم المغناطیسی ان القدح الذی یمسکه بیدیه مملوء بماء شدید الملوحة . ومن ثم نوقفه . ویشرب هذا الماء (الصافی تماماً!) ولكنه یصفه فوراً مع علامات الاشمئزاز الشدید . ویقول ان الماء شدید الملوحة بصورة لا تصدق . ولن یشرب بالامکان اقناعه بعکس ذلك مهما قدمنا له من براهین واثباتات . وبغیة تغییر تلك الفكرة یجب ان یعاد مرة أخرى ویمارس علیه الایحاء فی الاتجاه المعاکس .

اصیب هذا الشخص اذاً عن طریق التنویم المغناطیسی بفكرة متسلطة وهی ان الماء مالح . وقد جاء الایحاء من المنوم واصبح قناعة مطلقة لدى الشخص النائم مغناطیسیاً ومن ثم تحول الی ایحاء ذاتی وفكرة متسلطة . وأکرر ان هناك فی كافة هذه الطرق آلیة عصبیة ستطرق الیها فی الوقت المناسب . والایحاء لیس معجزة ومتی ما فهمنا الطریقة العصبیة یختفی اللغز المٌحیر! . . .

● ما المقصود بالفكرة المتسلطة؟

یمکن اعتبارها فكرة تعيش بصورة «طفیلیة» داخل النفس

الانسانية، وتمتلك هذه الفكرة الطفيلية ما يكفيها من القوة والاستقرار للقضاء على الافكار الاخرى كافة. وليس هناك أي نقاش أو تسبيب يمكنهما طرد الفكرة المتسلطة التي تبدو وكأنها صخرة راسخة.

وهناك الاف الافكار المتسلطة بدءاً بالحالات الشاذة البسيطة وانتهاءً بالافكار المرضية المتطرفة. وقد تفرض حضورها لفترات تطول او تقصر، وفي حالات معينة قد تستمر مدى الحياة... وتسبب للمحيطين بالشخص تعاسة شديدة فهناك الاف الافكار المتسلطة اذاً التي قد تترسخ في الدماغ البشري، وهنا ايضاً لا تكون الحالة المرضية سوى مبالغة لما هو عادي من ناحية العمق والمدة.

الافكار المتسلطة التي يمكن اعتبارها عادية

... أحد العلماء يسير وفجأة توقفه مشكلة ما... هذه المشكلة تغزو كامل كيانه. من الذي سيندهش عندما يرى هذا العالم يتناول قلماً ويكتب بصورة لا واعية على سيارة واقفة؟ ومن سيتعجب «بشروده» الكامل؟ ان هذا العالم هو في هذه اللحظة فريسة لفكرة متسلطة: انها مشكلته! غير ان هذه الفكرة مؤقتة وتنتهي مع ايجاد الحل للصعوبة... حتى تأتيه سيارة وتقف بقوة على بعد عشرة ستمترات منه لتوقظه من نومه.

- فتان مأخوذ بعمله الذي هو في مرحلة المخاض لا يعرف ولا يرى سواء؟ هذه ايضاً فكرة متسلطة . ولو انها فنية ولطيفة لكنها تبقى على الرغم من ذلك فكرة متسلطة!
- هذا الرجل الذي تستحوذ عليه المشاكل البيئية، يرتكب الخطأ تلو الآخر في عمله وتتكدس اخطاؤه؟ انها فكرة متسلطة ايضاً ومؤقتة لكنها مزعجة ومرهقة .

الافكار المتسلطة التي تعد شاذة*

في عالمنا الحاضر المتعب الانفعالي هناك عشرات الالاف من بني البشر الذين يذهبون للنوم ليلاً وينهضون قبل الصباح للتأكد من أنهم قد قاموا بغلق صنبور الغاز . ويعودون ثانية للنوم . ويرز شك آخر: «هل اغلقت الصنبور فعلاً...؟» والعقل يجيب: «نعم، لقد اغلقته» . غير ان الوجدانية اللا شعورية تستمر بالشك . وهي «أقوى منهم» . فينهضون مرة اخرى ويتأكدون مجدداً ثم يعودون للنوم . هل بوسعنا الاعتقاد ان التأكد لمرة او لثلاث قد تقنع وجدانيتهم؟ كلا مطلقاً . انهم ينهضون مرة اخرى وهم متعبون بشكل متزايد لكنهم غير قادرين شيئاً فشيئاً على مقاومة الفكرة المتسلطة التي يقرعون بتفاهتها لكنهم لا يستطيعون

(*) سأتحدث عن ذلك في موضوع «العصاب والذهان» .

عمل أي شيء لوقفها! لقد ضربت هنا مثلاً عن فكرة متسلطة بسيطة غالباً ما تكون مرتبطة بقصور عابر أو تعود إلى الاجتهاد أو القلق النفسي ولكنها مع ذلك فكرة متسلطة وهي إحدى اعراض حالة مرضية . وأود هنا أن أقدم افكاراً متسلطة أخرى لكنها موجودة وباعداد كبيرة! يجب ان نفهم جيداً ان هناك الكثير منها ابتداءً من البسيطة جداً وحتى البالغة الحدة ومن المؤقتة إلى الدائمة، وعلى أية حال فان الفكرة المتسلطة تنجم دوماً عن آلية لا شعورية .

ما هي الافكار المتسلطة الأكثر شيوعاً؟ انها تشمل كافة حالات الاستحواذ والرهاب وغالبية حالات الضيق النفسي والهوس الشديد والخفيف والسطحي والعميق والعادات المستهجنة اذا كانت لا شعورية وميكانيكية . واستحواذ فكرة الجنون الشائعة جداً واستحواذ الخوف من السقوط في الشارع . الخ

وبوسعنا ان نتساءل ان كان عصرنا الحاضر المليء بالتعب وحالات الكبت والانفعالات العصبية هو الارضية المثالية لظهور هذه الافكار المتسلطة التي لا أتمنى ان تنال من أي فرد على الرغم من امكانية شفائها .

الكبح داخل الفكرة المتسلطة

ان العالم الذي يركز على مشكلته يعد في نظر البعض «شارداً»، غير انه ليس بشارد: انه مكبوح. لقد تحدثت فيما سبق عن الكبح في التعب والخجل. واذا كان العالم لا يلحظ شيئاً فالسبب يعود الى كونه غير قادر عصبياً على رؤية أو سماع أي شيء آخر سوى ما هو مهتم به. لماذا؟ لان كافة المراكز العصبية في دماغه التي لا تعمل للمشكلة الانية متوقفة.

وفي حالة الفكرة المتسلطة فان الخلايا المتوقفة لا تستطيع بالتأكيد اظهار التبدلات الضرورية! ولا تؤدي الرسائل الخارجية الى أي رد فعل.

مثال: بالنسبة لهذا العالم المستحوذ، تأتي سيارة نحوه مستخدمة المنبه لكنه لا يتمكن من رؤيتها بواسطة دماغه لان الفكرة المتسلطة قد أوقفت بقية الخلايا العصبية التي من المفروض ان تكون قد اظهرت رد فعل في مواجهة السيارة أو أي شيء آخر. وهكذا نلاحظ كيف ان الاستعداد الذهني الخالي من الفكرة المتسلطة والخالي من العناد هو أمر جميل ومقدس!

كيف تتأصل الفكرة المتسلطة مرضياً؟

خلال يوم عادي يتعرض كل شخص منا الى عدد من المناقشات والايحاءات من كافة الصنوف. اذاً لماذا لا نحمل

كلنا افكاراً متسلطة؟

وعلينا ان نفرق مجدداً ما بين :

أ - الفكرة الطاغية لحالة آنية .

وب - الفكرة المتسلطة (المرضية)

واذا ما ترسخت الفكرة المتسلطة فهذا يعني ان هناك «شيئاً ما»

في حالة الشخص اتاح بقاءها .

ويدخل شرطان في هذه اللعبة :

١ - الايحاء

٢ - الحالة البدنية والذهنية للشخص في اللحظة التي يستلم

فيها هذا الايحاء .

وبغية ظهورها فان الفكرة المتسلطة تتطلبه تحولاً في التوازن

المعتاد للدماغ . أما عن طريق الاستعداد أو الاجتهاد الشديد أو

الانفعالات أو الاصابات الخ انها تترسخ عندما تبالغ في عامل

وجداني موجود مسبقاً . وأتناول مجدداً مثال الخجول الخارج من

السينما . فالايحاء الذي ولده القلم اصبح ايحاءاً ذاتياً . غير ان

هذا الايحاء ساهم في دفع حالة موجودة «الى الامام» : الرغبة

الكبيرة في ان يصبح قوياً واثقاً من نفسه وميسوراً . الخ

والفكرة المتسلطة قد تكون :

أ- واعية : أحد المستحوذين يعرف جيداً انه مصاب بالفكر

المتسلطة : لأنه يقاومها بعقله دون ان ينجح في ايجاد حل .

ب - لا واعية: تلك هي حالة إيرين التي سبق التطرق اليها .
إنها ايضا حالة الفكرة المتسلطة المتولدة بواسطة الایحاء
التنويمي . ولكن على اية حال فان السبب الذي يسمح بظهور
الفكرة المتسلطة هو دائماً لا واعي .

والتنويم المغناطيسي قد يولد فكرة متسلطة على الاقل لدى
البعض . ولكن هل بوسعنا القول ان كافة الاشخاص الذين
يصابون بها قد تعرضوا للتنويم المغناطيسي ؟ كلا بالطبع ! فاذا
لم تكن الفكرة قد زرعت من الخارج فكيف يمكن للايحاء
الذاتي ان يلعب دوراً الى هذه الدرجة ؟ كيف يمكن لصدمة
عاطفية مثلاً ان تترسخ وتولد فكرة متسلطة أو تشنج عضلي أو
رهاب أو استحواذ ؟ سنرى ذلك عند دراستنا لجانيه .

● أميل كويه والمباراة الداخلية

على الرغم من الاسس البدائية جداً لنظرية أميل كويه
(١٨٥٧-١٩٢٦) غير انها تتمتع بمزية كبيرة . فقد قام باستخدام
الايحاء الذاتي عملياً حيث يعتبرها ايحاء ينبع من المريض ذاته .
نحن نعرف الاتي : التسبيب الواعي قد لا ينفع كثيراً في
الامراض النفسية كذلك الحال بالنسبة الى المحاجة المعقولة
والاقناع .

مثال: يعطي خجول كبير لنفسه ودون كلل ذرائع معقولة كي لا يكون خجولاً انه يحاول اقناع نفسه عن طريق رفع معنوياته بقوة . هل ان ذلك يصد عنه ازيمات الخجل؟ كلا . . . على العكس! فعدم فائدة التسبب يظهر في الاستحواذ والرهاب والضيق النفسي . . . فالعالم النفسي يعرف اذاً انه من غير المفيد اقناع المريض نفسياً . وقد يكون امراً تافهاً ان نقول له ان سلوكه احمق لهذا السبب أو ذاك وان عليه «القيام بمجهود» . الخ . والكثير من المرضى النفسيين يتعرضون الى حالة من عدم الفهم لهذا السبب بالتأكيد: اننا نملاً رؤوسهم طيلة اليوم بمفاهيم الارادة دون التفكير ان هذا الحق مزيف منذ البداية . لماذا؟ لان الآلية العصبية التي تتيح الارادة مزيفة . وهذا الامر يشبه الطلب الى عازف الكمان عزف نوتة الـ (مي) على الوتر المخصص لنوتة الـ (فا) . هذا العازف يرغب فعلاً بالعزف غير أن قوسه لا يؤدي سوى نوتة (الفا) . هل علينا في هذه الحالة الصراخ والصياح واحتقاره وارغامه بالقوة على عزف نوتة الـ (مي) . إن أي مظهر من مظاهر الارادة الحقيقية يتطلب شروطاً اساسية كي يتجلى . وقد قال العالم زيندن: «ان التعليل الخاطيء هو عيب اكثر خطورة من تعاطي المورفين او الكوكايين . . . ما المقصود بذلك؟ اذا كان التسبب «الصحيح» هو نتيجة للوجدانية «الصحيحة» فان التسبب الخاطيء هو نتيجة للوجدانية

«المزيفة» .

لسوء الحظ ننسى ذلك في تسعين بالمائة من الحالات . . وأنا متفائل بعض الشيء! وإذا ما قالت الوجدانية اللاشعورية «كلا»! فان التعليل يحاول عبثاً قول «نعم» . انها الوجدانية التي ستكسب في كل مرة ونادراً ما يفهمها الانسان العادي . لماذا؟ لان لديه توافق بين ارادته ورغبته ووجدانيته . وهناك توافق بين ارادته وقدرته . ولكن الا يحصل ان يشعر احياناً في داخله بنوع من التمزق مصحوب بالقلق النفسي؟ لان «شيئاً ما» يدفعه ان يفعل عكس ما كان يريد؟ وفي خياله يزيد من هذا التناقض ويطيل مدته من ناحية الكثافة والعمق وربما سيفهم حينئذ!

وحيث ان أي مرض نفسي يعود الى سبب وجداني فان أية معالجة نفسية يجب ان تستهدف الوجدانية إذ نجد هناك السرطان النفسي . لقد حاول كويه اذاً ان يتوصل الى ذلك عندما قال : «عندما تكون المخيلة والارادة في صراع فان المخيلة هي التي تنتصر دون استثناء . . .» .

لذلك أولى كويه أهمية كبيرة لدور الحياة النفسية اللاواعية والتي اسمها المخيلة . وبالتأكيد كانت طريقته بدائية فقد كانت تستهدف استبعاد الايحاء المرضي عن طريق ايحاء مضاد صحيح . وباختصار أمر وأمر مضاد .

نحن نعرف هذه الطريقة الشهيرة ، لقد كان كويه يطلب الى

المرضى ان يكرروا حتى وان لم يؤمنوا بذلك ولكن بطريقة تؤثر على الاذنين: «إني اتحسن شيئاً فشيئاً يومياً ومن كافة النواحي...»

هذه الاحاديث المتكررة ميكانيكياً يجب ان تتوجه هكذا نحو اللاوعي (الوجدانية)، وهذا اللاوعي الذي اقتنع اخيراً بواسطة الانعكاس يدفع الشخص الى التصرف بشكل طبيعي عقلياً وارادياً.

وتعد هذه الطريقة بدائية لانها لا تتعامل الا مع الاعراض بصورة عامة. وهي لا ترى سوى المعاناة يصفيتها العامة ولا تعالج الا نادراً جداً الحالات العميقة. وتبقى نظرية كوية بالتأكيد ضمن الخط الايحائي فالشخص يسمع صوتاً (صوته) الذي يوحي اليه بتحسن وهذه القناعة تصبح الوعي الذاتي.

انه لأمر طبيعي جداً ان نقول ايضاً (بعد اكتشافات علم النفس الحديث والطب النفسي - البدني) ان النفس تؤثر على الجسد واذا ما استطاعت النفس ان تولد مرضاً فهي ذاتها التي تتمكن من شفائه. (المقصود «بالنفس» هنا «الدماغ»!) وهذا أمر واقع. وسنرى ان أي كائن عضوي يقع تحت تأثير الدماغ. وبذلك تكون نظرية كويه مقبولة جداً.

اذا رغبت ممارسة الايحاء الذاتي

الايحاء الذاتي كالا يحاء يأتي من الغير وهو وسيلة ممتازة لتربية الفعل والارادة . واشير هنا الى ان الايحاء الذاتي المبني جيداً يولد في اللاوعي طاقات جديدة ويجمع فيه ايضاحات جديدة . انه وسيلة جيدة لتوسيع وتعزيز الشخصية . وهو يتيح تصحيح العيوب الوجدانية . واكرر مرة اخرى ان الدماغ يمتلك سلطة دكتاتورية تقريباً على الجسد . . .

شروط الايحاء الذاتي

يجب اعتبار الايحاء الذاتي كصيغة تأملية وليس نوعاً من التركيز . والتأمل هو ابتعاد للنفس وانفتاح استسلامي هادىء . انه يتيح دخول الافكار والاجاسيس دون جهد . بينما يعد التركيز جهداً موجهاً الى نقطة محددة . لقد رأينا آنفاً ان التركيز يجعل قسماً من الدماغ في حالة رقاد وهو يستبعد بذلك من تلقاء نفسه مئات الاحاسيس التي قد تكون ذات فائدة . . .

انه حاجز وحاجز كبير! لقد اعطى الدكتور دوبوا من مدينة بيرن نصائح ممتازة الى مرضاه وهي : «أبعدوا عنكم القلق - وتخلصوا من كافة همومكم . . . تخلصوا من مشاغلكم . . . حولوا اذهانكم نحو المواضيع المفرحة . . . الخ» .

ولكن كما يقول جانيه : «انها بالتأكيد نصائح لطيفة، ولكنها تهكمية بعض الشيء خاصة بالنسبة للأشخاص الغير قادرين على توجيه افكارهم . فعندما لا يتحركون في فراشهم فانهم غالباً ما يخلطون اوهاماً ويتعبون في حساباتهم وفي الاحتمالات الصعبة . . . » .

انه لا مربديهي حقاً ان نقول لشخص مصاب بالاستحواذ :
«لا تفكر باستحواذك . . . » او نقول لشخص انفعالي : «ولكن عليك ان تكون هادئاً وهادئاً جداً! . . . »
ليس ذلك طفولياً بعض الشيء؟

ما السبيل الى التخلص من هذا الحاجز؟

نساعد الى الدرجة التي تبعد فيها الفكرة المريضة الى اقصى درجة عن النفس . اذاً علينا ان نمس بقدر الامكان المراكز العصبية للاوعي تاركين الوعي «جانباً» . وهكذا يصبح الاسترخاء أمراً لا بد منه ، كيف نحصل على هذا الاسترخاء؟ يجب ان يكون الجسد مستلقياً وساكناً . وتوجد تقنيات خاصة تساعد في الراحة التدريجية للعضلات ويجب ان يتم الاشراف عليها من قبل شخص متخصص وبعدها يشعر الانسان بثقل اطرافه الواحدة تلو الاخرى .

وتغلق العينان وتترك الاجفان معلقة . ونصل بذلك الى حالة
من الفتور والاحساس بالتحليق فوق الجسد . ويجب ان يكون
المكان صامت ومظلم ، فيصعب الحصول على التأمل عند وجود
الضوضاء !

ما هي اللحظة المثلى؟

بالنسبة للاشخاص الذين لم يتدربوا على الاسترخاء العضلي
فيجب اختيار اللحظة التي يتحقق فيها الخليط الواعي - اللاواعي
بصورة ذاتية . أي عند حصول الفتور والنعاس الذي يسبق النوم .
أو في حالة الفتور الذي يعقب الاستيقاظ وعندما تبدأ النفس
بالتقاط الاشياء التي تراها مجدداً .

عائق : هناك الكثير من الاشخاص الذي لا يتوصلون قط الى حالة
الفتور (الانفعاليين والمنحصرين ذهنيا والمصابين بالارق ..
الخ) .

وهكذا يصبح استخدام الادوية ضرورياً في بعض الاحيان .
وعلى أية حال فان التمرن على الاسترخاء العميق يجب ان يتم
بواسطة مختص . وبعدها؟ تصل حالة الفتور (احساس بالذهول
السطحية) ، ويتحرر من أية مشاغل وتدخل الفكرة المفيدة
الى اللاوعي .

هذه الفكرة ستعارض بالتأكيد بالنسبة للمرضى مع حالتهم
المرتدية . ولا تحاول قط توجيه هذا التأمل السطحي الى التركيز:
فمجرد ظهور الجهود يفرض الزهد نفسه .
هل هناك لحظة مثالية؟

نعم هناك مثل هذه اللحظة غير انها صعبة المنال دون تمرين .
يجب الا يكون هناك انفصال شديد ما بين الوعي والعقل الباطن :
فالايحاء (الذي يجب ان يبقى ارادياً) قد يفقد بالتأكيد من
فعاليته * .

وقبل الوصول الى خطة الحلم يستغرق الدماغ في النعاس .
غير أنه يبقى واعياً دون أن تشغله فكرة معينة . وكل فرد يعرف حالة

(*) لا تنسى ان الوعي والعقل الباطن يعتمدان على عمل المراكز
العصبية .

النوم النصفى وهي حالة تقع ما بين الحلم والحقيقة . في هذه اللحظة يصبح الانسان متفرجاً بعد ان كان ممثلاً في السابق ، ويتوقف عن تمثيل اللعبة ويتحول إلى مرحلة تأمل اللعبة . وكأنه يحضر فعلاً سينمائياً أمام عينيه . انه يشاهد مشاهد متلاحقة لا تتطابق مع الواقع . وهو يعلم جيداً انه لا يحلم بسبب بقاءه واعياً . فدقات الساعة وضجيج الشارع وصريير الباب ونباح الكلب يصل اليه بدقة متناهية . إنه يبدو محلقاً فوق الحياة وفوق جسده . وهذه الظاهرة مستحبة جداً حيث تمر الصور والاحاسيس من أمامه كالصور المتحركة مع بعض التفاهات التي يقبلها الانسان لكونها طبيعية . وباستطاعته ايضاً ان يتلاعب بالصور فيحذف هذه الشخصية ويستبدلها باخرى . . الخ . انها حقاً اللحظة المناسبة لممارسة الايحاء الذاتى .

إذا: ننتظر حتى تغمر موجة الكبح القشرة الدماغية التي تعد مركز الوعي الارادى . والحالة التي سيتم الحصول عليها هي حلم اليقظة وحقل الوعي يصل الى اقصاه (بينما يتقلص حقل الوعي بشكل ملحوظ في حالة التركيز) .

وسائل اخرى: هناك الكثير من الوسائل الأكثر قوة: غير ان مؤازرة العالم النفسى أمر لا بد منه ، ان عرض الصور الرمزية قد يكون شيئاً مفيداً غير اننا ندخل هنا في حقل علم النفس

المعمق .

وسأتحدث عن ذلك لاحقاً في الفصول المتعلقة «بالرموز
واحلام اليقظة» .

الى ماذا تفضي ممارسة الايحاء الذاتي؟

إنه يتيح التهيئة لحالة ذهنية مواتية ، وقد يكون له تأثير على
الجسد (وهناك الاف الحالات الكلاسيكية بهذا الصدد) .

هوذا مثال أخذ من أحد المستشفيات : رجل مريض منذ فترة
طويلة يبدو انه يعاني من السرطان والأعراض واضحة عليه . يتقرر
اجراء عملية ويقوم الجراح بفتح بطن المريض ويجد فيها امعاء
ناقصة ولكن ليس هناك أي أثر للسرطان . ويصاب الاطباء
بالدهشة فكافة الاعراض التي يعاني منها هذا الرجل ترتبط بهذا
المرض الرهيب . . ما الذي حصل؟ قد يكون أمراً مملأً الحديث
مفصلاً عن الحياة القاسية لهذا الرجل المسكين . انها حياة تتميز
بسوء الحظ والوحدة والانعزال والضعف الجسدي والبؤس
المعنوي الكبير .

وفي أحد الايام يمرض هذا الرجل ولكونه لا يمتلك ما يكفيه
من المال فانه يعالج في احد المستشفيات العامة . وفي هذه
الاثناء وللمرة الاولى في حياته التعيسة يشعر هذا الرجل بالسعادة
داخل الغرفة المشتركة التي كان يعالج فيها . انه بين اشخاص

آخريـن يعانـون مثـله والـكل يعـلم كم ان المعاناة المشتركة توحد
البشر. . .

وها هم الاطباء لطفاء ومبتسمين واولئك الممرضات متفهمات
واياديهن رقيقة . وهذا سرير انساني انه لم يعد فراش الوحدة
والبؤس . وهذا هو الأمن الذهني والمادي ، وتبدأ الآلية اللاواعية
بالعمل . «يجب عليك البقاء هنا. . . يجب ان تبقى مريضاً
وتزداد مرضاً. . .» يجب الا تخرج من هنا لانك تشعر
بالسعادة. . .» ، لقد بدأ الايحاء الذاتي المعذب والمقتدر
والمستمر.

واصبح الشخص غير المريض مريضاً حقيقياً . واخذت
اعراض السرطان تظهر بعنف اكثر فاكثر حتى وصلت الى العملية
غير المجدية . . . لقد كان «السرطان» يمثل بالنسبة لهذا الرجل
نوعاً من «الامن» المثالي . وهذه الحالة توضح جيداً قدرة الدماغ
التي سنراها في الطب البدني - النفسي .

- هل تعرفون السيد الذي اصيب «بدوار البحر»؟

كان القارب على الرصيف والسيد يرتاح في كاييته ويحل
الظلام في وسط الليل تجتاز ضوضاء المحركات الجدار .
السفينة هي الآن وسط البحر. . . هذا ما قاله السيد وبدأ كل
شيء : الغثيان والقيء والضيق النفسي العميق والرغبة في

الموت . . . انه لأمر مخجل اذ يختبئ السيد ويعاني بصمت حتى بزوغ الفجر وهوذا يستيقظ ويلقي نظرة من النافذة . . . ان السفينة لم تتحرك ! ان قدرة الايحاء معروفة جيداً . ولكن اليس شيئاً حسناً التذكير بها من وقت لآخر ؟ .

هكذا ندرك بدون تعب قدرة الايحاء الجيد في الظروف التي تسمح بظهوره . ويجب ان تكرر التمارين الذهنية الشخصية كل يوم اذا لم يكن يمتلك الشخص سوى تقنية بدائية .

ما الذي يمكن معالجته بالايحاء ؟

اريد التحدث هنا عن الايحاء في العمق وهي تقنية خاصة لا يمكن ان يستخدمها الشخص بمفرده اذا لم يتمرن . وبين الحالات الشائعة ، الضعف الجنسي والبرودة الجنسية لدى المرأة والخوف والرهاب والضييق النفسي والارق والتشنجات والعادات الضارة وضعف الطباع وبعض الاضطرابات الجلدية وعدد كبير من الامراض الهستيرية ، ونرى اذاً انه على الرغم من طبيعتها البدائية فقد وضعت طريقة أميل كويه الاسس لعلم نفس الغد . . فلنحي هذا الرجل ولنواصل المسيرة .

بافلوف الروسي : صديقنا الكلب وآلية النفس

لتحول الان نحو افق آخر ، الى التبعات التي قد يستحال

حسابها . من هو بافلوف ايفان ؟ انه الطبيب الشهير الفقير الغير قادر على تحمل مصاريف شهر العسل مع زوجته سيرافينا كارشينوسكايا ؟ ولكنه اصبح استاذاً في علم الفلسفة عام ١٨٩٥ وحصل على جائزة نوبل عام ١٩٠٤ ؟

انه بكل بساطة رجل نزيه شغوف بالابحاث وبدأ يفكر في بعض المظاهر التي رصدت منذ قرون واستخدم ما كان معروفاً بغية محاولة تفسير ما هو غير معروف . . .

كلنا يعرف بالتأكيد ان الانسان يسيل لعبه عندما يرى ليمونة ! وكلنا نعلم ايضاً ان التحدث عن وجبة أكل لذیذة يفعل الشيء ذاته . . . غير اننا كنا نعتبر ردود الفعل هذه على انها «ظواهر نفسية» دون ان نعطي لها أهمية . ولكن هل فكرنا ان قصة الانسان والليمونة اذا ما دُفعت الى حدودها القصوى كان بوسعها ازالة الروح المعنوية وحرية الاختيار والعدالة والقيم الانسانية؟ . .

لنقوم بتجربة سريرية : هذا المريض يُعالج منذ فترة معينة عن طريق الابر المهدئة . وفي احد الأيام يقوم أحد الممرضين الذي خطرت على باله فكرة غريبة بزرق هذا المريض بالماء المقطر . وكان التأثير المهديء واضحاً على المريض ! بوسعنا الاعتقاد من النظرة الاولى ان المريض قد سقط فريسة للايحاء الذاتي . ولكن اذا كان هذا المريض معافى من الناحية النفسية ؟ اليس بوسعنا

الافتراض حيث ان رد فعله كان نتيجة لعملية زرق الابرّة وليس
نتيجة للمادة المزروقة؟
دعونا نقوم بزيارة لكلب بافلوف.

أمامنا كلب جائع نقدم له طعاماً شهياً فيكون رد فعله ساراً وهو
أمر طبيعي ، ولكن في الوقت الذي يتناول فيه طعامه نقوم بحرق
قدمه . فيرد الكلب باحساس من الألم . وبعد مرور فترة من الوقت
على هذه اللعبة (السرور والألم) يقوم الشخص بحرق قدم
الكلب دون ان يعطيه طعاماً . يصبح الكلب ماسوشياً كالإنسان
الذي يبيد علائم السرور وهو واقع تحت تأثير الحرق . ما الذي
حدث؟

قاع دماغ الكلب يربط : السرور (الطعام) في نفس الوقت مع
الألم (الحرق) وهذا الربط اصبح : سرور = ألم (الحرق) .
لترك الكلب ولنتظر الى الإنسان . فالماسوشية (انظر الحياة
الجنسية) تعد شذوذاً منتشرأ بصورة مقبولة . وقد اعطى الكاتب
ماسوش اسمها لهذه الحالة ليس لقيامه باختراع هذا الانحراف
الذي قد يكون قديماً قدم الإنسان نفسه بل لانه اراد وصف سلوكه
الذاتي .

وبهذا الشذوذ يظهر الكائن البشري رضى (جنسي أو اخلاقي)
عن طريق الألم . هذا الارتياح أو للرضى لن يصل اليه اذا لم

نجعله يعاني أما :

- بدنياً (ضربات ، او ضربات ظاهرية . الخ)

- معنوياً (تحقير واهانة . . الخ)

وبمقارنة كهذه فان الماسوشية ما هي سوى انعكاس مرتبط
بالالم والذي لا يتولد بدونه .

الانعكاسات الشرطية ، باب مفتوحة الى الهاوية

الانعكاس الشرطي هو انعكاس مدفوع من قبل ظرف معين
يسمى الاشرط .

هناك نوعان اساسيان :

١ - انعكاس الاثارة ، انه رد فعل فوري للاشرط .

٢ - انعكاس الكبح ، الذي يعمل ككايح أو كموقف .

مثال : (س) يعبر احد الشوارع وهناك سيارة تزمز على بعد
خطوتين منه ويقوة . وهناك شخص ينظر اليه وهو يتحلى بصفة
الهدوء في الظروف كافة (بسبب استكمالته مثلاً) .

أ - الاشرط : المُنْبه

ب - الانعكاس الاول للاثارة : قفزة وهلم وانفعال وركض
وحروب .

ج - الاشرط الثاني : ننظر اليه وهو متمسك بسمعة الهدوء .

د - انعكاس الكبح : انه لا يهرب ويكبح انفعاله ويتظاهر

بالهدوء .

الانعكاس الثاني (د) قد الغى الانعكاس الاول (ب) .

بافلوف وتجاربه

إنني اتردد في تكرارها لانها معروفة جيداً . لنعيد دراسة قصة الكلب مرة اخرى :

أ - نعطي قطعة من اللحم الى الكلب . يسيل لعاب الحيوان (عن طريق الافراز الذاتي لغده اللعابية) .

ب - في الوقت الذي تقدم له قطعة اللحم ، نقوم برن الجرس .

ج - بعد فترة معينة سيحرض الجرس بمفرده سيلان اللعاب (دون وجود طعام) . ومن ثم علم بافلوف الكلب ما يلي :

أ - ان يسيل لعابه عندما يستمع الى الجرس (كما موضح اعلاه) .

الجرس : اشارة رقم (١)

ب - ان يجيب على اشارة اخرى ، ولكن دون ان يستند الى الطعام وهكذا لا يسيل لعاب الكلب عندما يستمع الى الاشارة رقم (٢) .

بعدها :

ج - نقدم الطعام للكلب باستخدام الإشارة رقم (٢)
د - لا يسهل لعب الكلب بينما المفروض ان يولد الطعام
عملية سيلان اللعاب .
إذا :

الإشارة رقم (١) : محفزة (خروج اللعاب)
الإشارة رقم (٢) : كابحة (توقف اللعاب على الرغم من وجود
الطعام) .
نستنتج إذا الأهمية المستحيلة الاحتساب - من الناحية الفنية
والمعنوية - لهاتين التجربتين .
وإذا لم يكن سلوك الإنسان سوى مجموعة انعكاسات عصبية
صرقة فان ذلك يستتبع إن أية مسؤولية لا يمكن ان تعزى الى كائن
من يكون وفي أية ظروف كانت وتصبح المسؤولية الاخلاقية كلمة
فارغة . . .

الانعكاسات الدنيا والانعكاسات العليا

الانعكاسات الدنيا :

إنني ألمس مقلاة حارة ، فأسحب يدي .

الانعكاس : سحب اليد

الاشراط : حرارة - ألم .

الانعكاسات :

لنَعْقِدْ هذا الانعكاس : اني ارفض سحب يدي وابقىها لاقصى فترة .

أ - الانعكاس البسيط (محفز) : سحب اليد .

ب - انعكاس الكبح : رفض سحب اليد تحت اشراط الغرور،
للدلالة على «الارادة» وللبرهنة على امكانية تحمل
المعاناة... الخ).

ج - الانعكاس النهائي : اترك يدي

الانعكاس هنا قد تحول الى المراكز القصوى للدماغ (القشرة
الدماعية) حيث تدخل الارادة في اللعبة فضلاً عن الاختيار والقرار
والرفض... الخ

وهناك ما هو أفضل : هذه الضفدعة بدون دماغ . ومنفذ العملية
يضع قطرة من الحامض على احدى ارجلها، ونشاهد الضفدعة
تحاول رفع هذه القطرة بواسطة القدم الاخرى!

- قد يكون بوسعنا الاعتقاد ان هذا هو فعل محسوب
وارادي... ولو كان للضفدعة دماغاً وعلى افتراض ان بوسعها
التفكير الم تكن قد تتصور بانها «ارادت» التخلص من هذه القطرة
التي كانت تزعجها؟ الن تعتبر هذا الاحساس بالارادة الحرة على
انه واقع بانية عليها نظاماً اخلاقياً لا يستند الى شيء؟
لان هذه الضفدعة لم يعد لديها دماغ! نجد هنا اذاً نشاطاً ذاتياً

لهذا الارغن المثير للاعجاب وهو الجهاز العصبي الذي يجب ان نقف له اجلالاً . . .

* هل هي باب مفتوحة نحو الهاوية؟ نعم . ومن هذه الزاوية فان النشاط الارادي والنشاط الواعي والنشاط الاخلاقي ما هي الا مجموعة من الانعكاسات المعقدة المتمركزة في الدماغ . وبالنتيجة فانها لا تشمل الحرية أو المسؤولية . . .

هو بوسعنا حينئذ ان نشترط على انسان ان يصبح قديساً أولاً حسب الظروف المهيئة لجهازه العصبي؟ . . . (على شرط ان تطبق التجارب التي تجري على الحيوان مع الانسان) .
لنفترض ان ذلك ممكناً وان كان على الانسان «الاختيار» ما بين (أ) و(ب) .

- لنفترض انه يفضل (أ) لأنه يمثل بالنسبة اليه احساساً لطيفاً .
- غير انه لا يستطيع ان يأخذ (أ) لان قيمته الاخلاقية المشروطة بالتربية تمنعه من ذلك .

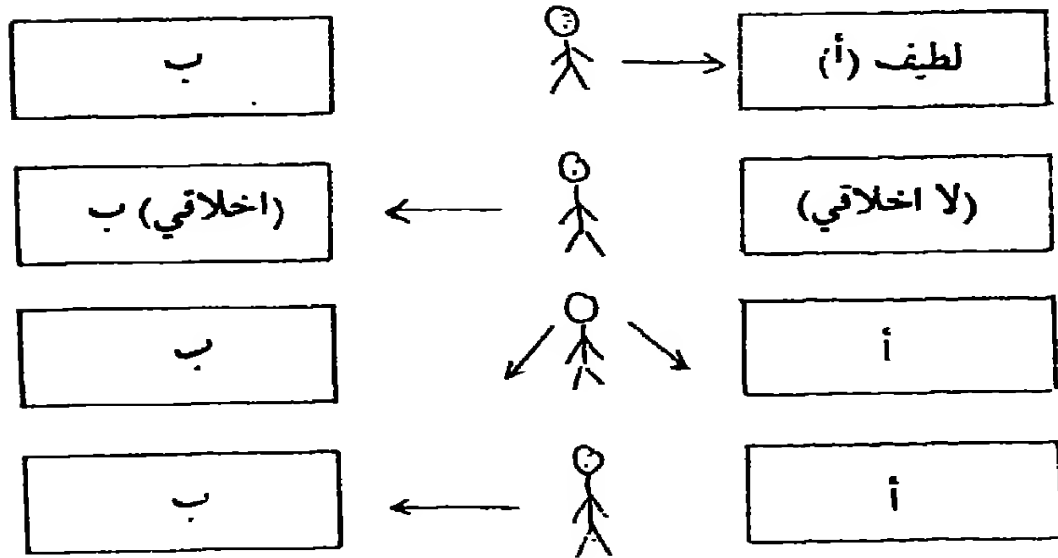
- انه يتردد وتردده مشروط بـ (أ) (رغبة واثارة) وكذلك بقيمه الاخلاقية المشروطة (موقف وكبح) .

- انه يتردد بقوة ولفترة طويلة بعض الشيء . ان نوع التردد مشروط بحالته الجسدية والذهنية ، والحالة المتوازنة تجعل التردد لا يدوم طويلاً .

أما حالة القصور فانها تمدد التردد حتى يصل الى الغضب

والاضطراب والاندفاع .. الخ (سنلاحظ رد الفعل ذاته لدى الكلب).

- وأخيراً يختار (ب) وهذا الاختيار هو الانعكاس النهائي لكافة الانعكاسات الشرطية الأخرى.



إذاً لن يكون هذا الانسان مسؤولاً عن رفضه لـ (أ). ليس هناك أي اعجاب أو ميزة أو مكافأة يمكن ان يمنحها له. بل ليس هناك

سوى اللوم الذي قد يوجه له فيما لو أختار (أ) . (في هذه الحالة قد تكون الانعكاسات «الكابحة» اقل قوة من انعكاس الرغبة) وبالإمكان تعقيد هذه اللعبة الى ما لا نهاية . . .

وهكذا نلاحظ الأهمية الغير محسوبة لتجارب بافلوف . . . الذي كان حكيماً جداً . لأنه لم يوسع نطاق اكتشافاته على الانسان . لقد قام بكل بساطة بعقد مقارنة «ذات طبيعة عامة وعصبية» بين الحيوان والانسان تاركاً الابواب مشرعة للابحاث والقناعات كافة . . .

* كلب مصاب بالعُصاب !

إذا كنت تمتلك كلباً ربما تكون عودته على قبول الطعام من اليد اليمنى ورفضه اذا قدم له باليد اليسرى ؟
إذا :

اليد اليمنى : اثارة ، وقبول الطعام

اليد اليسرى : كبح ، ورفض الطعام

ماذا نستنتج عندما نقدم الطعام باليد اليسرى ؟

الكلب يضطرب يتقدم ويتراجع ويهتز ويعوي مقدماً كل اعراض التناقض المؤلم بين رغبته وكبحه . وفي الوقت الذي يثار بواسطة الطُعم فانه يتوقف بسبب الكبح . فتوجهه الطبيعي نحو الطعام يقول «نعم» اما تربيته المشروطة فتقول «كلا» .

ويضحك المشاهدون دون ان يعلموا ان هذا الحيوان يتصرف حسب الآلية ذاتها التي يتصرف بها الانسان في غالبية حالات العصاب . قام بافلوف باشراف أحد الكلاب في تصرفه واضعاً اياه أمام دائرة مضادة موجهة على شاشة وبغية تعزيز هذا الاشراف فلقد قام بافلوف باطعام الكلب .

ويقدم الشخص المنفذ للعملية للكلب فيما بعد شكلاً بيضوياً منوراً وسطوح متشابهة ولكن دون ان يعزز الاشراف . (الشكل البيضوي بالمقارنة مع الدائرة يحصل على خاصيات كابحة لانه لم يكن هناك طعاماً) .

ومن ثم بدأ بافلوف بتحويل الشكل البيضوي شيئاً فشيئاً الى دائري وحتى نقطة معينة استطاع الكلب بدقة متناهية تحديد الفرق . انه لم يتحرك أمام الشكل البيضوي غير ان سلوكه تغير عندما أخذ الشكل البيضوي يتحول الى شكل الدائرة . لقد أصبح مضطرباً وبدأ ينبح كما أصبح عديم الاحساس وغير متماسك ويولول كالمجنون . . .

لقد اصيب هذا الكلب بالعصاب لوجود صراع ما بين الاثارة والكبح وبين «نعم» و«لا» . وهذا الصراع يجده العالم النفسي في كل خطوة . . . وبايقافه الانعكاس المثير فقد خلق بافلوف لدى الكلب تناقضاً بين التوجهات أي العصاب .

ولكن اذا لم يشمل بافلوف باستنتاجاته الانسان فان آخرين

غيره قد ذهبوا بعيداً جداً في هذا المضمار. . .

واطسن الامريكي والمذهب السلوكي

واطسن مواطن امريكي (اذاً فهو شخص عملي) درس في البداية علم نفس الحيوان ومن ثم تحول فجأة الى علم نفس الانسان مطبقاً على الاخير بكل بساطة كافة السبل التي استخدمها في علم نفس الحيوان.

وفي علم نفس الحيوان علينا الامتناع عن تصور ما يدور في وعي الحيوانات الخاضعة للملاحظة.

وقد فعل واطسن الشيء ذاته مع الانسان دون الاهتمام قط بمعرفة حالته الذاتية.

وباختصار فان أي سلوك انساني بالنسبة للسلوكيين هو مجرد انعكاس.

وعند دراستنا لبافلوف رأينا أن الاثرات كانت بسيطة تتمثل في استخدام الصوت والضوء والحقن الطبية. . الخ. غير أن واطسن الذي يطبق الانعكاسات على أي فعل انساني مهما كان قد وجد كلمة تمثل هذا الجهاز الشديد التعقيد بكافة الاشرطات المحتملة، هذه الكلمة هي: الموقف.

فالسلوك الانساني والطباع الانسانية هما الوسيلتان اللتان يتصرف بموجبهما الفرد في المواقف الآنية نحو «بيئته».

إذا بالنسبة للمذهب السلوكي تعد الحركة والتفكير والارادة والاختيار والرفض والوعي انعكاسات صرفة لموقف معين . ماذا يقول واطسن؟ . . «أعطوني اثنا عشر طفلاً سليماً صحيح البنية مع البيئة المناسبة لتربيتهم واني التزم بعد اختيارهم عشوائياً بتكوينهم بطريقة تجعل منهم اخصائيين حسب إختياري (اطباء أو تجار أو رجال قانون وحتى متسكعين أو سُراق) بغض النظر عن قابلياتهم واهتماماتهم واتجاهاتهم واستعداداتهم وبغض النظر عن مهنة وأصل اسلافهم» .

الكائن البشري حسب المذهب السلوكي

* الشخصية : وتمثل مجموعة عاداتنا الانعكاسية المشروطة كلياً بالظروف . ويكون الانسان تبعاً لذلك ناتج الظروف لا أكثر ولا أقل .

* الفكر : انه فعل فلسفي صرف يتضمن التحدث الى النفس ذاتها . لتذكر الانعكاس الشهير : «الدماغ يفرز الفكر كما يفرز الكبد مادة الصفراء» .

* الضمير : انه يولد من الدماغ ويختفي معه وحتى لا يفسر فهو لا يزيد عن مجرد فعل .

* المرض العقلي : أنه «تناقض» (كما هو الحال لدى الكلب)

ما بين الانعكاسات المثيرة والانعكاسات الكابحة (ستتطرق الى ذلك عند دراسة فرويد).

* عموماً: الانسان مأكنة مدهشة غير أنه ليس سوى مأكنة بالغة التعقيد. وبالنسبة للسلوكيين ليس هناك ثمة فرق ما بين الانسان والحيوان باستثناء التعقيدات الانسانية التي تُعزى الى العدد الاضافي من الخلايا العصبية. انها مأكنة بلا حرية وبلا مسؤولية. . .

وحسب رأي السلوكيين فان الانسان ليس سوى مجموعة من ردود الفعل الشديدة التعقيد سواء أكان ذلك في قواه العليا أم في افعاله الدنيا.

التواضع المُلزم

لنقرر انه لو كان هذا الموقف صحيحاً فقد يكون له على الاقل نتيجة تتمثل في ازالة الكبرياء الأخرق للانسان واتاحة الفرصة أمامه للتفكير في وضعه من حين لآخر. انه يزيل أي تمييز بين الناس وأي شكل من أشكال التحقير واللوم، وعندما يصبح الانسان تافهاً امام الكون فانه قد يشعر انه جزء لا يتجزأ منه وأحد العوامل الواعية!

أليست هذه المأكنة المدهشة المتمثلة بالدماغ هي قبل كل شيء أرغناً هائلاً يعزف مقطوعات الى مالا نهاية؟

واذا ما فكرنا بان حياة عازف الارغن غير كافية لمعرفة المقطوعات كافة التي يستطيع اخراجها أرغنه فعلينا ايضاً التفكير بالعدد الهائل من الانعكاسات التي يمكن ان تظهر في مليارات خلايا الدماغ!

ومهما كانت الحقيقة النهائية فمن المؤكد ان الكثير من الافعال والافكار ليست سوى عادات وردود فعل مكتسبة . انها انعكاسات مشروطة بالظروف الاجتماعية والجغرافية والدينية والاخلاقية والعائلية والوراثية .

ولكن السنا نرى ملايين الناس الذين لا يتمكنون من عزف سوى بضعة نوتات من هذه الآلة الهائلة؟ السنا نراهم «يعيشون» فقط حول عاداتهم العقلية وتشنجاتهم وخوفهم وكتبهم وضيقهم النفسي؟

وهكذا يعزف ارغنهم الميكانيكي بعض النوتات المتشابهة دائماً بينما قد تخلق قدراتهم الفعلية سمفونيات كبيرة . .

ولكنهم وهم ضائعون في هذه الاعداد الهائلة من العادات الذهنية ، الا يطالبون بحريتهم ومسؤوليتهم ليتحيون لانفسهم بذلك الحكم على الآخرين؟

وهكذا نجد الاهمية المخيفة للتربية .

ان التربية الاولى للطفل تستند الى الايحاءات والانعكاسات المشروطة واذا ما كانت التربية سيئة التوجيه فانها قد ترسخ الى

الابد . ونلاحظ انه اذا ما أصبح الانعكاس السيء راجحاً فانه سيعيق التكيف الصحيح للظروف ! وعندما يصبح الانسان بالغاً فسيعطي دوماً الجواب ذاته كجهاز البيانو الذي صنع ليعيد الموسيقى ذاتها . . .

● بيير جانيه (١٨٥٩-١٩٤٧)

يعد بيير جانيه أحد عمالقة علم النفس الفرنسيين . . . فهو رجل نبيه يتميز بالأصالة معروف منذ كان في الثانية والثلاثين من عمره وبقي واعياً حتى نهاية عمره المديد . انه رجل بلا عقيدة ! وفيما يلي الوصف الذي قدمه مينكوفسكي لبيير جانيه :

«بيير جانيه هو ذلك الرجل اليقظ الممشوق القوام ذو النظرة الثاقبة والطبيعة الطفولية المرنة والتصرفات المعتدلة والدقيقة . عندما يدعوك الى مكتبه فانك تتأثر فوراً بالجوالخاص المليء بالجد والمثابرة والفكر والفضول العلمي الدائم واليقظة وحب الاطلاع النابع من شخصيته الفذة حيث تبدو غرفته الكبيرة وقد تشبعت بها . تلك الغرفة المليئة من أعلاها الى أسفلها بالكتب التي تُعينه في عمله . إن صورة العمل المثابر الذي قد أنجز وما زال متواصلاً تغمرك بالتقوى» .

وكانت رغبة جانيه الكبرى تتمثل في ايجاد صلة بين اهتماماته الدينية والعلمية . ألم يقولها بنفسه؟ . . .

«كنت أحلم بتحقيق مصالحة بين العلم والدين والوحدة يجب ان تتم عن طريق فلسفة متكاملة ترضي العقل والايمان . لم أتمكن من تحقيق هذه المعجزة ، غير أنني بقيت فيلسوفاً . . . »
وبعد ان حصل على شهادة الدكتوراه في الطب بدأ جانيه في دراسة مرضى الصرع .

وقد مارس التنويم المغناطيسي بشغف شديد ، وقام بأبحاث متعددة . . . وعندما بلغ الثلاثين من عمره كتب الأطروحة المسماة :

العمل اللارادي النفسي . وكان ذلك في عام ١٨٨٩ .
يذهب جانيه فيما بعد الى باريس ويتوجه نحو شاركو دولاسالبتريير الكبير وهو المكان المثالي بالنسبة له حيث يصادف ظواهر التنويم المغناطيسي والهستيريا .
ويتابع جانيه محاضرات شاركو ويصبح فيما بعد مديراً لمختبر علم النفس المرضي .

وتشهد المؤلفات المتعددة على آلاف الملاحظات الثابتة التي تتميز بالطابع الانساني الصميمي .

أربعون سنة من الملاحظات !
هاكم ما قاله جانيه : «ان التقلص في الاختصاصات لم يكن قط أمراً حسناً ، وإذا ما انصب اهتمامنا على علم النفس فان هذا التقلص قد تكون له نتائج سيئة . . . فعلم النفس ومن خلال تعريفه ينصرف الى كافة الاختصاصات تقريباً ، فهو يتميز

بالشمولية لاننا نجد الحالات النفسية في كل مكان . . . ٢

● الانسان العادي والانسان الشاذ كما يراهما جانيه

هوذا مفهوم رئيس في علم النفس وفي التوازن اليومي . ما هي المواقف المشتركة لكافة الاشخاص؟ هي ان يجدوا أنفسهم غارقين في الظروف وهذه الظروف تتطلب اذاً تكيفاً . . . مع أقل الخسائر الممكنة . وهنا يكمن الفرق بين الاشخاص العاديين والشواذ . وبغية ان نفهم ذلك بصورة أفضل نضرب مثلاً فسيولوجياً هو: وجبة الطعام .

أ - الانسان العادي عندما يهضم الطعام يمتص في الوقت ذاته العناصر الغذائية التي تشكل وجبته الغذائية ويتم الهضم دون عقبة تذكر ودون أي ازعاج .

ب - أما الانسان الشاذ فيخضع خلال عملية الهضم الى مصاعب هضمية متعددة . وكما نقول «يظل الطعام في معدته» ، فضلاً عن ذلك يمكن أن تظهر اعراض اخرى كالقيء والاضطرابات والدوار . اذاً هناك مادة لم يتم تمثيلها بصورة متناسقة مع العناصر الغذائية الاخرى .

لتحول الآن الى الجانب النفسي :

الرجل المعتاد هو رجل «بتوتر» نفسي متناغم وقوي . لنفترض ان هذا الرجل يجد نفسه أمام ظرف لم يستعد له . ما الذي

سيحدث في هذه الحالة؟ انه «سيهضم» الحدث بكل بساطة ويسرتام . أضرب لكم مثلاً على ذلك : انتم ترغبون الدخول الى صالة مليئة بالناس دون تحضير وهناك مئات العيون مسمرة في وجوهكم . فان كنتم اناساً عاديين ما الذي سيحدث :

أ - حيث ان الظرف مفاجيء فانك تتوقف بغية ملاحظة الموقف .

ب - تتخذ القرار بسرعة وتتقدم باتزان

ج - وعند قيامك بذلك تتكيف تدريجياً وبسرعة .

د - وخلال دقائق معدودة تتطور بيسر دون خشية ودون انفعال أو عدوانية أو خشونة .

هـ - ومن ثم لا تشعر بالتعب أو بالانفعال ، لان هذا الفعل لم يكلفك طاقة كبيرة فلقد انجز وانتهى وتكيف مع باقي الظروف مكوناً شخصيتك .

أما اذا كنت شاذاً(مثلاً : خجول أو مكبوت أو عدواني . . . الخ) .

أ - بما ان الظرف مفاجيء وجديد فانك تتوقف

ب - تخضع للהלح ولتأثير الانفعال

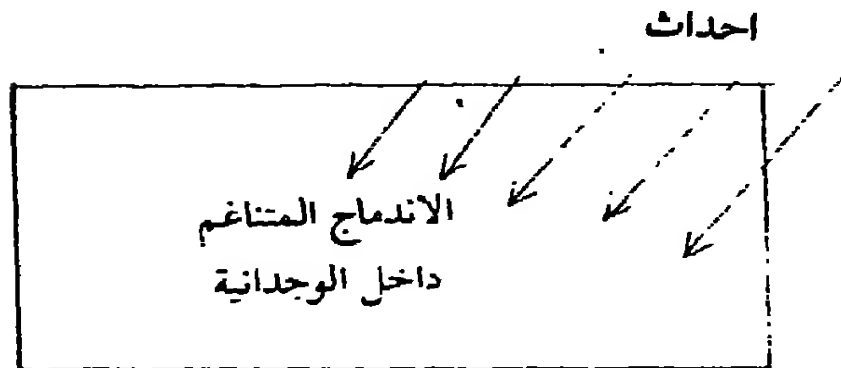
ج - يظهر الخوف والانفعال

د - اما تبقى مسمراً في مكانك أو تهرب أو تهاجم

هـ- تعاني من الاجهاد فقد كلفك هذا الفعل الكثير من
الناحية الانفعالية . فضلاً عن ذلك فان الفعل لم يته حيث قد
تجتز فشلك في التكيف وتعزز شعورك بالنقص أو تظهر لديك
مخاوف ورهابات . . الخ

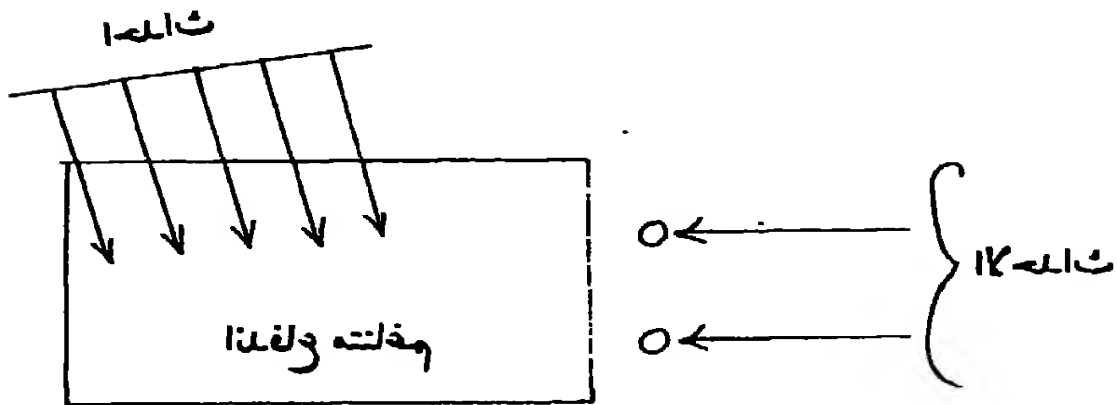
الانسان العادي والشاذ في الحياة اليومية

تطلب الحياة اليومية بالتأكيد الاف التكيفات ! وهناك الظروف
الجديدة مهما كانت وهناك الاحداث غير المتوقعة والمسؤوليات
الجديدة والاختناقات والهزات المفاجئة والانفعالات . . . الخ
ماذا يفعل الانسان العادي ؟ انه « يدمج » كافة الظروف وبيتلعها
ومن ثم يقوم بهضمها ذهنياً ، وتندمج كافة الاحداث في «أناه»
وتدخل بصورة متناغمة ضمن شخصيته العامة . ويتم كل ذلك
دون أذى أو تعب . وتشبه وجدانية الانسان العادي خزاناً تذوب فيه
الاحداث ، كما هو الحال بالنسبة لمجموعة من الفواكه داخل
حوض لصنع المربى (أو كالعناصر الغذائية المختلفة داخل معدة
بحالة جيدة) . وعلى النحو التالي :



وماذا يفعل الانسان الشاذ؟

الحدث لا يُهضم ذهنياً كما لا يتم امتصاصه من قبل (الانا).
ويبقى الطرف خارج هذه (الانا) التي تعمل لحسابها الخاص.
وخارج «خزان» الوجدانية يتكون تابع أو عدة توابع ذهنية لها
حياتها الخاصة ولا يمكنها ان تندمج داخل الخزان العام
للوجدانية. وكل تابع من هذه التوابع الذهنية يفرض تمزقات
داخلية ويولد اعراضاً (ما يشبه سوء الهضم الذهني مثلاً..)
وهكذا تنقسم وحدة الـ (أنا). وهذا يبدو من خلال العقد وحالات
الكبت والانفعالات.. الخ وحيث تظهر المجموعة الكبيرة من
الاعراض ابتداء من التوقعات المعنوية البسيطة وانتهاء
بالاستحواذات الرهيبة*. وعلى النحو التالي:



* سرى ذلك لدى دراسة التحليل النفسي

ماذا يقول جانيه عن الضمير؟

لنتناول الصورة مجدداً: الضمير يشبه خزان كبير يحوي في داخله كافة الاحداث فالضمير يتميز اذاً بنشاط جمعي لان عليه تحقيق اندماج متناغم بين الاف الظروف المختلفة. فالضمير يجمع الظواهر المتعددة في ظاهرة جديدة واحدة لكنها تختلف عن الظاهرة المنعزلة.

حالة الانسان العادي داخل الصلاة: تبقى (أناه) سليمة حيث أنه قد حصل في هذه الاثناء على تجربة جديدة، الا ان هذه التجربة اندمجت داخل شخصيته، فقد حدث تجميع للاحداث.

أما في حالة الانسان الشاذ فان الظرف يبقى خارج (أناه) وهذه (الانا) تمزق بواسطة إحدى التوابع الذهنية التي تمثل فعل المفقود وبالنسبة فان أي مرض نفسي مهما كان يأتي من ضعف القدرة على التجميع. وينبثق حدث لا يتمكن الشخص المعنى ان يكفيه لك (أنا)، فترتخي وحدة الشخصية وينخفض التوتر. وفي اللهجة الشعبية الا نقول «هذا الشيء لم اهضمه بعد!» وهذا يعني ان الحدث الذي بقي خارج (الانا) يجعله يقلق لك (أنا) بالاستحواذ.

● النقاط الاساسية لمفهوم جانيه في علم النفس
من المؤكد ان افعال انسان ما لا تحمل دائماً القيمة ذاتها .
فانت تستطيع التكيف بسهولة مع بعض الظروف التي تتوافق مع
عادة معينة .

مثال : الحياة العادية للعمل في المكتب لا تمثل أية صعوبة
في التكيف بالنسبة للشخص العادي . ولكن الأمر يتغير بمجمله
اذا كانت حياة المكتب شاذة (رئيس دكتاتوري مثلاً) او اذا كان
المستخدم شاذ (شديد الخجل او عدواني أو مكتئب . . الخ) .

إذا يعتمد كل شيء على الاتي :
أ - اذا انجز الفعل عن طريق الانعكاس المعتاد : فليست هناك
صعوبة في التكيف .

ب - اذا تطلب الفعل سلوكاً جديداً فان التكيف قد يحدث أو
لا يحدث . وكيف؟ ببساطة لان التكيف يعتمد على حالة
الشخص (البدنية والذهنية) . والمطلوب هنا اذاً ان نرى فيما لو
كان الفعل يتطلب سلوكاً جديداً وغير معتاد!

هذا السلوك يظهر عادة في الانفعالات ووفاة شخص عزيز
والنشاط الجنسي والمسؤوليات الجديدة والرحلات والتعايش مع
اشخاص سمجيين . . . الخ

مثال : الفعل المبدع والفعل الذكي هما اكثر اثاره للتعيب من

الافعال العادية او الغريزية . واذا ما تركت الامور على حالها فانك ستكون أقل تعباً مما لو ركزت . . . الخ
بوسعنا ان نقول ، اذاً ، ان هناك افعالاً ذات «توتر عال» واخرى ذات «توتر واطىء» . والتوتر المطلوب هو في ترابط وثيق مع تعقيد السلوك المطلوب تبنيه . فضلاً عن ذلك فان هذا السلوك يجب ان يتجمع ويندمج في (الانا) وهذه الانا عليها ان تبقى ميسرة ومتناغمة .

ويؤكد جانيه قائلاً : «من البديهي ان هناك افعالاً اكثر تكلفة من غيرها وتجهد القوى بصورة متزايدة ، وعلينا ان نفهم ان انجاز الافعال الراقية التي تخضع للتفكير اكثر قدرة على تحديد حالات الكتابة . . »

ما هي الحكمة اذاً؟

كل واحد منا يعرف ان الغنى المادي لا يمثل الشيء ذاته بالنسبة للجميع . كما يعرف كل فرد ايضاً ان الطاقة تختلف من شخص لآخر . ولكن اذا صرف الناس أموالهم استناداً لرأسمالهم فكم من الناس سيصرف طاقته استناداً لقوته؟ . .
هل تريد ان تكون حكيماً بذكاء؟ عليك معرفة رأسمالك!
ومعرفة حدود طاقتك ، وعليك ان تعرف فوق كل شيء الافعال الكثيرة التكلفة .

فرحلة بسيطة لا تمثل أي استهلاك في الطاقة لشخص ما وقد تكون فعلاً شديداً الانهاك بالنسبة لشخص آخر. علينا إذا معرفة حدودنا. اليس أمراً ذكياً ان نستثمر أموالنا بغية ان نتمكن من العيش من الفوائد التي تحققها؟ ان لدى الاشخاص «العصبين» اتجاه نحو الفعل الناقص حيث يكون تكيفهم صعباً للمواقف الجديدة ويتطلب استناداً لذلك استهلاكاً كبيراً في الطاقة. فضلاً عن ذلك اذا كان العمل يتعب فان الانفعال ينهك اكثر. ولا ننسى الاشخاص «العصبين» ملاحقون بفكرة عدم القدرة او الخوف من التعب.

إذاً عليه معرفة قدرته على العمل البدني والذهني التي لا يجوز ان يتجاوزها. انه يستطيع ان ينفق الفائدة لكنه لا يجوز ان يلمس رأس المال! ان التمرن على ايقاع ثابت من العمل أمر ضروري غير ان معرفة ايقاف عمل معين فور ظهور التعب يعد أكثر أهمية. والطاقة التي استعيدت تنعكس في رأس المال الذي يثمر عن فوائد وهكذا. . . والنشاط الانساني يجب ان يتوزع ما بين العمل والراحة، والايقاع الكبير يجب ان يوجه هذا النشاط. فعليه تركيز الانتباه على التعب ليس بغية ان يثير الفزع في نفسه بل كي يحصل بواسطته على المعلومات والخبرة، كذلك ليتعلم بعمق كيفية ترتيب ايقاع حياته. . . بالضبط كما يفعل في نهاية اليوم عندما يدقق حساباته ليستتج فيما اذا تجاوزت نفقاته الحد

المعتاد . وعلى الشخص العصبي «المزاج» الا يعطي قط أهمية استحواذية لتعبه أو يفقد رباطة جأشه بسبب ضعف ذاكرته بل على العكس عليه الاستفادة من ذلك للدراسة ومعرفة حدوده التي يمكن توسيعها بسهولة عن طريق التدريب على نمط من الحياة يتيح له أخيراً «تقبل» أي فعل وهضمه دون بذل مجهود ويمكنه من التصرف والتفكير بيسر الذي هو في نهاية المطاف مملكة الانسان .

● الافعال المنهكة :

لقد درس جانيه بعناية الافعال المنهكة أي النشاطات التي قد تؤدي الى «انخفاض في التوتر» . وأهم هذه الافعال : التعب الانفعالي المتواصل والاجهاد الذهني وكافة الانفعالات المكثبة . وغالباً جداً يبقى الفعل لدى المحبطين على مستوى الرغبة وضعف الارادة . وتشتت الجهود دون أية نتيجة ايجابية .

ولا ينجز الشخص اعماله بصورة كاملة ويزداد تشتت الجهود ويظهر حيثث الانفعال والجهد عديم الفائدة والتردد والشك والاجترار الذهني وعدم الرضى عن النفس والانهاك . وقد تحدثت عن ذلك في موضوع «التعب» (انظر الفهرست) .

وكل شيء يعتمد طبعاً على استعدادات كل شخص . مرة اخرى نتساءل ما هي الحكمة؟ معرفة الشخص لافعاله المنهكة!

غير ان بعض الافعال تكون منهكة لان اساسها عُصاب .
وهنا من المؤكد ان يهتم علم النفس بالعُصاب وليس بالفعل
المُنهك ذاته الذي هو مجرد علامة مرضية .

وبالقدر ذاته فان تناول طعام العشاء مع العائلة ربما يكون
بالنسبة للبعض اكثر اثارة للتعب من القيام بدراسة مكثفة . لماذا؟
بسبب الانقباض والكبت والعدائية «المكبوتة» التي قد يسببها هذا
العشاء . هذه الحالة تقودني الى التحدث عن الاشخاص
المنهكين ، ان التعايش مع هذا النوع من الاشخاص غالباً ما يولد
اسوأ العُصابات . والاشخاص المنهكين قد نطلق عليهم اسم
«مستهلكو الطاقة» ، لماذا وكيف؟ سنرى ذلك . ولكن حيث اني
سبق وان قلتها فان مستهلكي الطاقة غالباً ما نجدهم في الوسط
العائلي وبكل بساطة لكون التعايش طويل الأمد ويخضع الى
القوانين الاخلاقية والى الاحترام المطلق والى تفادي
العداوات . . الخ

غير انه من المؤكد ان مدير المكتب يستطيع ان «يستهلك»
طاقة موظفيه لوجود التعايش هنا ايضاً .

❶ مستهلكو الطاقة أو الاشخاص المنهكين

من هؤلاء الاشخاص؟ انهم كثيرون ويرتدون اقنعة كثيرة
ومختلفة سأمتنع عن ذكرها جميعاً . . وعلى أية حال فان لهم علامة

مميزة مشتركة هي : الحاجة للهيمنة!

انهم مجموعة من الاشخاص المتسلطين الدكتاتوريين
والمهووسين والكثيري المطالب والمستائين والغيورين والشديدي
الحساسية والحقودين . . .

هؤلاء الاشخاص المنهكين يمتلكون اقنعة مختلفة كما قلت
سالفاً .

كم من الاشخاص يخفون حاجتهم للهيمنة تحت قناع
«الطيبة» المبالغ فيها؟ (حتى لو كانت غير واعية) . والآلية حاذقة
جداً . أحد افراد اسرتك مثلاً يهيمن عليك وانت تشعر بعدائية
داخلية مشحونة بالانفعال ولكن اذا كان هذا الشخص طيب
بصورة مدهشة نحوك فكيف يكون بوسعك تفريغ هذه العدائية
الانفعالية؟ سيكون الكبت حينذاك بكل معانيه . . .

وبالاسلوب ذاته كم من الاشخاص يلعبون لعبة الشهادة
«للحصول على ما يتغنون بصورة أفضل؟ كم من الناس يتعلق
بطفله ويحتضنه؟ كم من الامهات يمنعون ابناءهم لاشعور بأمن
أن يصبحوا رجالاً ويفعلون كل ما في وسعهم كي يظلوا اطفالاً
صغاراً؟ وفي هذه الحالات يمكن استخدام أية وسيلة ابتداء من
التسلطية وانتهاء بالاقنعة المتعددة التي قد تخفيها . . .

متى يلتهم هؤلاء الاشخاص المنهكين طاقة الذي يتعايشون
معهم؟ في المقام الاول عندما يصبح من المستحيل تفريغ

العدائية الانفعالية . (قد تكون هذه حالة الطفل في مواجهة والديه أو مستخدم بمواجهة رئيسه) فضلاً عن ذلك فإن الشخص الذي يشعر بحاجة شديدة للهيمنة هو شخص مصاب بالعُصاب . حيث تمثل الهيمنة بالنسبة له آلية للامن الداخلي . فالتكيف لمثل هؤلاء الاشخاص لا يعد صعباً جداً فحسب بل كثير التجدد والتغير . وبالنسبة لهؤلاء الاشخاص فإن نمط الحياة لا يُعد موجوداً لانهم دائماً متوترين ومكتئين ومترصدين والتردد هو سمتهم الاساسية . ولكن علينا الان ننسى ان هذه التعايشات غالباً ما تدوم لسنوات عديدة . هل نشعر بالانفعالات وبالثورات وبحالات الغضب «المكبوت» التي يثيرها مستهلكو الطاقة هؤلاء؟ ما هي شكاوي الاشخاص الذين يعيشون معهم؟

هناك الكثير من النقاط المشتركة التي يقدمها هؤلاء الاشخاص أهمها : الاجهاد الدائم وتضاءل الشخصية واستحالة ان يكون طبيعياً واستحالة الفعل العقوي والحساب الدقيق لا بسط فعل والشعور بالنقص والحرمان والتهرب من المسؤولية . . . الخ .

لقد ذكرت ان الهيمنة قد تتجسد بصيغة خالصة ولكن ايضاً قد يكون لها عدة أوجه تغطيها . وان الحالة الاخيرة هي التي تولد الداء الاكثر ضرراً .

● المتسلط البحث

هناك فرقاً شاسعاً بين السلطة والنزعة التسلطية ، فالسلطة تعتبر القيادة مجرد وسيلة ، وترمي السلطة الى تحقيق اتساع حقيقي ، وهي تحترم الاشخاص الذين تقودهم . هذا ما نسميه بالقيادة الديمقراطية بصفاتها الخالصة ، وهذه السلطة الاصلية تعطي لانها تمتلك الثروة والقوة .

ومن هو المتسلط ؟ انه العكس تماماً . . . فالمتسلط يعتبر القيادة هدفاً بحد ذاته وتمثل هذه القيادة بالنسبة اليه الطمأنينة الداخلية وهو يرفض كل شكل من أشكال النقاش حول هيئته . انه يطلب كل شيء ولا يعطي شيئاً . والمتسلط عدواني ، اذاً هو شخص ضعيف ! وتعد قيادته هجوماً معقداً . انه يهاجم خوفاً من أن يُهاجم وذلك لانه يشعر بالضعف والغبن . وتعد النزعة التسلطية والهيمنة بالنسبة للضعفاء تعويضات من الدرجة الاولى . ان التقليل من قيمة الآخرين يمنحهم شعوراً وهمياً بالتفوق والقوة . فضلاً عن ذلك فانهم يحسون بقدرتهم على انجاز عمل ما دون ان يضطروا الى بذل الطاقة الابداعية الضرورية الذين هم غير قادرين عليها . وفي الحياة اليومية يزداد بكثرة هذا النوع من الرؤساء البدلاء .

وفي نفس هذه الحياة اليومية يتمكن المتسلطون البقاء بفضل عوامل عدة ، وقبل كل شيء بسبب العوامل النفعية : مثلاً ، أحد

المرؤوسين لا يعترضون خوفاً من فقدان عمله، أو مرؤوس خائف... الخ.

ومن ثم سبب اللبس الابدئي ما بين القوة والعدوانية، غير اننا لاحظنا عدة مرات ان العدوانية تتعارض مع القوة... وهناك لبس آخر ما بين القساوة المهيمنة والارادة. واذا كان المتسلط يبدو ارادياً بشدة فهو بالتأكيد لانه لا يمتلك ارادة حقيقية مطلقاً... لانه لا يمتلك قوة ذهنية!

وتستتج ان المتسلط يعاند لاتفه الاسباب. لماذا؟ لان أية معارضة تضعه أمام عدم يقينه وضعفه. وعناد المتسلط هو الأب المسكين للارادة. واذا كان بالامكان اعتبار العناد نوعاً من الارادة فان البغال ضمن هذا المنظور ستكون قوية الارادة (وسأتناول هذا الموضوع في الفصل المخصص للارادة).

ويحدث كل هذا توقعات في الصحة لان التعايش مع متسلط يُعد فعلاً متعباً وبخاصة اذا كان يمثل محرماً يمنع اخلاقياً الثوران بوجهه كما سبق وان ذكرت.

حالة من الهيمنة المقنعة:

إيف رجل في الثلاثين من عمره وقع ضحية للعُصاب والانهاك لان عمته التي اشرفت على تربيته لم تدعه قط يكمل عملاً ما دون ان تساعدته. لقد فرضت هذه العمّة مساعدتها عليه كما

فرضت افكارها وتوصياتها . حضور مستمر وهوس بالمساعدة وتقديم النصيح .

هاكم ما يقوله إيف : « . . لم أتمكن قط من إكمال عمل ما مهما كان تافهاً دون ان تتدخل لمساعدتي . . . لا أستطيع ان أفسر ذلك . . . لقد كان امراً منهكاً ان يترك الانسان نفسه يسقط في حفرة ويتيح للآخر حضباته وتدليله . . . وخذوا هذا المثال : جلب الفحم اليس هو عملاً في متهى البساطة ؟ ومع ذلك فإنها كانت تفرض علي مساعدتها بحجج مختلفة . . .

لا تأخذ كثيراً . . . انه ثقیل . . . يجب علي ان اساعدك ، انا افعل هكذا . . . الخ . أو عند القيام بعمل رزمة ؟ ورزمة تافهة مثلاً ؟ (ذراعاً إيف كانتا ترتجفان بسبب الثوران) . . . ليس هناك امكانية للقيام بها بصورة منفردة . . . فعمتي مستعدة دائماً وملتصقة بي وبالرزمة . . . كانت تلاحظني كيف أضع الشيء المقصود . . . وهذا يحدث كل يوم هل تسمعني ؟ وعندما أفلح أحياناً بالقيام بشيء ما تسمح لي القيام به فكننت أشعر وكأنني أحمق لا يزيد عمره على الثلاث سنوات .

لقد كنت اشعر بفقدان رجولتي واستمر ذلك (١٨) عاماً ! هل كان علي أن اثور ؟ كانت عمتي شديدة الطيبة فقد كانت تغمرني بعطفها . ولم تكن تفهم ثورتي لانها كانت تعتقد ان ما كانت تفعله أمراً جيداً دون ان تعرف بانها شديدة التسلط على الرغم من

«طبيتها» . . . لقد كانت تبدو حساسة ومقطبة عندما يقال لها العكس! كنت اشعر بالانقباض عندما أقوم بعمل شيء افضل ان تقوم به هي . . . وحتى بالنسبة للأعمال الكبيرة كنت ابدو وكأنني خامل! لقد ابتلعت الغيظ الداخلي لثمان عشرة سنة ولم يكن لدي شعور قط بانني رجل عفوي . . .»
وما هي النتيجة؟ لم يعد إيف قادراً على تحمل أية مسؤولية وتحول الى انسان شاذ جنسياً . . . هذا كل ما في الامر لكنه مأساوي .

حالة اخرى

جاك مراهق والدته كانت تعتقد انه ليس بوسعه عمل شيء بدونها . وهي حالة شبيهة ببعض الشيء بحالة إيف وفي يوم من الايام توجب على جاك نقل شيء قابل للكسر الى غرفة الإستقبال . انه فعل اعتيادي كما يبدو! وللمرة الالف تتدخل والدته قائلة : « . . . انتبه جيداً . . . كنت أرغب نقل ذلك بنفسى جنسنا فعلت بالسماح لي بتغليفه ليكون الأمر أكثر أماناً . . . انتبه جيداً ، لا تنزلق . . . انتبه . . . احمله برفق ولا تأخذه بشدة! انتظر: دعني أحمله بقصاصة ورق . . .»

والمراهق الذي شعر باليأس رد على والدته وهو يصرخ :
«انتي انقل حاجيات منذ سنين طويلة هل تسمعينني! هل سقط شيء في احد المرات؟ هل تعتقدين بانني لا زلت في الثالثة من

عمري؟» ليس هناك ما يمكن عمله ، فأما ان تقاطع الام المصابة بالعُصاب أو تقول ان ولدها «خوطباع سيئة» . أو أنها تكرر: «كلا ولكن انتبه على الرغم من ذلك . . » وأخيراً بسبب الانهاك الذي اصاب المراهق يُسقط الحاجة من يده على الارض بعصبية رهيبة ويخرج دون ان يتفوه بكلمة .

لقد روت لي الأم هذه الحادثة قائلة : « . . . انه طبع لا يتسم بالعرفان يا سيدي ، لقد فعلت كل شيء من أجله . . أوه! انهم شباب اليوم . . ! » وعندما حاولت ان أشرح لهذه السيدة ببساطة ان متابعتها التسلطية له كانت في طريقها لان تسحقه وان الحاجة المكسورة لم تكن سوى فعل رجولي ثائزوكادت أن تختقني .

حالة اخرى

انها حالة من الهيمنة المقنعة ايضاً . وهنا الطاعة غير مطلوبة عن طريق أوامروانما هي مطلوبة كحالة ودية . وهذا ما يسميه جانيه «هوس الحب» . ماذا يقول المصاب بالعُصاب من هذا النوع؟ «اني بحاجة ان اكون محبوباً بصورة دائمة واكون محاطاً ومدللاً كما اني بحاجة ان يهتموا بي ولا أستطيع تحمل شيء يجري خارجاً عني» .

ويقول جانيه : «ان الذين يسمونهم بالراغبين في ان يكونوا محبوبين لا يتحملون قط التعرض للهجوم أو الغبن بأي شكل من

الاشكال . انهم بحاجة للمديح والاطراء الدائمين والثناء الذي يصعد توترهم النفسي . وبالنسبة لهؤلاء الاشخاص فان الحب يمثل بالنسبة لهم أخذ فقط ويكل بساطة دون ان يعطوا أي شيء لهم سوى الانهاك . وعلى الشخص المتعايش اذاً ان يكون جاهزاً دون توقف لتلبية رغباتهم ولحالات ضعفهم وليتفادى احزانهم وملامتهم وتصرفاتهم الانتحارية وحساسيتهم . . .

❶ الغيرون

الغيرة هي مصدر ألم قاتل لكثير من العوائل . والغيرة قد تكون بسيطة او مرضية . والشخص «المحبوب» مقيد بصورة مطلقة ومحاط بطوق دائمي . فضلاً عن ذلك تظهر عدائية مهروسة ووحشية بدون توقف تجاه أي شيء قد يتسبب في تشتيت الشخص «المحبوب» كالدراسات الشخصية والعمل والكتب والاصدقاء . . . وحتى بالنسبة للافكار الصامتة (كالتأمل) ، والشخص الغيور لن يُقر ان الشخص «المحبوب» يفكر أو يحلم بمفرده لماذا؟ لانه قد يخرج بذلك عن الدائرة المغلقة التي احاط بها نفسه . وهذا ما يقوله رجل يعيش مع امرأة غيورة :

«انه لأمر منهك حقاً ، فانا مجهد بصورة جنونية وأخاف العودة الى منزلي . . . لان أي موضوع قد يكون حجة لاندلاع الغيرة . . . فربطة العنق الجيدة والمرح والابتسامة على الشفتين كلها قد

تسبب في اثاره الغيره . . . وتقول لي مثلاً:
«هل صادفت امرأة اخرى جعلتك تبتسم هكذا؟
نعم لقد اكتشفت بانني لم أعد جميلة لكنني اريدك ان تكون
لي بمفردي» .

أنا لا اجيب لعدم جدوى ذلك ، انها فعلاً فكرة متسلطة أني
اشعر وكأنني سجين تحت الرقابة الشديدة واذا لم اكن أفكر بشيء
فانها تلومني لأنني لا أفكر فيها واذا لم أتكلم فتلومني لكوني لا
ابالي . . .

أما في الشارع فان المراقبة لا تطاق . . . فعلي السير متصلياً
لان هناك نساء يسرن في الشارع . . . تصورا! لقد اضطرت
للتخلي عن كل اصدقائي الذين يبدون وكأنهم ياخذون شيئاً من
حبها . . . كما لا اتجرأ حتى على المطالعة . . . واذا ما استمر
الحال معي ستة اشهر اخرى فانني قد أذهب الى المستشفى . . .
لذلك وصلت الى الدرجة التي افضل فيها البقاء في محل عملي
رغم كرهني الشديد له . . . والغيرة اذاً هي تشبيهة كاملة لانها تعد
الشخص «المحبوب» وكأنه شيء عادي مملوك لا يحق له التمتع
بقليل من الحياة الشخصية والعفوية .

والغيرة غالباً ما تكون علامة لضعف معنوي وفقر وجداني
كبير . والشخص الغيور يحاول ان يسد فراغاً داخلياً تتمركز فيه
غالباً مشاعر النقص . كيف نحفظ اذاً بهذا الشيء؟ عن طريق

سجنه ذهنياً . وهو أمر شائع ، وقد يكون السجن جسدياً ايضاً .
وهو ما يحدث أحياناً !

والحقيقة ان امتلاك شيء ما يتطلب نوعاً من الجهد للحفاظ عليه ، وهذا ما لا يستطيع الغيور القيام به . لذلك يتوجب عليه اطلاق دكتاتوريته كشكل من أشكال الهروب الذي سيتطلب بدوره العمل على استرجاع ما يفقده . . ومن هنا تنبع العدوانية العنيفة ضد الاشخاص الغرباء الذين قد يتسببون في عملية الاسترجاع هذه .

(مثال : تصبح المرأة الغيرة عدوانية تجاه اصدقاء زوجها الذين «يخطفونه منها» ويرغمونها كما تعتقد على استعادة حُب زوجها . . .)

والغيور يعتقد بانه يُحب غير انه لا يبحث سوى عن طمأنينته الداخلية ، والغيرة لدى الكبارهي على الدوام دلالة على قصور نفسي ولدى الاشخاص الغيورين يكون فقدان الامن شديداً ومتعددأ بحيث ان ابسط هزة قد تكشف عن أزمة وجدانية . . ومن هنا نفهم أن الدكتاتورية والقوة البوليسية هي السلاح الوحيد بيد الغيور . وقد تسبب ابسط اشكال «الهروب» من الشخص «المحبوب» في احداث القلق النفسي والاستحواذ وفي بعض الاحيان البغضاء الشديدة .

والغيرة هي احدى صيغ النزعة التسلطية التي قد تسبب

بدورها في حدوث حالات عدم توازن جديدة كالاستحواذ والفكرة المتسلطة والتفريغات العنيفة والعاطفية والاجترار الذهني . . الخ كل ذلك على حساب الشخص السجين .
واكرر اذاً ان الغيرة دلالة على عدم التوازن الوجداني .

● الغيرة لدى الاطفال

هناك الكثير من الاليات التي تتدخل في الموضوع وبسط اشكالها هي عندما يغار الطفل الاكبر من الطفل الذي بعده والذي يعتبره وكأنه قد استحوذ على كل حب والديه . وهذه غيرة طبيعية يمكن التخلص منها عن طريق الموقف الذي يتخذه الوالدين والمسؤولية التي يمنحونها للطفل الاكبر .

وفيما بعد يصبح الطفل الاصغر هو الذي يغار من أخيه الاكبر، لماذا؟ لاسباب تتعلق بالتفوق الجسدي والمعنوي الناجم عن السن . وهنا ايضاً يعتمد كل شيء على الوضع العائلي . وهناك نوع آخر من الغيرة تتعلق بغيرة الطفل تجاه أحد والديه من ذات الجنس (مثال : الولد يغار من والده) . وهذه الصيغة تعد الاكثر أهمية وسنراها لاحقاً عند دراسة التحليل النفسي وبالأخص عقدة أوديب .

وتبقى غالبية المشاعر لا واعية (وبخاصة في عقدة أوديب!) ورغم انها لا واعية غير أنها تعمل ! ماذا يفعل الطفل اذاً؟ انه يفرغ

غيرته عن طريق عدوانيته الخطرة. أحياناً . أو يكون التفريغ رمزياً في بعض الأحيان . يقوم الطفل بتدمير الدمية النائدة لمنافسه بشدة أو يدوسها بقدمه . . الخ أو أنه يلعب مع الدمى ويظهر غريمه بشخصية حقيرة . أو يقوم الطفل برسم غريمه وهو مرفوض من العائلة مقتولاً أو قد سُخر منه .

وقد تتسبب الغيرة الطفولية في ظهور اعراض عصبية وبخاصة التشنجات وسلس البول (انظر المعجم) .

والحالة الأكثر خطورة تظهر عندما يبدي الطفل تراجع وجداني حيث يتضاءل ويشعر بالنقص : يبقى طفولي ويلعب مع الاطفال الصغار بغية جذب انتباه الولدين . وهذه الحالة تُعد صعبة اذا ما استمرت حيث قد يتسبب ذلك في العُصاب . . وسيكون لدينا عندئذ مراهق مصاب بالعُصاب وطفولي ومتراجع وجدانياً وغير قادر سوى على مواجهة الفشل الدائم .

ومن حالات اخرى يشعر الطفل بغيرته العدوانية وكأنها خطأ جسيماً (ويمكن التأكد من ذلك في عقدة أوديب) . واذا لم تنته هذه الحالة بصورة طبيعية فاننا سنشاهد البالغ وهو مليء بمشاعر الذنب اللاواعية ومشاعر النقص والشذوذ الجنسي المستتر . الخ وسأتحدث فيما بعد عن كل ذلك .

● الغيرة الاسقاطية

عليّ طرح حالة معينة (وهي شائعة نوعاً ما) توضح بعض «الخفايا» الغريبة أحياناً للغيرة ونقصد هنا موقف أكثر حدة لاحدى الصيغ الرهيبة لغيرة والتي قد تتدخل مع عوامل مختلفة . فهي تصبح فكرة متسلطة تصل الى هذيان الاضطهاد .

وهذا ما يقوله السيد (س) : «زوجتي تتهمني باستمرار بانني عشيق لعدد من النساء اللاتي تعرفهن وهي تدعي بانني اراد صديقاتها وكل النساء اللاتي التقى بهن وهي لم تتوقف عن ذلك قط . وقد اصبح الامر لا يطاق وحياة كالجحيم . وفور عودتي الى المنزل تبدأ فورات الغضب والاتهامات المتواصلة . . . انها تحاول اختباري في كافة الاحيان . . . وعندما نكون في مجتمع معين فان ذلك يصبح امراً رهيباً . وقد يصل بها الحال ان تصفع امرأة لانني نظرت اليها بكل بساطة !

وتقول عني ان لدي الكثير من العلاقات الفاسقة و بانني شخص فاسق . . . صدقني اني أعاني من ألم شديد . . . والادهى من ذلك ان زوجتي تعرف جيداً ان عشيقاتي لسن من «النوع» الذي افضله . وهنا يتدخل المحلل النفسي حيث ان هذا النوع من الغيرة هو نوع مرضي بما لا يقبل الشك . واذا كانت الزوجة ذاتها أمام المحلل النفسي فانه سيكتشف بسرعة الآلية

التي قد تفسر كل شيء.

أعود مرة أخرى لحالة هذا الزوج البائس ، فالزوجة مقتنعة تماماً ان زوجها يخونها مع نساء أخريات بطريقة فاسقة ومعيبة .
وانذاك تكتشف حالة صميمية غريبة جداً بالنسبة للشخص الجاهل لكنها شائعة بالنسبة للمحلل النفسي .

١ - ان طراز النساء المتهمات لا يتطابق مع الطراز المثالي
الاثني للزوج .

٢ - ان هذا الطراز من النساء يتطابق تماماً مع الطراز المثالي الذي تفضله الزوجة . فهل ان هذه الزوجة شاذة جنسياً؟ نعم انها شاذة جنسياً ولكن بصورة غير واعية وخفية . وبما انها شاذة جنسياً بصورة لا واعية فانها تأمل في مراودة النساء الأخريات . لماذا لا تفعل ذلك؟ لان شذوذها الجنسي لا شعوري ولان هذا الشذوذ مكبوت عن المناطق الواعية للدماغ بسبب المفهوم الاخلاقي لهذه الزوجة . ألا تتهم زوجها بعلاقات «فاسقة» وهي تعبر عن اتجاهاتها الاخلاقية التي تشعر بها في داخلها؟
وعلى اية حال سواء أكانت هذه الغرائز الجنسية اللاواعية مكبوتة أم غير مكبوتة فانها تفعل فعلها!
ماذا يجري اذاً؟

١ - ان هذه الزوجة ترغب لاشعورياً في مراودة النساء .

٢ - انها لا تستطيع وهي غير قادرة على القيام بذلك .

٣ - من يقوم بصورة عامة بمراودة النساء؟ انه الرجل أي زوجها.

٤ - في هذه الاثناء تسقط الزوجة أهتماماتها الشخصية على زوجها وتصبح هي زوجها وهي مقتنعة بانه سيقوم بالافعال التي كانت ترغب القيام بها بنفسها.

٥ - انها تغار من زوجها لأنها كانت تتمنى ان تحل محله ومن ثم اذا كانت تعترض زوجها تبدأ حالات الغيرة الشديدة لآلية قد تبدو «خيالية» لكنها تعتمد على الاتجاهات اللاشعورية القوية . . . وفي هذه الحالة المحددة هناك ضحيتان : الزوج الذي يعاني من زوجته والزوجة التي تتمزق باستمرار نتيجة صراع داخلي مرير ما بين :

أ - اتجاهاتها اللاشعورية الشاذة جنسياً.

ب - وماذا تعتقد خارجياً : امرأة اعتيادية جنسياً . .

والحالة المعاكسة قد تحدث ايضاً عندما يكون الزوج مصاب بالذهان المزمن أو الشذوذ الجنسي اللاشعوري الذي يسقط اتجاهاته على زوجته فهو يصبح بدل زوجته التي يعتقد بان الرجال يراودوها ويريد في داخله ان يحل محلها .
وهكذا نلاحظ جيداً ان الغيرة قد ترتدي رداءات مختلفة .
فالغيرة البسيطة لا يجوز اعتبارها شاذة .

مثال : غيرة الطفل لا تصبح شاذة الا اذا اكتسبت صفة

الاستمرارية أو اذا أدت إلى تراجع وجداني .وقدر تعلق الامر بغيرة البالغين فهي غالباً ما تكون ذات طبيعة شاذة . انها حينذاك علامة عن حالة وجدانية قاصرة ويجب ان تخضع لمعالجة نفسية عميقة .

● التفان المتسلط

«لم يعد لدي والدين» هذا ما يقوله پول . « اني أعيش مع جدتي منذ عشر سنوات ولا ادري اذا كنت احبها أو أكرهها ، اعتقد الاثنان معاً . . جدتي متفانية حقاً ! وبصورة مبالغ فيها ربما . انها تفرض علي ما تعتقده صحيحاً حتى وان لم يتفق ذلك مع رغبتني . وماذا عن رغبتني ورأي الشخصي ؟ انها لا تصغي اليهما فهي تهتم باعداد الطعام ، وعلي ان اتناول يومياً اللحم الاحمر لانه مفيد للصحة . انه «مفيد جداً» هذا اللحم الاحمر بينما أنا أكرهه بشدة . وقلت لها ذلك آلاف المرات ولكن ليس هناك ما يمكن فعله . فعلي تناول اللحم الاحمر يومياً . ويحدث الشيء ذاته بالنسبة للامور الاخرى انها تفرض علي تفانيها ومساعدتها وانا مضطر لابتلاع كل شيء خوفاً من العتاب انها تدور حولي كالذبابة الطنانة واذا حاولت افهامها بان لي ذوقي الخاص ايضاً فاني كما لو كنت اتحدث الى حائط . ان ذلك يتعبني الى اقصى الحدود . كم من المرات اضطررت الى التقيؤ بعد وجبة العشاء لانني كنت ثائراً

وغاضباً؟ ولكن يحدث في بعض الاحيان ان يخرج غضبي
الداخلي واصبح قاسياً بصورة رهيبة لان التفسير لا يجدي نفعا
انها لا تفهم ان من حقي ان تكون لي رغبة شخصية . وبعدها كل
شيء يتفجر كمرجل واقع تحت الضغط ويشير غضبي بصورة لا
تطاق بحيث اصببت بالذهول . غير انني شعرت بالندم العميق
لأيام طويلة ولم أكن أعرف ماذا أفعل كي تسامحني وبدأت
أتصرف كالطفل الصغير والاطفها . . . لقد مضت ثلاث سنوات
وأنا احاول أن ادفع لها الايجار، اليس ذلك أمراً طبيعياً؟ انني
أعمل وهذا يمنحني انطباع باني رجل مستقل . . . لقد رفضت
ذلك دائماً وهي تشعر بالحزن لدى اصراري على الدفع .

وهنا ايضاً تفرض علي تفانيها ومساعدتها! وفي قرارة نفسها
فانها تمنى ان ابقى خاضعاً لها . واذا ما أردت أن اكون رجلاً
فعلي أن اتركها ولكني لست قادراً على تحقيق ذلك . . . انها لا
تشعر بالاذى الذي يلحق بي باعتقادها انها تمنحني كل الخير في
هذا العالم . . . »

وها نحن ايضاً أمام حالة من النزعة السلطوية الخفية ، وهؤلاء
الاشخاص لا يتفانون فعلاً بل انهم يفرضون تفانيهم في أي ظرف
كان .

ان لهم هوس فرض قبول الهدايا بطريقة لطيفة وأنهم يفعلون
كل شيء بمفردهم . وهم يعطون انطباع ان الآخرين غير قادرين

على القيام بأي عمل ناجح !
فضلاً عن ذلك فانهم يشعرون بحاجة للحصول على العرفان
الذي يعزز طمأنينتهم الداخلية . أما خارجياً فهم يبدون وكأنهم
في حالة ممتازة وهم يتمنون ان نحس بذلك ونقوله لهم .
وهكذا نفهم ان الانقباض والانهاك يظهران لدى المتعاشين
معهم مع كافة الاحتمالات الممكنة المتمثلة بحالات الخجل
والشعور بالنقص وانعدام الرجولة والفشل والعُصاب والوجاع
المعدية . . . الخ وسأتحدث عن ذلك لاحقاً . . .

كيف يقود مستهلكو الطاقة أقربائهم الى الانهاك
والعُصاب؟

انه لأمر مؤلم ان يكون للمتسلطين (بدون قناع أو مع القناع)
تأثير عميق وفوري على المحيطين بهم . ما هورد فعل الاقربون؟
انه قبل كل شيء انفعالي الى حد كبير .
ما هورد الفعل الذي تريد الحصول عليه أمام شخص «جامد»
فعلاً؟ أمام شخص يفرض كل شيء ويراقب كل شيء وهو مغمور
بالتفان والطيبة المهروسة؟

ستظهر ردود فعل تتمثل في الثوران الانفعالي والمخاتلة
والفزع والانقباض والكذب والهيجان الداخلي والغضب
المكبوت والندم والشعور بالذنب والنقص . . . وعبر كل ذلك فان

الشخص يحاول انقاذ شخصيته المستقلة! انها تتمثل في آلية الانفعال دون تفريغ ثم يثور وكأنه نوع من السرطان المعنوي الصامت.

وسنرى في الطب النفسي - البدني الاثار الجسيمة والنفسية للانفعال. وهكذا أستمع دائماً الى : «انه ثقل يومي رهيب، من المستحيل تفسير ذلك منطقياً . . . أنها نفحات تصعد الى رأسي ومضايقات في المعدة وغثيان . . . إني لا أدري ما يجب عمله لارضائه أو لارضائها. كنت افضل مئات الافعال الواضحة بدلاً من آلاف ردود الفعل الصغيرة التي قد لا نعرف نتائجها قط. أني أعيش دائماً في حالة ترقب . . . أنها أو (انه) تقتلني دون أن تعلم . . . كيف تريسدون مني ان أكون رجلاً في مثل هذه الظروف؟ يجب ان أكافح بشدة حتى أتمكن من التصرف بمفردتي . . .»

وهكذا نرى ان «هضم» المشاعر العديدة المتناقضة يصبح أمراً صعباً وحتى مستحيلاً. فيظهر الانهاك ولا يعد بمقدور الوعي القيام بعملية التجميع. كيف يمكن لمراهق يعيش مع تسلط ان يتقبل ويمزج مشاعر متناقضة تماماً؟ الحب حالياً والثورة والبغضاء المكبوتة مستقبلاً؟ وكيف لا تضيع وجدانيته وهي تتمزق من هذا الجانب أو ذاك ولفترة طويلة؟ هل بوسعه حفظ شخصيته سليمة وهي تتعرض للتشقق الدائم والهزات المستمرة؟

. وتصبح (الانا) في مواجهة الشخص المنهك منقسمة ومشتتة ومزدحمة «بالتوابع». اننا سنصاب بالفرع اذا فكرنا ملياً بالعدد الذي لا يخصى من الامراض النفسية والتربية الناقصة والشذوذ الجنسي والفشل الكامل الناجم عن النزعة السلطوية بكافة اشكالها. . . . وعالم النفس يعرف النتائج الشائعة. .

الهستيريا

لقد عرفنا جانيه مديراً لمختبر علم النفس المرضي . لقد كانت الهستيريا انذاك «الملكة المتوجة» .

ما هو هذا المرض المتعذر الوصول اليه؟

تعد الهستيريا مرضاً مضطرباً بصفة عامة . وهي ليست وليدة قرننا الحالي المضطرب ! فقد شغلت الاطباء والاطباء النفسيين لمئات السنين وجعلتهم يعيشون في كابوس الاختفاق . . . وفي الوقت الذي كانت لا تسبب فيه الهستيريا اختلاجات عصبية فانها كانت تسبب أوجاعاً في الرأس ، وعندما تختفي الاختلاجات تبدأ حالات التقيؤ بالظهور وبعض حالات الشلل وقد يجد الشخص المصاب بالهستيريا نفسه وقد أصيب بالعمى بصورة مفاجئة ودون أي سبب عضوي ظاهر . واذا ما أختفى العمى فقد يظهر الصمم اذا جاز القول .

لقد كانت تسبب الهستيريا أيضاً في حالات الاستحواذ

والالزمات والافكار المتسلطة وأوجاع شديدة أحياناً .

وقد ادى العدد المتزايد والمتنوع لاعراض الهستيريا الى ايقاع الاطباء تحت وطأة الفزع . فقد كان لكل واحد منهم رأيه الخاص ، غير ان الرأي الثابت الوحيد هو الجزم ان الشخص مصاب بالهستيريا . . هل هي مجرد ازمة عصبية ؟ قد يكون ذلك صحيحاً . هل هي امرأة شديدة الشبق جنسياً ؟ الجواب ذاته . لقد كان امراً يسيراً بالتأكيد ان نحلل بهذا الشكل ولكننا كنا في الواقع بعيدين كل البعد عن الحقيقة .

ويعتقد الكثيرون انه مرض اثوي فحسب . وأسم المرض تابع من هذا الاعتقاد القديم . ولكننا هنا أيضاً نبتعد عن الموضوع الحقيقي .

علينا ان نعلم في المقام الاول الآتي :

أ - ان الهستيريا مرض يصيب الرجال والنساء على حد سواء .
ب - انه ليست هناك هستيريا وانما سلسلة من المظاهر الهستيرية . هذه المظاهر هي عادية وعارضة أو قد تكون وراثية ودائمة .

ما هو العمر المدني للهستيريا

ليست للهستيريا سن محددة . . فهي ترجع الى سالف العهود فالعصور القديمة قد شهدتها ايضاً . ولكنها كانت تقتصر (بسبب

الغرور الرجالي أو الجهل) على النساء فقط . وفيما بعد كان هناك اعتقاد ان لوسيفير* ذاته قد وقع في فخ الهستيريا . وفي القرن التاسع عشر بدء اطباء الامراض العصبية يهتمون بهذا الموضوع المعقد وعلى الرغم من التقدم العلمي فانهم لم يتمكنوا من تفسير اشياء ذات أهمية في البداية غير ان الجوالعام تغير . ودخل الشيطان الى الكواليس وخرج اطباء الاعصاب منها ، غير أن المصابين بالهستيريا بقوا على خشبة المسرح ولم يتمكن أحد من التوصل الى معرفة وجوهه المتعددة . واكتشف العلم شيئاً فشيئاً ان المصابين بالهستيريا لم يكونوا بمتظاهرين واعين ولا بملعونين بل مرضى كبقية المرضى الآخرين !

ان فضول الطب ليس له حدود فالمظاهر الهستيرية انتشرت امامه غير ان السر ظل غامضاً . ألم يسميها لازيك : « انها سلة الورق التي نضع فيها كل شيء غير قابل للتصنيف . . » وبحلول القرن العشرين برز علماء نفس الاعماق كما تعزز اتجاه الطب النفسي - البدني . ومنذ ذلك الحين أخذ كل شيء يتغير وأخذت معالم الهستيريا تتضح بدقة شيئاً فشيئاً . وقد برهن شاركو على ان المظاهر الهستيرية قد تتولد بشكل ارادي عن طريق التنويم المغناطيسي كما ان الاخير قد يساعد في اختفائها .

* لوسيفير - توفي عام ٣٧٠ ميلادية وهو رجل دين انفصل عن الكنيسة

بينما الذي يذكر التنويم المغناطيسي يعني في الوقت ذاته الايحاء المتعذر القبول فوراً من المراكز العصبية اللاشعورية .

وقد اكتشف جانيه ايضاً الشبه الشديد ما بين مظاهر التنويم المغناطيسي والمظاهر الهستيرية وكان يعتقد ان المصابين بالهستيريا يضعون في ذهنهم انهم مشلولين وعميان . وهذا يعني انهم يحملون في رأسهم فكرة متسلطة على أثر ايحاء ذاتي لا يقاوم . ولكن من اين تأتي الفكرة المتسلطة لدى المصابين بالهستيريا؟ ومن اين جاء الدماغ الهستيرى بالقوة الضرورية لظهور الشلل أو الاستحواذ أو الخرس؟

وهكذا نلاحظ بصورة أفضل قوة الايحاء او الايحاء الذاتي في هذه المظاهر الهستيرية ونفهم عن طريقها الآلية العصبية . فقد بحث علم النفس في الجذور العميقة . واليوم اصبحت المظاهر الهستيرية قابلة للشفاء كأي قصور نفسي آخر.

ما هي المظاهر الهستيرية الكبيرة؟

* الازمة : اضطراب غير متجانس وكامل دون عض اللسان .
وليس هناك نقص في اليوريا (كما هو الحال في الصرع) . انه سيل عارم من الاحاديث وفيض من الدموع والضحكات ونحيب يشوبه صراخ أحياناً . ويبقى الضمير فعالاً والذهن في حالة تيقظ واذا ما كان هناك سقوط فان المصاب بالهستيريا يختار المكان الذي يسقط عليه وهو لا يؤذي نفسه قط (الأمر الذي قد يشير

الاعتقاد انها عملية مضطنعة تماماً . .).

* حالات الشلل : انها شائعة في الهستيريا فأما ان تكون :

شلل أحادي = شلل لعضو واحد

فالج شقي = شلل نصفي

كُساحة = شلل يصيب النصف السفلي في الجسد

* العمى والخرس : ليس هناك اساس عضوي (للتذكر الشابة

التي عولجت على يد ميسمر وكانت بصيرة وهي في الثالثة من عمرها).

* تشنجات وتقلصات : وهذا يؤدي الى التهاب السحايا

الكاذب والتهاب الزائدة الكاذب وفي بعض الاحيان الحمل

الكاذب . الخ وقد يقطع الاحساس الواعي ، وفي بعض الاحيان

قد يقوم بعض المصابين بالهستيريا بحرق انفسهم ويبترون

اعضاءهم دون ان يشعروا بأي ألم ونحن نعلم في الوقت ذاته ان

بالامكان اجراء عمليات دون الام باستخدام التنويم المغناطيسي

أي استخدام الوحي لازالة الاحساس من بعض اجزاء الجسم .

وهنا ايضاً نجد علاقة وثيقة بين المظاهر الهستيرية ومظاهر التنويم

المغناطيسي . وهناك سؤال يطرح نفسه : لماذا لا يحس دماغ

المصاب بالهستيريا أو الواقع تحت تأثير التنويم المغناطيسي

بصورة واعية بالالم (كالحروق ومبضع الجراح) في هاتين

الحالتين هناك سبات للدماغ الواعي سواء أكان عفويًا كما هو الحال في الهستيريا أو عن طريق التحفيز كما يحدث في التنويم المغناطيسي . وهنا يجب ان نتذكر ما يلي :

ان الفكرة المتسلطة تؤدي الى سبات بعض اجزاء الدماغ التي لا تتفق مع هذه الفكرة . هذه الاجزاء المكبوحة من الدماغ تؤثر بغية الا يصبح الألم شعورياً . .

وقد يتعرض المصاب بالهستيريا الى فقدان الذاكرة ويجد نفسه بعيداً عن المكان الذي يسكن فيه . نقع هنا في حالتين غريبتين احدهما تؤدي الى اطالة أمد الأخرى وهما : السير والتكلم في النوم وازدواج الشخصية .

* السير والتكلم في النوم : انها احدى المظاهر الاكثر تشويقاً في مرض الهستيريا . ماذا يجري عند السير والتكلم في النوم ؟ انه فعل حقيقي ولكنه لا شعوري . ويبقى الشخص متيقظاً لشيء واحد : انه الحلم الداخلي . فهو ينهض ويسير ويشرب ويأكل ويقوم بافعال متنوعة . فهو يعيش منامه فعلياً ويطيع بصورة عمياء الاوامر التي توجه اليه في الحلم . ومما تجدر الاشارة اليه فان السائر والمتكلم في نومه لا يمتلك شعوراً حقيقياً لذلك فهو لا يعرف الخوف . وهذا ما يفسر قدرة النائم على القيام بافعال خطيرة دون خشية وهو مالا يستطيع القيام به في الحالات الطبيعية .

وعندما يعود الى رشده فانه لا يتذكر أياً من افعاله الشاذة . ولكن قد تمتد هذه الافعال اللاشعورية لفترة طويلة وبذلك نصل الى حالة الازدواج في الشخصية . وفي هذه الحالة يعيش الشخص في اثنين من (الانا) كل واحدة لها حياتها الخاصة ! .

الانا الاولى تخضع للوعي العادي التي توجه من قبل القشرة الدماغية والثانية توجه بواسطة (الانا) اللاشعورية الموجودة في المراكز العصبية للحياة اللاواعية بكل عاداتها وغرائزها . . . الخ

وعلىنا انتظار دراسة علم النفس البدني لفهم الحالة بصورة أفضل . وفي الواقع كل شيء يجري كما لو كان الشخص المزدوج الشخصية يمتلك دماغين مختلفين ليس لهما ارتباط . . . وفي حالة ازدواج الشخصية التي قد تستمر لسنوات عديدة فان الشخص يعمل ويخلق وتكون له حياة عاطفية ومهنية قد لا يظهر فيها الطبع الشاذ للشخص العادي ! وسأتحدث قريباً عن ذلك . والخاصية الاولى للمصاب بالهستيريا هي سهولة تقبله للايحاء . ويبدو جيداً ان هناك خللاً لديه في عمل القشرة الدماغية لانه لا يمتلك ارادة توقف عملية الايحاء . ولهذا السبب فان الهستيريا تعد عُصاباً (سهل الانتقال) ! ويكفي التفكير في حركات الناس وبعض الشباب الذين يستمعون الى بعض الفنانين ويتصرفون كما لو كانوا شخصاً واحداً لانفعال منتشر

كسحابة من البارود قاطعاً بذلك الطريق امام ارادتهم الشخصية . .

وساقول الآن ان المصاب بالهستيريا هو انسان صادق ومريض صادق . وقد حدد شاركو بصورة مدهشة النوبات والهذيان الهستيرية بما فيها اللعنات والصرخات والاهانات وتصرفات الانجذاب (مع حالات غريبة أحياناً للطفح الجلدي) والاقوال الماجنة . . . الخ .

وتعد المظاهر الهستيرية علامات على اختلال التوازن الوجداني الشديد .

كيف تعالج الهستيريا؟

يقف الطب الاعتيادي عاجزاً تقريباً أمام الهستيريا . وهناك من يؤكد ان المصاب بالهستيريا يقفز من علامة مرضية الى اخرى بغية ان يحبط من عزيمة العلم في شفائها . . . ماذا بوسعك ان تفعل اذا ما أصيب أحد المرضى بالهستيريا بالشلل دون أن يكون فعلاً كذلك أو يصبح أصماً (دون أن يكون كذلك) أو أعمى؟

وماذا لو اكتشف انه ليس هناك أي اساس عضوي مرئي لا يتيح لهذه المظاهر التي (خلال ثلاثة أيام) قد تكون اختفت لتظهر محلها مظاهر أخرى؟ ولكني أكرر ثانية انه تحت تأثير التنويم قد

تظهر علامات هستيرية بسهولة عن طريق الایحاء .
والهستيريا ربما تكون المرض الذي يتحمل فيه المريض تأثير
الایحاء بصورة أفضل . من جانب آخر فان المظاهر الهستيرية لا
تجري في الصمت ! فالمصاب بالهستيريا لا يحاول الاختفاء بل
يفرض علامات مرضية (شعورياً أولاً شعورياً) لجذب انتباه
المحيطين به (الأمر الذي قد يجعلنا نشك بصحة مرضه) . هناك
إذاً وراء كل ذلك جانب آخر علينا اكتشافه كما يوجد مدلول علينا
اكتشاف محفزاته الأساسية . وقد يكون بوسعنا القول ان المصاب
بالهستيريا يبدو وكأنه «يتصنع حسن النية» يستند الى الاضطرابات
الذهنية التي يجب ان تدرس وتعالج كما هي .

وعلى الرغم من الاعراض والمظاهر المتعددة فان الكثير من
الكتاب اقترحوا حذف كلمة «هستيريا» من المعجم والاكتفاء فقط
بتعبير «المظاهر الهستيرية» . ومن المؤكد ان هذه المظاهر كافة
رغم اشتراكها في نقاط معينة فانها قد تستند الى أسس شخصية
مختلفة جداً ! حتى ولو كانت الاعراض متطابقة فان هستيريا
الشيخوخة لا علاقة لها على الاطلاق بالعمى الهستيري الناجم
عنه صدمة بسبب الحرب ! ومع ذلك قد تختلط الاعراض فيما
بينها .

إذا ما حصلت أزمة هستيرية ما الذي يجب عمله؟

وأقصد هنا أزمة عند عدم وجود الطبيب .

النتيجة الاولى للآزمة الهستيرية هي الذعر الحاصل للمحيطين بالمصاب . وماذا يفعل الشخص المعالج عند وصوله؟ ان العمل الاول الذي يقوم به هو ابعاد الاشخاص المحيطين به الذين يستمرون في النقاش بعض الوقت ولكن في أحيان كثيرة قد تساهم برودة أعصاب الطبيب في ايقاف هذه الآزمة ! لأن الاخير موجود في الاعماق وعلينا الوصول الى تلك الاعماق اذا ما أردنا المعالجة الصحيحة . كيف؟ نكشف الاصل والدوافع التي غالباً ما تكون مخفية . ومن ثم اكتشاف الصراعات الوجدانية عن طريق علم النفس .

مظاهر التحول .

التحول آلية شائعة ، وبعض الصراعات الوجدانية قد تظهر على الجسد ذاته . وقد «تتحول» الصراعات النفسية الى أمراض جسدية ، وسأتحدث عن ذلك لاحقاً .

لنأخذ الحالة الكلاسيكية للغضب . فالتفريغ المباشر للغضب سيكون : سيل من الاحاديث والایماءات العنيفة وضربات بالقبضة وتجاوزات اخلاقية . . الخ

غير أنها قد تمثل تحولاً كالتأناة مثلاً . ويحدث هنا في هذه

الحالة تحول في اعضاء الحنجرة . وقد يكون التحول اكثر شدة ويظهر في الاعضاء المتعلقة بمظاهر الغضب حيث يصبح الشخص صهامتاً أو مشلولاً (مظاهر هستيرية) . وكل واحد منا يعرف ايضاً ان بعض الاضطرابات المعدية تعد تحولاً مادياً للصراعات الوجدانية . فالتحول هو اذاً ظاهرة شديدة الهمية وكثيرة الحدوث وسيساهم الطب النفسي - البدني في تفسير ذلك بصورة مشوقة . ومظاهر التحول قد تكون كثيرة التنوع ويصبح أمراً عادياً ان يتيح اختفاء احد الاعراض في ظهور أعراض أخرى كما هو الحال في الهستيريا . ولكن لا يجوز ان نستتج ان كل ظاهرة تحول هي هستيرية ! وعلى هذا الاساس فان كل شخص يعاني من آلام المعدة ذات الطبيعية النفسية هو شخص مصاب بالهستيريا وهو تفسير ساذج .

وفي حالة الهستيريا فان كل شيء يحدث وكأن المرض النفسي قد توجب عليه الظهور خارجياً على الجسد بطريقة أو بأخرى وهكذا نلاحظ الخطر: فالعلامة الجسدية الهستيرية هي تفريغ ضروري .

نحن نعرف ان الغضب «المكبوت» اكثر ضرراً من الغضب الذي يتم تفريغه عضلياً أو شفاهة . واذا ما تعمقنا في الدراسة فاننا نكتشف ان الشفاء التام والبسيط لتحول هستيري ما قد يكون شديد الخطورة . . . كما لو كنا قد أغلقنا صمام الامان في مرجل

بخاري وهو في حالة غليان . لقد تسببت استحالة التفريغ
العاطفي في بعض الاحيان في دفع بعض الاشخاص المصابين
الى الانتحار.

وهكذا يصبح أمراً لا بد منه البحث عن السبب الاساسي
للهستيريا والقيام باختبار ذهني متطور وان يتم ذلك قبل أي
اجراء . وكل حالة هستيرية اذاً تخضع الى معالجة مختلفة . ولكن
على أية حال يجب ان تتم هذه المعالجة دائماً بصورة معمقة وعن
طريق الاستعانة بالوسائل التقنية الطبية والنفسية المناسبة . وعلينا
الا ننسى ان الهستيريا تمثل مجموعة كبيرة من الحالات . وتجدر
الاشارة اخيراً ان الشخص ذو الطباع الهستيرية بوسعه العيش طيلة
حياته دون مظاهر هستيرية مبالغ فيها . وهكذا قد لا يظهر مزاجه
الهستيري غالباً أمام الاشخاص الذين ليست لديهم خبرة
بالموضوع . وسيكون هذا الشخص هس فكرياً وسهل التقبل
للايحاءات وان الحياة الهادئة الخالية من الصدمات الانفعالية قد
لا تظهر قط الاعراض الشاذة جداً . . .

هل نحن جميعاً من قريب أو من بعيد الدكتور جيكل
والسيد هايد؟

بتعبير آخر هل لدينا شخصيات مختلفة؟ هل بوسع احدي هذه
الشخصيات التفوق على الاخرين؟

هل نمتلك «أنا» متعددة؟

ان الحالة الاكثر اثاره للدهشة لازدواج الشخصية هي ليست من نسج الخيال أو البوهم بل انها موضوعية وطبية وغالباً ما تستغل بصورة سيئة في الادب والسينما .

ولتذكر ان الضمير يشبه الخزان يخلط احداث الحياة كافة ليحصل منها على احساس وحيد وحصيلة نهائية .

واذا جاز القول فان الحياة ترمي بالتفاح والاجاص والعنب داخل هذا الخزان غير ان العصير الذي يتم الحصول عليه لا يشبه لا عصير التفاح ولا عصير الاجاص او العنب .

انه نوع فريد من العصير متجانس وطيب المذاق .

هكذا يجب ان يكون ضمير الانسان متجانس ولطيف .

وعندما نقدم تعريفاً علمياً جافاً فان الضمير هو الحصيلة التي يحققها الفرد في وقت محدد لنشاطاته الادراكية والمحركة والنفسية والتي عندما تلغي جوانبها الاولى تتجاوزها وتدمجها في سلوك يتميز بتركيب أصيل . وهكذا نلتقي هنا بمفهوم جانيه .

لقد شاهدنا الآتي : الحدث الذي لا يتكامل مع كتلة الضمير يصبح شبيهاً بتابع يعمل خارج هذه الكتلة . وهذا الحدث الذي لم يتم هضمه سيمزق الانسان الخاضع لهذا النقص في الوحدة .

وهذه الحالة تتمثل في كافة اشكال العقد مثلاً . والعقدة تشبه هذا التابع وتعمل لحسابها الخاص دون ان يتمكن الضمير من امتصاصها بالكامل ، بينما غالباً ما يلاحظ الانسان اعراض العقدة ولا يستطيع معرفة العقدة ذاتها الا ما ندر . وفي هذه اللحظة بالذات ظهرت لديه بصورة مصغرة شخصية مزدوجة : (أنا) الاصلية و(أنا) عقده . هناك شيء في داخله يجعله يتصرف على الرغم منه . ما الذي سيحدث اذا اصبح تابع صغير منعزل وقوي العامل المهيمن؟ وماذا سيحدث لو أصبح هذا التابع الصغير المهيمن الضمير الاساس لاغياً بذلك الضمير الاصيلي؟

حالة غريبة :

فجأة ودون أية علامة مسبقة تنام شابة بعمق شديد . انه رقاد غير مألوف يتجاوز الرقاد المعتاد . . . ومن ثم تستيقظ هذه الشابة ونكتشف ان كل ما كان يكون شخصيتها لم يكن موجوداً ، لقد اختفت معارفها واصبح دماغها فارغاً . لقد تحولت الى شخصية جديدة ولدت من جديد عنراء وجاهلة .

فضلاً عن ذلك فانها قد نسيت تماماً شخصيتها السابقة وكل ما يرتبط بها . وهكذا اضطررنا الى تعليمها كيفية التعرف على الاشياء والقراءة والكتابة . وقد تعلمت بسرعة وعندما حصل كل ذلك نامت الشابة مجدداً كما حصل في السابق ، نوم غريب

وطويل الامد ويعدها استيقظت ولكن في شخصيتها الاولى غير انها نسيت تماماً الفترة المحصورة بين حالتي الرقاد .
لقد استمر ذلك اربعون عاماً وعلى الوتيرة ذاتها في تبادل الشخصيات بعد حصول الرقاد . وفي كل واحدة من هاتين الشخصيتين كانت تختفي كافة ملامح الشخصية الاخرى ولا يبقى منها اية ذكرى . . . ومع ذلك وفي كل حالة من هاتين الحالتين كانت تتصرف وتقرأ وتدرس وتعمل وتفكر! لنفترض للحظة واحدة انها ستنجز عملاً جديراً بالعقاب قبل ان تنام لتستيقظ في الحالة الاخرى . . . ماذا ستكون مسؤوليتها؟ وماذا ستفعل العدالة الانسانية؟ كيف سيكون بوسعنا استجوابها لان (أناها) الجديدة لا تتذكر مطلقاً (أناها) السابقة؟

عندما تتصدع الشخصية

شابة في الثامنة عشرة من عمرها تشكو من لحظات شرود ذهني يتبعه صمم وعمى . يهاجمها النعاس ثم تستيقظ الشابة مجدداً مع فقدان كامل للذاكرة . هنا ايضاً اختفت شخصيتها الاولى . . . او اضطررنا ايضاً الى تعليمها القراءة والكتابة . وتبين لنا ان شخصيتها الجديدة تختلف كلياً عن شخصيتها السابقة .
ويقدر ما كانت شخصيتها الاولى حزينه ومكتئبة اصبحت شخصيتها الثانية مرحة ومتفائلة .

وفي شخصيتها لم يكن هناك شخص أوشيء يمنعها من تحقيق ما تريد . . ومن ثم تعود الى رقاد جديد وتستيقظ لتجد شخصيتها الاولى مع معارفها الاولى وتنسى تماماً الشخصية الثانية .

ويتكرر هذا الشيء وتعود الى شخصيتها الثانية بعد رقاد لفترة طويلة والتي تتذكرها كما كانت لكنها تنسى تماماً شخصيتها الاولى . . . وتصل الى عمر السادسة والثلاثين وهي على حالها وستبقى كذلك حتى تفارق الحياة وهي في حالتها الثانية . . هذه الحالات تعد نادرة بعض الشيء غير انها تصيب الناس بالذهول .

وهكذا نجد الشخصية الانسانية التي كنا نعتقد بصلابتها تتعرض للتهشم؟ وكل قطعة منها يمكن ان تتصرف بمفردها جاهلة ما تفعله الاخرى؟

هذه الحالات المتطرفة مبالغ فيها هنا عما معتاد وشائع . ومن المؤكد ان غالبية الناس يمتلكون خارج كتلة الضمير نوابع غير متكاملة قد تظهر مجدداً تبعاً للظروف . ويتيح التحليل النفسي والتنويم المغناطيسي وتحليل اللاوعي بطريقة التخدير كشف وجودها . وسنرى ذلك عند التحدث عن اللاشعور.

* مثال شائع :

خجول يعيش بمفرده في تناغم استناداً لكتلة ضميره الأساسية، فهو يخلط الظروف في هذا الخزان العام ولكنه ما أن يصبح أمام الناس في تلك اللحظة تقوم الانفعالية بقطع الاتصال وتضعه في حالة ارتباط مع «توابعه» (الخوف والشعور بالنقص والعقد النفسية . . الخ)

ماذا يجري؟ تعمل «التوابع» الذهنية لحسابها وتمتص الظروف وتنسجم معها. وهنا لدينا إذاً ازدواج بسيط جداً في الشخصية.

* مثال آخر :

شخص يستحوذ عليه الميكروب ويخاصة قبل خلوده الى النوم . وطيلة اليوم يعيش ضمن الكتلة الكاملة لوعيه الأساسي وكل شيء يسير على ما يرام . وعندما يحل المساء يقوم «تابعه» الذهني بارغامه على تعقيم يديه عشر مرات . فهناك في داخله شيء يجبره على القيام بذلك .

واكرر إذاً انه اذا كان المقطع المنفصل من (الانا) شديد القوة فانه قد يلغي الشخصية الأساسية (كما هو الحال في ازدواج الشخصية) أو يقلل من أهميتها (كما هو الحال في الهلع والعقد والاستحواذ والافكار المتسلطة) .

وإذا كانت الكتلة الأساسية للوعي تؤثر على الاتجاهات فإن المقاطع المنفصلة تفعل الشيء ذاته! فيعاني المريض إذاً من الهلوسة المرئية أو السمعية. انه يستمع فعلاً الى اصوات كما يرى اشياء حقيقية. فهو لديه انطباع ان هذه الاصوات والرؤى تأتي من الخارج بينما هي قد تكونت في الواقع نتيجة تأثير مقطعه المنفصل من الوعي أي من داخله.

ويتكون الوعي إذاً من مجموعة من ردود الفعل الممزوجة في احساس واحد. وكل كائن بشري يتكون من مجموعة من الشخصيات وليس الشخصية الواعية واللاواعية فحسب. والشيء المثالي يكمن إذاً في وحدة كل هذه الشخصيات. فالأسير والتناسق الداخلي يعتمدان تماماً على هذه الوحدة. وشيئاً فشيئاً بدأت التربية الجيدة تفرض نفسها: فالتأثير السيء لبعض الاوساط العائلية وبعض اشكال التربية السيئة قد يتسبب في ظهور الحالات الشاذة. وخارج كتلة الوعي تبدأ المقاطع المنفصلة بايجاد مكان لها للعيش. فهي ليست بالقوة الكامنة التي تستطيع ان تصبح (أنا) أخرى. ولكن على المدى البعيد قد تساهم حالات الاضطراب الوجداني والكبح والكبت والخوف في مساعدتها على التطور فتغذيها وتزيد من حجمها حتى تتوسع.

وهكذا تصبح هذه المقاطع توابع داخلية حقيقية كما هو الحال في العقد النفسية الكبيرة. يتحول الانسان الذي كان يجب ان

يكون ذو وعي موحد ومتناسق الى انسان بشخصيات متعددة ومتناقضة . وهذه «الاناء» المتعددة قد تمزقه وغالباً ما توصله لغاية العصاب المؤلم . .

● التداعي الحر

نتطرق الان الى التحليل النفسي ولكن قبل ان نبدأ بهذه الشريحة الكبيرة أعرض عليكم طريقة مشوقة في التحليل النفسي المسماة بـ «التداعي الحر» . فعالم النفس يقول كلمة وعلى المريض ان يجيب أما بكلمة واحدة أو بفكرة أو باحساس أوحت اليه بها هذه الكلمة .

مثال : عالم النفس يقول كلمة «ثلج»
والمريض يجيب : أبيض أو بياض أو شتاء أو صفاء أو
شابة . . . الخ

فتداعي الفكرة بين ثلج وأبيض وبياض وشتاء هو أمر أولي وبين ثلج والصفاء هناك تداعي مجازي .

وبين ثلج وشابة هناك تداعي رمزي .

فالثلج يجعلنا نفكر بالنقاوة والنقاوة بالصفاء والصفاء بالفتاة الشابة . ويصبح الثلج حينئذ رمزاً للشابة .

الرمز كما سنشاهد ذلك يلعب دوراً أساسياً في الحياة الانسانية . انه تمثيل خاص ذو معنى وجداني وانفعالي .

مثال : القطار هو رمز الهروب والنهر قد يكون رمزاً للقوة أو الهدوء وقمة الجبل رمزاً للكبرياء والشموخ . . . الخ .

○ ما هي شروط التداعي الحر؟

لكونه يتيح تحليل الوجدانية فيجب ان تتمكن هذه الاخيرة من الظهور وبذلك يصبح امراً ضرورياً الا يتدخل العقل كثيراً، فالارتخاء الاولي شيء لا بد منه لانه سيضعف القدرة على التحليل كما هو الحال في الرقاد النصفى . وسيجيب المريض بأي شيء يرد في خاطره . ومهما كان الجواب فان الشعور العبثي لا يجوز ان يلعب دوراً قط لان العقل هو الذي يقرر فيما لو كان هذا الشيء عبثياً أم لا . وبغية فهم أفضل لهذا دعونا نتأمل احلامنا الليلة ، انها لا تبدو عبثية قط في اللحظة التي نعيشها لكن عقلنا هو الذي يعتبرها كذلك في حالة اليقظة .

كلمة	(أ)	(ب)	(ج)	(د)	(هـ)
متزوج وذكي	رجل: ٣٦ سنة	رجل: ٥٠ سنة	رجل: ٤٠ سنة	امرأة: ٢٢ سنة	رجل: ٥٠ سنة
جداً ومتوازن ورئيس مؤسسة أديب .	جداً ومتوازن ورئيس مؤسسة أديب .	جداً ومتوازن ورئيس مؤسسة أديب .	جداً ومتوازن ورئيس مؤسسة أديب .	جداً ومتوازن ورئيس مؤسسة أديب .	جداً ومتوازن ورئيس مؤسسة أديب .
(١) شجرة	رجولة. أفكر برجل عادي وسليم صحياً.	بلطة	القوة	رجل أشقر	أخضر
(٢) صير	اغتنصاب	أنا!	جنس	شراصة	لدغة
(٣) غابة	الخلود الانساني	عدد	ارى ناء لدي انطباع باني مراقب	افكر في بيت بان ساحر الغابة	اشجار
(٤) وقد	شيء فظيح رأيت يوماً رجل معلقاً به	مدية		قوة	النوم!
(٥) زهرة	شابة		شابة	مداعبة .. وتردد ثم تقول .. نعومة	عطر
(٦) حوض من رخام	الامومة، افكر في القصيدة: داني فيك كقليل	ماء		الهدوء والماء	ماء
(٧) وحل	من الماء الهادي، حياة انسانية .. احيناً وأرميه في الفضاء	أشعر باني اتناول الوحل	افكار خفية		مبلل
(٨) حارس	ارى حارماً يتسم	رشوة	أم	شجرة	قبعة شرطي
(٩) زهور برية	افكر في بحيرة. النقاوة	ارى كناس ينظف المكان	زهرة	مداعبة	وردة
* وقد - تعني سرير أيضاً باللغة العامية الفرنسية					

(١٠) سبل	قوة	فعل	بول	تصبح مأخوذاً شيء يسيل الهدوء والموت
(١١) مزهرية	أمومة، أمرأة	منطرة	عطر	ملأ... استلم...
(١٢) يصعد	الامل والنور	الاتصاف	الكمال	الشمس
(١٣) نزول	افكر في بيت الطفولة الذي كان في نهاية المنحدر	لم افعل ذلك قط	(يضحك) انه مثلي!	الانزلاق، ابدياً...
(١٤) آب	شجرة	قساوة... ظلم	كان والذي واحداً...	الرجبة
(١٥) الحب	كمال الذات العطاء	لا جيد له	أم	انتظار
(١٦) باب		ضربة كفف		
(١٧) امرأة	لم افكر في مثلث مقلوب وهو احلى علامات السير والخطر!	الاحتلال	أم	مجردة

يمثل الجدول السابق اجابات خمسة اشخاص لنفس
الكلمات المطروحة. انهم أجابوا بصورة منفصلة وهو أمر
طبيعي .

لنتفحص بسرعة الاجابات الاكثر اثاراً للاهتمام . وليس هناك
حاجة للتحدث عن أجوبة (هـ) لانها فعلاً بدائية جداً! باستثناء
اجابته على كلمة وتد التي كانت مسلية بصورة لا ارادية حيث قال
النوم (لانه ترجم كلمة وتد الى سرير!)
ولتناول الكلمات حسب تسلسلها .

١ - الشجرة :

أ - يفكر في الرجولة والقوة السليمة التي تمثلها الشجرة بالنسبة
اليه .

ب - الشجرة (شرح فيما بعد) تمثل قوة هادئة يجب القضاء
عليها . وعلينا الا ننسى ان (ب) عدواني ، لذلك أحاب بكلمة
(بلطة) .

جـ - فكر بالقوة (مثل أ و ب)

د - اجابت اشقر . وهو ما يبدو اجابة حمقاء ، غير انها تقول
فيما بعد ان الشجرة تجعلها تفكر برجل قوي . وان الرجل المثالي
بالنسبة لها هو رجل قوي وأشقر . لذلك اجابت بكلمة (اشقر) .
ونستنتج مما ورد اعلاه ان الشجرة كانت تمثل بالنسبة لكل واحد
منهم رمزاً للقوة والرجولة . وقد تكون ايضاً رمزاً للنشاط الجنسي

العام كما يبدو ذلك غالباً ، أو انها رمزاً للابوة (القوة) أو للعدو وكما هو الحال بالنسبة لـ (ب) . . الخ

٢ - الصبير:

أ - شكل الصبير يجعله يفكر بجنس ذكرى ، غير ان اشواكه تمنحه طابع عدواني ، فهو ربط اذاً ما بين الجنس والعدوانية أو الاغتصاب .

ب - بما انه عدواني فانه يصف نفسه بالصبير .

ج - رمز جنسي كما هو الحال بالنسبة لـ (أ) .

د - تداع معتاد .

٣ - الغابة :

ج - رده يدل على كبت . يرصد النساء ولا يتجرأ الاقتراب

منهن .

٦ - حوض الرخام :

أ - ربط (تداعي) شعري جميل مع حوض الماء للأم .

ب - فكرت بالحديقة الهادئة التي يوجد فيها حوض من

الرخام .

٨ - الحارس :

سنرى في التحليل النفسي انه في الحياة الانسانية هناك آلية

هائلة للكبت وهي تشتمل على منع (بواسطة التربية) كل ما هو غير

لائق . والكبت يتضح خاصة في النشاط الجنسي لانه يعد المجال الاكثر عرضة للمصراعات ! والكبت الذي يأتي من العقل يتناقض غالباً جداً مع الوجدانية الغريزية ذات الطبيعة الانفعالية .

* مثال : مشاعر جنسية يحملها أخ نحو أخته وهو شعور وجداني سيتم منعه وكبته بسبب المفاهيم الاخلاقية والدينية والطبية . الخ . هذا المنع قد يرمز اليه بعدة شخصيات تمثل السلطة غالباً : الاب والام والاخ الاكبر أو الاخت الكبيرة او رجل الشرطة . الخ .

ج - أجاب الأم . وهذا أمر منطقي لانه تربي على يد امرأة متسلطة تحتفظ بكافة الممنوعات . وهكذا ربط بين الحارس ووالدته .

د - اجابت بكلمة شجرة . لقد ربطت بين الشجرة - القوة والحارس .

٩ - زهور برية :

أ - فكر في النقاوة الهشة والصفافية وكأنها زهرة كما تمثل البحيرة هذا الصفاء ذاته .

ب - يقول انه بدأ يفكر باغنية الاوراق الذابلة . وقال لقد ربطت ما بين الاوراق الذابلة والذكريات . إني اكره الذكريات . كل ذكرياتي ترتبط بأنسان خجول واصبحت نتيجة لذلك عدواني بصورة لا تطاق . أريد ان أحمي كل ذلك ولا أرغب التفكير في

ذلك قط!

١٠ - السيل:

أ - أجاب قوة وهو أمر طبيعي .
ب - اجاب فعل (والمقصود فعل عدواني كما يكتسح السيل كل شيء في طريقه) .

ج - أجاب البول : وهو رد أحمق للوهلة الاولى . غير انه يقول «عندما قلت سيل . تصورته يخرج بقوة من أحد شقوق الجبال الكبيرة . ومن ثم ويسرعة البرق تحول هذا الجبل إلى امرأة ضخمة واقفة وعارية وكانت تبول . وفي احلامه كان يتخيل أناساً يتبولون عليه . والسبب هو شعوره بالنقص والاحتقار والضعف . . .

١٢ - الصعود:

رمز شديد القوة نجده في الانسانية جمعاء .

أ - الامل والنور

ب - الفوز (وهذا يعني ان لديه ذات المعنى الايجابي كما هو الحال لدى (أ) ولكن بصيغة عدوانية) .

ج - الكمال وهو معنى ايجابي ايضاً كما في (أ) و(ب) .

د - الشمس (وهي ترتبط بـ أ و ج)

وساتحدث عن هذه الرموز فيما بعد .

١٣ - النزول:

وهو يعكس (الصعود) يمثل معنى سلبي .

أ - منزل الطفولة: والنزول بالنسبة اليه يعني «العودة الى الماضي».

ب - نفس الاتجاه يرفض النزول أي العودة الى الخلف أو التراجع.

ج - يرد قائلاً: «مثلي أنا» والنزول يعني بالنسبة اليه التراجع. لنفكر في التعبير التشاؤمي القائل «النزول الى الهاوية».

١٤ - الاب:

أ - يجيب شجرة أي القوة والرجولة (انظر رقم ١)

ب - قساوة وظلم، والذي يوضح الطريقة التي تربي على اساسها.

١٥ - الحب:

أ - رده يمثل ذكاؤه وتوازنه

ب - العدوانية مرة أخرى. لا يتواصل الى ترك الامور على عفويتها

ج - التشبث بوالدته

١٧ - امرأة:

أ - اترك الاجابة لتقدير كل شخص

ب - العدوانية ايضاً لا يترك الامور لرغباته..

ج - وهنا ايضاً يبدو التعلق بوالدته. انه يخاف النساء (انظر

الارقام ٣ و ٨ و ١٠ و ١٧). وهو يشعر بالنقص والذل لذلك كان

يشكل فريسة سهلة للشذوذ الجنسي وعرضة للفشل على أية حال وعندما تتحقق الشروط فإن هذه التداعيات الحرة تمثل أهمية كبيرة. انها لا تتيح فقط التحليل بل انها تكشف احياناً عن آلية وجدانية تسببت في اثاره الضيق النفسي والاستحواذ.

* مثال : ليديا شابة غير متزوجة تبلغ السادسة والعشرين من العمر. ردت على كلمة مصطبة (بعد ان ترددت في الاجابة ٣٥ ثانية) بكلمة الجلوس . . وبدأت ترتجف . فتحت عيناها وانتفضت فجأة وقالت : «ان المصطبة تجعلني افكر في الدم، غير أنني قطعت الاجابة . . في السادسة عشرة من عمري كنت جالسة على مصطبة مع ابن عمي في الغابة وكان الجومعماً وقد استغل ابن عمي الوضع . . . وشعرت بالاشمئزاز. ومنذ هذا الحادث لم اجلس قط على مصطبة في محل عام . . وكنت أسير في طرقات متعرجة كي أتفادي رؤية هذا المشهد . . انه استحواذ كامل بالنسبة لي . وعندما ارى مصطبة أتخيل الدم وهذا الامر يمنحني الرغبة في التقيؤ . .».

● سيجموند فرويد (١٨٥٦ - ١٩٣٩) الباحث عن

اللاشعور

كان مجيء فرويد بمشابهة قنبلة هزت العالم حيث اثارت علامات الدهشة والذهول وموجة من الغضب كما اثار مجيئه في

الوقت ذاته التهكم والسخرية .

تصوروا اذاً! لقد دخلنا فيما يمكن ان نشبهه بسريالية الذهن في عالم فسيح متعذر الفهم ومضحك للوهلة الاولى . لم يعد يلدوان هناك شيء يتفق مع الواقع حيث بدأ الخوف يدب في مشاعر الناس واصبحت (أناهم) هذه (الأنات) العظيمة المقتدرة المدركة مجرد (هو وهي) اللاشعورية ولا شيء غير ذلك؟ كيف تجرأ فرويد هذا أن يوجه الى العالم مثل هذه الصفعات؟ ألم يتجرأ بالادعاء ان جوهر الانسان ما هو الا محيط شاسع مجهول مليء بالكهوف اللاشعورية؟ وان الجزء العاقل والواعي لم يكن سوى اشياء بسيطة في مواجهة هذا المحيط الداخلي؟

وكان الناس يتفحصون وهم هازئين يبحثون عن هذا اللاشعور الذين كانوا يجهلون وجوده . .

كلا السخریات لم تنته ، فضلاً عن ذلك اراد فرويد هذا اعطاء الاحلام تفسيراً محدداً! ويقول ان الحلم لم يكن مجرد هراء أحرق بل انه حقيقة منطقية .

ألم يدعي ان الصراعات الداخلية للطفل وصدمااته العصبية كانت تبقى بصمت في باطن الانسان البالغ كالتوابع التي تحدثت عنها؟ وان أثارها قد تخرج في أية فرصة ملائمة؟
والانسان الذي كان يعتقد بانه قد تغلب على ذاته وهيمن عليها

ووجهها اصبح فريسة لاشعوره . وهذا اللا شعور كان يحدد الغالبية العظمى من افعاله . . !
اضف الى ذلك (وكان ذلك أوج ما جاء به) ان فرويد هذا كان يرى النشاط الجنسي في كل مكان . لقد فتح أبواب حقل ممنوع ومكبوت وخفي لم يتم التحدث فيه الا باصوات منخفضة وخلف ستائر سميكة . ومن هذا «الشيء» الاخلاقي اراد تكوين حقيقة علمية!

لقد كان أمراً قاتلاً المجاهرة بذلك لان الناس كان عليهم التخلي عن افكارهم المألوفة ، وكان عليهم ان يغامروا ايضاً بالابحار في بحر مضطرب متلاطم الامواج . . . وقد سبق للناس وان فوجئوا بان الارض لم تكن مركز الكون . . ولم تكن لديهم حينذاك وسائل للدفاع سوى السخرية والتهكم . غير أن فرويد استمر عملاقاً لا مبالياً بما يقال . ومنذ ذلك الحين غزا التحليل النفسي علم النفس والترفيه والادب والمسرح والمستشفيات والمدارس والفن . . واستمرت اعمال التحليل النفسي دون تراجع في كافة الاتجاهات الراشدة وغير الراشدة . ألم يكن سبر أغوار الذهن بأدق أروقه أحد أحلام الإنسانية؟

مصطلحات التحليل النفسي

ان التحليل النفسي لفرويد هو قبل كل شيء طريقة خاصة في

التحليل والمعالجة النفسية يأخذ مكانه ضمن العلاج النفسي .
وفيما يلي التعابير (همجية ولكنها منطقية) التي سنصادفها في
التحليل النفسي .

- اللاشعور

- الهو والهـي اللاشعورية والعقل الباطن

- الدوافع

- الأنا

- الرقابة

- الانا العليا

- الكبت

- العقد النفسية

- الاحلام

- التنفيس

وفيما يلي رسماً تخطيطياً يوضح مفهوم التحليل النفسي .

في البداية نلاحظ شخصاً يجذف على سطح البحيرة . لنقارنه مع شخص واع اي الذي يُعد الحصى لمداركة المتنوعة . ولنفترض الآن جدلاً ان هذا المجذف لم يعرف السباحة قط أو لم تكن لديه الفرصة مطلقاً لمعرفة فيما اذا كانت هذه البحيرة تمتلك قاعاً . لذلك فانه سيعتقد بانه ليس هناك شيء آخر سوى سطح البحيرة كما يحدث بالنسبة للانسان الذي يجهل ان هناك شيئاً آخر خارج حياته الشعورية .

متى سيفترض ان هذا القاع موجوداً؟ عندما سيشاهد فقاعة تنفجر على السطح أو عندما تنفجر فقاعة كبيرة من الهواء تحت قاربه وتجعله يهتز . وفي هذه اللحظة فقط سيكتشف المجذف ان هناك جزءاً غير مرئي يولد بعض التأثيرات وان السباحة والغطس بمفردهما يتيحان اكتشافه : ان هذا الجزء غير المرئي هو ما يسمى بـ:

● اللاشعور

ان الشخص غير الواعي هو ذلك الانسان الذي لا يعرف افعاله السيكولوجية والفلسجية . وتعد هذه الحالة مؤقتة لدى الانسان العادي لان أغلب الافعال اللاشعورية قد تتحول الى شعورية بالتدريج وحسب الحاجة .

أمثلة :

- أنا لا أشعر بضربات قلبي ولكن يكفي ان اوجه انتباهي نحوها حتى أتمكن من الشعور بها .
- أنا الآن أمسك القلم وأكتب وأعلم ماذا أكتب ، فأنا لا أفكر بصديقي (س) . غير ان ذكرى صديقي موجودة في ذاكرتي .
وفجأة ارفع نظري الى الساعة الجدارية التي تذكرني بموعد حده لي (س) . وفي هذه اللحظة بالذات يصعد (س) الى حقل شعوري . كل ذلك سهل وواضح جداً بطبيعة الحال .

الذكريات

انها تشكل جزء من منطقة اللا شعور لدى الشخص وهي موجودة هناك على شكل كتل لا يمكن احتسابها وقسم منها مليء بالانفعالات الطيبة أو السيئة . وسنرى أهمية ذلك في التحليل النفسي . وكثير من الذكريات تبقى «منسية» لفترة طويلة وأحياناً مدى الحياة . وعلى الرغم من ذلك فانها تبقى مطبوعة في الذاكرة ونلاحظ حالاً انها قد تولد بعض التأثيرات دون علم الشخص المعني ! وفي بعض الحالات (التنويم المغناطيسي والاحلام الليلية والصدمة العصبية والنفسية وتحليل اللا شعور عن طريق التخدير والتخدير الجراحي . . . الخ) تظهر الذكريات المنسية فجأة في الوعي .

العادات

وهي تشكل جزء من اللا شعور. وبصراحة فان العادة تمثل حالة لازمة طبيعية قد تصبح شعورية في اللحظة التي تحدث . وتشمل العادات غالبية الافعال المحركة وكثير من الاراء والشعارات الداخلية والاحكام المكتسبة . وغالباً ما تتولى القيام بذلك الاذاعة والصحافة واجهزة الدعاية ولكن اذا كان أثر العادة واعياً على الاغلب فان الامر ليس كذلك بالنسبة للدوافع الخفية التي تولد هذه العادة . وللعادات أهمية اساسية في علم النفس فبعض العادات الشاذة قد تكشف عن حالة وجدانية مضطربة .

وسأستعرض فيما يلي بعض العادات المستهجنة والشائعة :
تقطيب الحاجبين وحملقة العينين وعادة الشخير وحركات في
الانف ورفع الاكتاف . . . الخ

وكل هذه العادات المستهجنة تحصل بسرعة كبيرة وهي تمثل عادات بسيطة . وهناك عادات مستهجنة ذات تشعبات اكثر تعقيداً : كترتيب ربطة العنق ومص الاصابع وقضم الاظافر والعبث بالانف . . . الخ .

والعادة المستهجنة غالباً ما تكون علامة لحالة انفعالية مؤقتة . والكثير من الناس لديهم عادات مستهجنة «دائمة» . ان ظهور وشدة عادة مستهجنة يعتمدان على حالة انفعالية وتظهر العادة

المستهجنة في الحالة العصبية للحظة الصعبة وتختفي مع السر والارتخاء.

وهناك العديد من العادات المستهجنة الكلامية (كالتعابير الجاهزة وأعادة كلمات معينة عشرات المرات يومياً . الخ) وتختفي ايضاً في حالة الارتخاء. ولدينا ايضاً العادة المستهجنة المرضية وهي تترجم موقف وجداني أوفسلجي ودراستها تظهر غالباً وجود صراع وجداني لا شعوري وبعض العوامل العصبية غالباً ما تلعب دوراً أساسياً هي الاخرى. لنعد الى التخطيط الموضوع في الفصل الرابع وسنلاحظ الى الاسفل اللاشعور الفسلجي والنفسي .

وهذا اللاشعور يستقي مصدره من عناصر متعددة جداً . انه يشبه قاع البحيرة المتكون من الوحل والطما والذهب واللؤلؤ والطين والتي تمتد جذورها نحو عمق اكثر اتساعاً هي : الارض باجمعها التي تشكل جزءاً منها .

والأمر كذلك بالنسبة للاشعور: فهو يتكون من الافعال النفسية فضلاً عن الغدد الصماء وعمل اعضاؤنا . انه يتكون من الوراثة ومن تركيب الدم . ويأخذ مصدره من كل مكان ، فالامة التي تشكل جزءاً منها هي التي تكونه وراثياً في الولادة كما تساهم المناخات الدينية والاجتماعية والجغرافية في تكوينه ايضاً . اما الصحة العامة للشخص فتقرر شكله وسعته . . .

ويجمع هذا اللاشعور ايضاً الاتجاهات المشتركة لاعضاء المجموعة الاجتماعية ذاتها . فاللاشعور لمواطن صيني يختلف منذ الولادة عن اللاشعور لمواطن فرنسي . وهكذا نلاحظ ان هذا الشعور الهائل ليس سهل الاكتشاف اذ يجب ان تكون هناك قدرة على تحليل ابسط نسيج عصبي للانسان ومعرفة الاثار العميقة التي تركتها فيه عشرات المليارات من التجارب الانسانية التي سبقته . . *

وبالنسبة لفرويد اذاً فان هذا اللاشعور لا يصعد غالباً الى سطح الشعور لذلك يجب ان يكون هناك لاشعور «وسيط» قابل للتحويل الى شعور حسب توفر الفرصة وهذه كانت :

* ان هذا اللاشعور يتركز في «الاسفل» ، انه اللاشعور المتدني البدائي الحيواني الذي يغرس جذوره في مليارات التجارب الانسانية وكل روحية تبدو غائبة عنها . ولكننا عندما ندرس يونج يكون بوسعنا ان نطرح على انفسنا السؤال التالي : اليس هو شعور راق ايضاً؟ يدخل فيه الانسان كما يدخل جهاز الراديو في الموجات؟ ويؤثر على الانسان (كما هو الحال في اللاشعور المتدني)؟ الا يضع هذا الشعور الراق الانسان في اتصال دائم مع العالم الروحي الذي يمكن ان يلتقطه شعوراً تحت ظروف معينة؟ وتجدر الاشارة اليه ان هذا المفهوم كان دائماً اساس علم النفس الشرقي ويكمل بكل اعجاب التحليل النفسي الذي جاء به فرويد.

الهو والهي اللاشعورية

هذا المصطلح الذي يبدو وهمجياً بعض الشيء يمثل في الوقت ذاته منطقاً صارماً . لقد واجهنا جميعاً الانعكاس التالي : هذا الشيء أقوى مني ولا أستطيع أن أمنع نفسي عنه . وتصبح «الهو» أقوى من «الانا» وترجم الى : «هناك شيء في داخلي يدفعني الى القيام بهذا الفعل بينما ليست لدي رغبة شعورية بتحقيق ذلك» .

لنتناول هذا المثال البسيط مجدداً بالنسبة للشخص الذي ينهض عشر مرات من النوم ليلاً ليتأكد من اغلاق صنبور الغاز . لم تكن لدى هذا الشخص الرغبة الشعورية في هذا الفعل غير ان هناك دافع لا شعوري يلزمه القيام بذلك . وحينذاك سيقول : «انه أقوى مني» .

«والهو» أو «الهي» يسميان ايضاً العقل الباطن . وهو يصف مجمل الاتجاهات التي تقود بعض نشاطاتنا .

وهناك رابطة وثيقة ما بين «الهو» واللاشعور . وهذا أمر طبيعي لان الاثنين يشكلان الخزان المظلم للغرائز والعادات والذكريات . الخ وترتبط جذور «الهو» (العقل الباطن) باللاشعور العام وفعلهما المتبادل يعد شيئاً هائلاً .

«فالهُو» إذاً مجمل الافعال النفسية التي تهرب مؤقتاً من شعورنا . وبغية ان تصعد هذه الافعال الى «السطح» تصبح بعض الحالات الخاصة ضرورية لذلك . مثال : الحلم الليلي والنوم المغناطيسي والتحليل النفسي . . . الخ) . وفي داخل «الهُو» هناك الكثير من الذكريات والمشاعر «المنسية» ولكن تحتفظ الكثير من هذه الذكريات والمشاعر بشحنتها الانفعالية (العاطنية) . انها تشبه المغناطيس النفسي المتمركز في اعماقنا فهو يجذب نحونا الظروف المرتبطة بها .

كيف يمكن كشف وجود «التوابع» اللاشعورية؟
عندما تصعد بعض الاعراض الى سطح الشعور أو الوعي .
مثال : شخص يعاني من الضيق النفسي وهذا الضيق النفسي لا يمثل المرض ذاته لكنه علامة لمرض موجود داخل «الهُو» : العقل الباطن .

وسنلاحظ ذلك لاحقاً .

دعونا نوجز ما يلي :

- أ - يمثل المجذّف على سطح البحيرة الانسان الواعي .
- ب - قاع البحيرة غير المرئي يمثل «الهُو» (العقل الباطن) .

جـ - ومن وقت لآخر يحرر هذا القاع بعض الفقاعات (اعراض) تنفجر على السطح (الوعي) والتي تأتي من «هذا الشيء» الذي يجري في القاع . وإذا كانت هذه الفقاعات قوية فانها قد تسبب في اخلال توازن القارب . وهذا ما يسمى بالعُصاب الذي سأتناوله بالحديث لاحقاً .

ويصل اللا شعور «والهو» بمؤازرة بعض المراكز العصبية التي سأحدث عنها ايضاً . وسنرى ان اللا شعور الانساني قد يتمتع بقوة خارقة وقدرة رهيبة . وسنبتج ذلك عندما يتحررون ان يعارضه كابح أو رقابة شعورية . . وقد لاحظنا ذلك في العقد والاستحواذات والعُصابات وازدواج الشخصية . . الخ غير ان هناك بعض الامراض العقلية تنطلق فيها القوى اللا شعورية بحرية تامة كما هو الحال مثلاً بالنسبة لهوس الاكتئاب الذي سيتم التطرق اليه فيما بعد .

اما تحرير الغرائز فلن يجايه في هذه الحالة مصاعب في مواجهة الاخلاق والرقابة والمحرمات . وان كافة العادات التي تبتتها المجتمعات المختلفة خلال الاف السنين تُكنس كأوراق الخريف المتساقطة . .

وهناك سؤال يفرض نفسه :

هل العقل الباطن أخلاقي أم غير أخلاقي؟

ان هذا السؤال اساسي . فالعقل الباطن ليس هو باخلاقي أو بلا أخلاقي ، انه يجمع مجمل اتجاهاتنا ورغباتنا وغرائزنا . وعندما نتساءل : «هل ان الطفل الذي يبلغ الشهرين من العمر اخلاقي أم لا؟ فانه يعد سؤالاً بلا معنى لان هذا الطفل يعيش على غرائزه الطبيعية حسب . فالعقل الباطن اذاً هو خارج الاخلاق . انه يهملها بكل بساطة فهو لا يعرف الاعراف الاجتماعية والعائلية والاخلاقية والجمالية والجنسية . ويرمي العقل الباطن (كما هو الحال لدى الحيوان والطفل) الى ارضاء حاجاته العضوية والنفسية والذاتية الصرفة بأسرع ما يمكن .

هذه الحاجات تسمى : الدوافع .

اذاً : أ - العقل الباطن (الهو) يعد الخزان العام للغرائز.

ب - الدوافع هي اتجاهات تأتي من العقل الباطن غير انها تطلب تحقيق حاجة معينة . .

مثال : رجل له انجذاب جنسي نحو امرأة .

أ - الـ «هو» ستكون الغريزة الجنسية العامة .

ب - «الدافع» سيكون توجه هذه الغريزة نحو هذه المرأة .

«الأنثى»

نحن واعون بان «الأنثى» التي لدينا ليست «انثى» الاخرين .

«فالانا» إذا تمثل الشخصية الخالصة لشخص ما .
وإذا ما قلنا : «انا» ، افعل كذا فان ذلك يعني ان لدينا وعي
للقيام به شخصياً وارادياً .
لماذا يضع الجدول السابق «الانا» ضمن شريحة العقل
الباطن؟

١ - في المقام الاول يعيش الطفل على عقله الباطن الغريزي
(الهو) فهو لم يمتلك شعوره بعد انه ذاته ولا يقل «أنا» ولا يستعمل
«الانا» . انه يتحدث عن نفسه بصيغة الشخص الثالث .
٢ - ماذا يحدث فيما بعد؟ تبدأ الظروف الخارجية «بغزو» عقل
الطفل الباطن .

٣ - وعلى أثر هذا «الغزو» للظروف يبدأ الطفل الشعور «باناه»
ويبدأ باكتشاف شخصيته الخاصة . ويحس ايضاً بان الاشياء ترد
اليه وليست لشخص آخر . وفي هذه اللحظة يبدأ باستخدام كلمة
«أنا» . واندريه الصغير لن يقول بعد : «اندريه يفعل ذلك أو ان
هذا الشيء هو لاندريه» . الخ ولكنه سيقول : أنا افعل هذا وان
هذا الشيء ملكي أنا . .

وهكذا ظهرت «الانا» انها تشكل اذا جزءاً من «الهو» تحولت
بسبب الظروف الخارجية ، واذا ما اعتبرنا «الهو» عجينة تتخمر
فان «الانا» تمثل نتيجه انتفخ و يصعد الى سطح هذه العجينة .
وتبقى «الانا» اذا في علاقة وثيقة جداً مع غرائزنا العميقة .

يبقى جزء كبير من «الأنا» في العقل الباطن ويتطلب ظروفاً خاصة كي يصعد الى سطح الشعور.

الرقابة

يعرف كل واحد ان الكثير من دوافعنا الغريزية فظة ومزعجة وبيدائية. ويكفي التفكير في الغرائز العدوانية وفي مشاعر البغضاء نحو من يعارض رغباتنا وبعض الغرائز الجنسية العنيفة والحيوانية وغرائز الانتقام والهيمنة. الخ (والتي تتواجد اذاً في «الهو»).
ويصبح أمراً لا بد منه اجتماعياً ايقاف حياة الغابة هذه التي تتمركز في العقل الباطن وأكرران هذه الغابة لا تمتلك شيئاً يسمى اخلاقى او لا اخلاقى. فالذئب الذي يفترس الحمل ليس هو لا اخلاقى أو متوحش. «متوحش» هي الترجمة الاخلاقية والريقة التي نصف بها فعله. بينما يقوم الذئب بمهنة الذئب بكل بساطة فهو خارج كافة الاعتبارات الفلسفية والاخلاقية لانه لا علم له بها! وهذا أمر بديهي بالطبع. «والهو» تعمل بالطريقة ذاتها فهي تكمل فعلها دون الانشغال بالباقي! وحيث ان الانسان موجه نحو الحياة الاجتماعية فان غالبية الدوافع الآتية من العقل الباطن يجب ان يتم ايقافها أو يتم توجيهها نحو افعال حسنة ومقبولة في الحياة المشتركة.

وهكذا ستتصارع داخل العقل الباطن للانسان سيول من

الممنوعات وجبال من الإفعال التي تخضع للرقابة . كل ذلك أمر لا بد منه ، غير أننا سنرى على الرغم من ذلك ضرورة وجود «الوسط المناسب» .

من الذي سيتولى مهمة هذه الرقابة؟ . . التربية .
هذه التربية الراصدة تقفز فوق الدوافع وتمتحنها واحدة فواحدة . وأحياناً يقص مقص الرقابة التربوية هذا الدافع وأحياناً يوافق على تمرير دافع آخر أو يفرض عليه قناع يجعله مقبولاً اجتماعياً .
فالرقابة تأتي إذا نتيجة التربية . انها تمنع الدافع من أن يتحقق أو تحوله ضمن هدف اجتماعي واخلاقي .

مثال : طفل يشعر بسرور وهو يداعب بعض الاجزاء من جسده . وكرر انه بفعله هذا لا يفكر بالاخلاق وليس له أية علاقة بها . انه يطيع الاوامر الصادرة من «الهو» الغريزية . غير ان البالغين هم دائماً له بالمرصاد . ما الذي سيفعلونه؟
أ - اما يمنعون الطفل كلياً من القيام بهذا الفعل تحت التهديد بالعقاب . والطفل لن يفهم بالتأكيد شيئاً ولكنه سيطيع بسبب الانعكاس الشرطي للتهديد . (بالضبط كما يخشى الحيوان العصا) .

ب - او يقدم البالغون للطفل القيم الاخلاقية بادخالهم

مفاهيم الاعتدال والخجل والخوف التي ستجعل من «الهو» و«الانا» الغريزية للطفل «انا» اجتماعية . (أي «أنا» موجهة) .
مثال آخر: بعض الاطفال يشعرون بسعادة وهم يهتمون بوظائف امعائهم الغليظة ، وهنا تتدخل التربية عن طريق استخدام مصطلحات كالخجل والخوف وسوء الذوق باعتبار هذه التصرفات اموراً لا يقبلها المجتمع . الخ وهنا يحصل امرأ حيوياً في التحليل النفسي .

«فالهو» اللاشعورية والغريزية تتحول الى «انا» اجتماعية مهيبة تتجه نحو الاخرين وتأخذهم بعين الاعتبار كما تهتم برغباتهم وحاجاتهم . وتبدأ «الانا» باستخراج ردود فعل الاخرين بدلاً من أن تتمركز حول سعادتها الفردية والانانية . وهذا ما نسميه «بالانا العليا» .

● الانا العليا

هذا التعبير يعرف نفسه بنفسه فهو كل ما فوق «الانا» الفظة . وبالنسبة لفرويد فان الانا العليا من وجهة النظر الاخلاقية ليست متفوقة على «الانا» . واننا نفهم جيداً لماذا . فالانا العليا قد تكونت بواسطة تحول اجتماعي واخلاقي فرضه الآخرون . والانا العليا هي «أنا» مكبوحة بسبب التربية . انها «الانا» التي تعرضت للتوجيه . وهي ليست عفوية غير انها تتيح امكانية وجود حياة

مشتركة . وحسب ورأي فرويد فان «الانا العليا» هي نتاج للضغط الاجتماعي الذي ارغم «الانا» على التكيف مع العادات .

لنرى الآتي جيداً : «الانا» و«الهو» الانانيتان موضوعتان تحت الرقابة نتيجة للتربية . وكل جزء من «الانا العليا» يصبح جزءاً من «الانا» التي يضعها المربون (الذين أمروا الأنا قائلين : «بوسعك ان تفعل هذا ولكنك لا تستطيعين فعل ذلك ، هذا الشيء جيد الا أن ذلك سيء وهذا اخلاقي وذاك لا أخلاقي . . . الخ») .

وبقيام التربية بترتيب كل قطعة من «الانا» فانها قد مزجت داخل «الانا» بعض الممنوعات والمسموحات . (ولكن بالتأكيد تشكل الممنوعات الغالبة) .

إذاً ما أن تتصرف «الانا العليا» حتى تحرر اوتوماتيكياً كافة الممنوعات التي التصقت بها . .

ماذا يعني ذلك ؟ الانا والهو تم كبتهما بواسطة التربية . غير ان «الانا العليا» تمتلك رقابتها الخاصة بها . . . كما تمتلك العجينة المواد التي سيمزجها معها صانع الكعكة . فاذا ما صعدت العجينة (الانا العليا) فان المواد الاخرى (الرقابة) تتحرك في الوقت ذاته . .

وتتحول «الانا العليا» الى ديوان الجمرك أو مركز الشرطة المستقل واللاشعوري للفرد ، وسلاحظ مباشرة ان مركز شرطة «الانا العليا» قد يكون غالباً في تناقض وتنافر شديد مع دوافع

«الهُو»!

وهذه الآلية هي السبب الاساس في الكثير من حالات العُصاب*.

لنفترض الآن ان «الانا» (وهي تغوص في الغرائز) تطلق دافعاً سيئاً من الناحية الاجتماعية والاخلاقية فما الذي سيحدث؟ سوف يصطدم هذا الدافع بالانا العليا «ويمخفر الشرطة» الذي شكل جزءاً منها. نحن الآن على الحدود وفيما يلي المحاوره التقليدية التي ستدور:

- الأنا العليا: «هل لديك شيء تصرح به»؟

- الانا: «لدي دافع أود التصريح به».

- الأنا العليا: «هل هذا الدافع مقبول من الناحية الاخلاقية»؟

- الانا: «أنا أجهل ذلك، انني خارج الاخلاق، انني قادم من

«الهُو» من هذه الارض العظيمة التي تعيش فيها الغرائز».

- الانا العليا: «علي اذاً ان أفحص دوافعك وسأوافق على

السماح بخروج المقبولة منها وسأطرد الباقي نحو المنشأ الذي

جاءت منه أي العقل الباطن».

وهكذا تجري الامور داخل الشخص ذاته، انه ما يسمى

بالكبت.

* العصاب سيكون موضوع الفصل الخامس

● الكبت

وهو آلية لاشعورية تُقذف عن طريق الدوافع الممنوعة من الأنا العليا الى داخل خزان «الهُو» .

وهناك فارق كبير ما بين القمع والكبت .

١ - القمع :

وهي ظاهرة شعورية (واعية) فالشخص يمتنع طواعية وشعورياً عن رغبة مُدانة لقناعاته . والرغبة هي دافع اصبح شعوري .

مثال : رغبة جنسية من شقيق نحو شقيقته : «فالهُو» المخزان العام يرسل دافعاً جنسياً موجهاً نحو الشقيقة . وهذا الدافع يرد الى شعور الشقيق بصيغة رغبة . وفي تلك اللحظة يبعد الشقيق بصورة ارادية هذه الرغبة لانها تتعارض مع قناعاته الاخلاقية والدينية والادبية . . . الخ . وهكذا قمع رغبته .

٢ - الكبت :

وهو ظاهرة لاشعورية . والآلية تعمل على الدافع ذاته . ويكبت الدافع قبل وصوله الى الشعور (وسنرى لماذا) . وذلك يعني اذاً اننا لا نعلم قط في اللحظة ذاتها فيما اذا كنا نكبت شيئاً معيناً . ولكنكم ستقولون متى نعلم باننا قد كبتنا دافعاً معيناً؟ عندما تظهر علامة على سطح الشعور (الوعي) فانها تتيح فرز وجود الكبت . وهنا ايضاً نعود الى الفقاعة التي ستنفجر على

سطح البحيرة . وبالنسبة فان هذه الاعراض أو العلامات قد تكون متنوعة : ابتداء من الاحلام الليلية البسيطة مروراً بالامراض الجسمية والنفسية المختلفة وانتهاء بالافكار المتسلطة الرهيبة .

مثال : رغبة جنسية من أخ نحو اخته : « فالهو » الخزان العام يرسل دافعاً جنسياً موجهاً نحو الاخت . ويضطدم هذا الدافع الغريزي داخل العقل الباطن بمركز شرطية « الانا العليا » التي توقفه وتطرده نحو الخزان الاصلي . في هذه الحالة كان الاخ يجهل ان هذا الكبت كان يعمل داخله غير أن علامة ربما تكون قد ظهرت اثناء الليل بصيغة الحلم .

في حالة الكبت هل هناك دوماً اعراض ؟ كل شيء يعتمد على قوة وحدة الكبت . فهناك بعض انواع الكبت البسيطة والعبارة التي تظل دون تبعات وترجم ببساطة الى حلم ليلي . وهناك بعض الانواع الاخرى من الكبت التي تتميز بطول مدتها غير أنها قد لا تظهر أية اعراض واضحة . ولكن على أية حال بالامكان اكتشافها فوراً من خلال سلوك وتصرف الشخص الذي « كبت » .

وعلىنا الان ننسى ان الكبت يأتي نتيجة للصراع ما بين القوتين اللاواعيتين وهما : « الهو » و « الانا العليا » . وهو صراع قد يكون شرساً في بعض الاحيان ويؤدي الى اسهوا الصراعات الداخلية التي قد تسبب من الاذى بحيث ان الشخص يشعر وكأنه ممزق بين اتجاهات متعددة دون ان يشعر بما يجري داخله .

والسؤال الاول الذي قد يطرح نفسه هو الاتي :
لماذا استطاع هذا الدافع المرور من سلطات الجمارك في
حالة القمع لكنه لم يتمكن من فعل ذلك في حالة الكبت؟

التربية والكبت

اذا كان المربون قد أكملوا مهمتهم بصورة مقبولة فان هذه
«الانا العليا» ستكون بمثابة مرشح منقي وليست حاجزاً فولاذياً
يمنع كل شيء . نحن نعرف اولئك الاشخاص الذين نعتهم على
النطاق الشعبي «بالمكبوت» . انهم اولئك الاشخاص الذين
لديهم حاجزاً بين دوافعهم ووعيهم . فليس هناك شيء يمر ويتم
ايقاف كل شيء . فهم يشبهون حيثذ السيارة التي اغلق مرشح
الزيت فيها . . . وهم يكتبون الدوافع البسيطة والدوافع الصعبة
على حد سواء . لقد اصبح الكبت آلية انعكاس فريدة من نوعها .
واصابهم الامساك الذهني وهم يقتاتون على جزء تافه من
الوعي كما تختفي كل اشكال العفوية . . انهم يعتقدون بانهم
يعيشون غير أنهم نائمون متيقظين . ومن ثم يفرضون كبتهم
بدورهم على اطفالهم حيث يأخذون منهم «الهو» ويمزجون كل
واحد من هذه الاجزاء ويملؤها لاشعورياً بكبتهم الخاص .
وسيكون هذا استمرار «للانا العليا» المعتمدة والتي توقف أي
دافع عفوي . وبالنسبة للرجل الطبيعي فان أي دافع مهما كان قد
يمر دون اضرار .

هذا الدافع سيتم هضمه بصورة واعية وقد يرقى أو يقبل ارادياً .
وبالنسبة لهذا الرجل فيجري كل شيء بوعيه الكامل . انه ما
يسمى «بأعرف نفسك بنفسك» ! إنه الرجل الذي يمتلك الشعور
المتجانس والواسع والمتوازن . وانه ذلك الانسان الذي يقبل
الخير والشر دون أي ضيق نفسي مرضي . انه كائن الوسط الجيد
الذي يعرف ان كل شيء يحمل معنى ويراقب عقله الباطن بتجرد
دون ان يسحقه وهو على علم بقدرته .

عودة الى الكبت

لنفترض ان دافعاً قد جاء من «الهو» ووصل الى دائرة الجمارك
اللاشعورية للانا العليا . ما الذي سيحدث :

١- قد يقبل هذا الدافع دون أية صعوبة . وعليه ان يتمتع بصفة
طيبة تتفق مع مصطلح الانا العليا . وفي هذه الحالة يصعد الدافع
الى الوعي كما هو عليه .

مثال : «الانا العليا» تسمح بمرور دوافع المحبة والصداقة
والخلق الفني والسعادة أمام الطبيعة . الخ .

٢- قد يقبل هذا الدافع ايضاً بشرط ان يرتدي لباساً آخر . ومن
ثم يصعد الى الوعي ولكن بصورة متكررة «كمتشرد» يرتدي لباس
شخصية اجتماعية .

والحياة اليومية فيها ملايين الحالات من هذا النوع .

مثال : شابة تمر أمام مجموعة من الشبان ويقومون «بالصغير
للدلالة على الاعجاب». ما الذي يجري فعلاً؟

أ - ان اساس هذا الصغير الاعجابي هو جنسي بطبيعة الحال :
ذكر في مواجهة انثى .

ب - العقل الباطن لهؤلاء الرجال يرسل دافعاً جنسياً موجهاً
نحو المرأة وهو أمر طبيعي وغريزي .

لنفترض الان ان هؤلاء الرجال هم مخلوقات بدائية لم يسمعو
قط أحداً يتحدث عن الاخلاق والدين والحياة الاجتماعية واحترام
الآخرين . . الخ .

لنفترض انهم يشبهون ذهنياً القروء في الغاية .

ماذا سيكون رد فعلهم المسوجه من جانب «الهو» التي
يمتلكوها . سوف يهاجمون المرأة جنسياً أو يطلقوا بعض الطرائف
غير المؤدبة (كما يلاحظ ذلك في بعض الحالات النفسية
الشديدة تتحرر فيها الغريزة دون كايح) .

ج - هذا الدافع الجنسي الصرف يتم كبحه بواسطة دائرة
جمارك «الانا العليا» .

د - اذا كان هؤلاء الرجال سالمين اخلاقياً فلن يكون هناك أي
كبت . غير ان هذا الدافع الجنسي سيترشح ويتقنع قبل أن يصل
الى الوعي . ويتحول الدافع الوحشي الى صغير اعجاب .

هـ - هؤلاء الرجال واعون اذاً بصغيرهم ويدافعهم الجنسي

ولكنهم سيظلون غير واعين « بالترشيح » الذي يتولد فيهم .

الطرائف :

تأتي غالبية الطرائف من السبب ذاته . ونحن نعلم ان النشاط الجنسي هو الميدان الاكثر احتواء للممنوعات ! فهو اذاً الميدان الذي يتصارع فيه اكبر عدد من الممنوعات . . . أي الكثير من الاقنعة وحالات الكبت . فاذا لاحظنا مائة طريقة فاننا سنكتشف ان تسعين بالمائة منها ذات اساس جنسي . واذا كانت هذه الطرائف ذات طابع روحي أو بدني فان ذلك لن يغير شيئاً في الموضوع .

فهي اذاً تحريف للدافع الجنسي الفطري المنقّى بواسطة «الانا العليا» دون معرفة الانسان ذاته .

وهنا ايضاً تعمل التربية السيئة من النشاط الجنسي ارضية للعصابات لانها ستجعل من «الهو» الجنسية ارضية مخجلة حقاً . وتصبح «الانا العليا» حيثذ لوحة كونكرتية تكبت الدوافع الجنسية حتى المقبولة منها . ولكن الا يستحسن ان نحس شعورياً بدافع جنسي (حتى وان كان ممنوعاً اخلاقياً) ونقوم برفضه ارادياً . . . بدلاً من كبته لا شعورياً مع كافة ما يمكن ان تفضي اليه هذه الانواع من الكبت؟

● العقدة النفسية

هذه الكلمة منتشرة جداً في يومنا هذا! الناس يثرثرون بعقدتهم النفسية كما يتحدثوا عن مشترياتهم اليومية . فالطفل الصغير يعلن ان شقيقته مصابة بعقدة نقص . وهذه السيدة تقول ان تسريحتها تسبب لها عقداً نفسية . . الخ .

لقد اصبحت الكلمة شائعة الى الدرجة التي جعلت كل شخص يبدو متأكداً من معرفة معناها . . . ولكن الحقيقة انه ليست هناك سوى حماقات . . . !

وعند دراستنا لجانيه فقد سبق وأن رأينا ان الاجزاء غير المتكاملة كانت قد تتسرب داخل اللاشعور فهي تعيش حياتها الخاصة هناك، انها الطفيليات .

والعقدة النفسية هي مجموعة من الاجزاء المشحونة كثيراً بالانفعالات وهي موجودة بصورة مصطنعة في أحد اجزاء المنطقة اللاشعورية وهي تدبر بدون معرفة الفرد بعضاً من افعاله (الافعال المعقدة) . والعقدة النفسية تشبه خزان صغير منفصل (صغير ولكنه قوي!) تتجمع في داخله المشاعر والانفعالات التي تتفق معه فهي تبقى لاشعورية غير أنها تفرض ردود فعل عديدة .

ويلاحظ عالم النفس بصفة مستمرة ان المريض يخلط ما بين الاعراض والعقدة النفسية ذاتها كما لو كان يعتقد ان الفقاعات المنفجرة على السطح هي قاع البحيرة .

شخص يقول : «لدي مركب نقص» وهو تصور خاطيء . لقد كان عليه ان يقول : «لدي مشاعر نقص وهي اعراض عقدة متمركزة في عقلي الباطن (والتي لا يمكن ان تكون نقصاً قط)» . شخص آخر يقول : «عندي عقدة الضيق النفسي» بينما كان عليه القول : «لدي مشاعر بالضيق والتي هي اعراض لعقدة لاشعورية» .

كيف تتكون العقدة النفسية؟

عندما نقول «عقدة» نقصد «مجموعة» . لنفترض ان مجموعة من الدوافع اللاشعورية تعود الى المريض ذاته . ولنفترض ان هذه الدوافع تكبت الواحدة تلو الاخرى لسنوات عديدة . وابتداءً من مجدداً المثال ذاته واتخيل ان الشقيق يكبت لفترة طويلة دوافعه الجنسية تجاه شقيقته . ما الذي سيحصل ؟ سيتنامى عدد «الاجزاء» المكبوتة الى الدرجة التي تتكون فيها كتلة لتعلن عن ولادة عقدة نفسية . وهذه العقدة اذاً تمثل نظاماً فكرياً مشحوناً دائماً بانفعالات مؤلمة ! انه الصراع الداخلي المقلق ما بين «الانا العليا» و«الهو» . وما يؤلم اكثر هو كون الشخص المعني لا يشعر بعناصر هذا الصراع . فهو يرى الفقاعات التي تنفجر على السطح فحسب أي الاعراض .

وسنرى قريباً (العقد النفسية المتطورة) ان بعض العقد تتكون

ذاتياً في فترة الطفولة وهي تتوافق مع بعض لحظات التكيف الصعبة . ويمكن ان تتحلل بسرعة بالتأكيد واذا لم تتحلل فانها تترسخ في اللا شعور ويظهر جذر العقدة وتدب فيه الحياة ويوجه الانفعالات الاخرى التي تخلق بدورها جذراً ثانياً ، وهكذا . . . في هذه الحالة اذا توجب على الفرد الاستعانة بكافة مصادره فما الذي سيجري ؟ (مثال : اذا وجد نفسه في بعض الحالات الحرجة التي عليه التكيف لها؟) مجمل شخصيته تبدأ بالاهتزاز والعقدة النفسية تترسخ . ويتحرك قاع البحيرة ويضطرب وتصعد الاعراض الى السطح : مشاعر النقص والاستحواذ والافكار المتسلطة ونغمات القلق وبخاصة النفسي بكافة صيغه واشكاله . . . وهكذا وجد فرويد التحليل النفسي .

نحن نعلم انه عمل مع شاركو وبرنهايم وشارك في التجارب المهمة في التنويم المغناطيسي واستنتج الاتي : المنوم يخرج فكرة معينة وتدخل هذه الفكرة في العقل الباطن للشخص موضوع البحث مكونة نواة منفصلة (بوسعنا مقارنتها «بالهوى» التي تتكون العقدة فيها) .

وعندما يكون المريض يقظاً فاز الفكرة لا تظهر بل الاعراض فحسب .

مثال : المنوم المغناطيسي يوحى للمنوم مغناطيسياً الآتي :
«عندما تشير الساعة الى العاشرة فانك ستخرج وتأخذ مظلتك» .
ومن ثم يقوم بإيقاظ المريض . وفي الساعة العاشرة ينهض هذا
الشخص ويأخذ مظلته . وطلب اليه المنوم قيامه بذلك وكان
يفترض بالمريض ان يجيبه قائلاً : «انهض وأخذ مظلتى لانك
أمرتني بذلك» . بينما اجاب المريض بشيء آخر يختلف تماماً
كأن يقول مثلاً : «انهض لأنى اشعر برغبة في الخروج ، ومظلتى ؟
لكن المطر قد يهطل !»

مثال آخر : المنوم يوحى للمريض انه قد حرق ذراعه بشدة .
ومن ثم يوقظه وتظهر انتفاخات على الذراع ذاتها . وعند
الاستفسار فان المريض سيحدد سبباً آخر مختلف تماماً . فهو لن
يتحدث عن الايحاء أو عن الحروق بل عن مرض جلدي مثلاً .
انه يتحدث اذاً عن العلامة جاهلاً تماماً سبب هذه العلامة .
وعندما رأى ذلك قفز فرويد فرحاً فقد أمسك بمفتاح الحل . . لقد
فهم انه ليس من الواجب الاهتمام بالتفسيرات المقدمة من قبل
المريض . لماذا؟ لان هذه التفسيرات تتوجه نحو الاعراض
المرئية (الفقاعات) . بينما العقدة تبقى كامنة غير مرئية داخل
العقل الباطن .

فالتحليل النفسي يتخذ الطريق المعاكس لتجارب التنويم
المغناطيسي :

أ - التنويم المغناطيسي يوحى بفكرة ومن ثم تظهر العلامة أو الاعراض .

ب - التحليل النفسي يستأصل الفكرة اللاشعورية وتخفي الاعراض .

وأصعب ما في الامر هو القدرة على استئصال هذه الفكرة .
وهو ما يمثل جزءاً أساسياً من تقنية التحليل النفسي كما هي معروفة .

● كيف تتجلى الاشباح اللاشعورية؟

كما رأينا سابقاً فانها تتجلى في الاعراض . ولكن ماذا ايضاً؟
نحن نعلم ان دائرة جمارك «الانا العليا» تعيق مرور بعض الدوافع . ولكن متى ستمر هذه الدوافع؟ عندما لا يحتفظ رجال الجمارك بالحواجز أي عندما تترك «الانا العليا» مهمة الرقابة وهذا يحدث اثناء الرقاد الذي يظهر على شكل تغيير في عمل المراكز العصبية . هوذا الليل قد حل والكائن البشري يخلد الى النوم فيختفي شعوره . وتتلاشى «الانا العليا» وترتخي الرقابة . وعندما ينام الانسان يعود الى مصادره الغريزية .

وتمثل دوافع العقل الباطن امام دائرة جمارك «الانا العليا» غير ان رجال الكمارك كانوا قد غادروا المكان وكان الشرطة منهمكين بلعب القمار! فتسلل الدوافع سرّاً دون ضوضاء . . ويبدأ في

العقل الانساني استعراض للمشاهد يتابعها الشخص النائم وهو ما يسمى بالحلم .

● الحلم

انه سلسلة من اعراض اللاشعور. وقد أطلق فرويد على الحلم التعبير التالي : «الطريق الملكية التي تؤدي الى اللاشعور». وتجدر الاشارة الى ان التفسير الذي يقدمه التحليل النفسي للاحلام لاعلاقة له «بمفاتيح الرؤيا» وبالكلام التافه على اختلاف اشكاله .

وفي الازمنة الغابرة كانت تُعبد الاحلام بمشابة تحذيرات ونصائح من الالهة . وهي ما تزال كذلك احياناً في عصرنا الحاضر ومن المحتمل وجود الهاجس الداخلي كما يحتمل ايضاً في المستقبل (الذي سبق وان تقرر في الحاضر) ان تظهر لبعض الاشخاص تحت ظروف مختلفة . غير ان هذه المفاهيم تنتمي الى حقل آخر لذلك علي ان اتخلى عنها هنا رغم الاهمية التي قد تمثلها . وغالباً ما يظهر الحلم بصيغة رمز .

حلم ايضاً

هوذا حلم في غاية البساطة حدث (لايضا) التي تكره شقيقتها . واذا ما ذهبنا أبعد من ذلك فيصبح أمراً منطقياً ان كراهية ايضا تذهب الى حد الرغبة (واعية أو غير واعية) في ان ترى اختها ميتة

او منتهية . واستناداً الى تحليل ايضا فان الكراهية شعورية وكانت «الرغبة في الموت» مكبوتة داخل عقلها الباطن لانها غير مقبولة استناداً الى أخلاقها .

ايضا موجودة في غرفة وعلى المنضدة هناك تابوت مفتوح . وتدخل شقيقتها الى الغرفة وتتجه نحو التابوت وتنظر ملياً الى ايضا وتبصق على الارض وتلج الى التابوت وتبقى فيه كجثة ، تبدأ ايضا بالضحك وتستيقظ مرتعبة .

يعد هذا الحلم بسيطاً جداً فالتابوت هو رمز بدائي للموت . وتدخل الأخت وتنظر الى ايضا وتبصق (رمز الاحتقار) . تدخل الى التابوت (وفاة) . ايضا تضحك بارتياح وتستيقظ . لماذا هي مرتعبة؟ لانها احست شعورياً برغبة الموت اللاشعورية المكبوتة حتى الوقت الحاضر غير أنها استفادت من الرقاد كي تتجسد .

حلم بيسر :

لنفترض الان ان شاباً قد اضطر الى ايقاف دراسته بسبب ولادة شقيقة حيث تصبح النفقات المالية باهظة جداً لذلك اضطر الشاب الى ترك الدراسة التي يعتبرها مهمة جداً ، هذا الشاب يحب اخته كثيراً وهو في وعيه ، ولكن من الطبيعي في الوقت ذاته ان يأسف بشدة لكونها حطمت مستقبله . وتمر السنون . . واصبح حلمه كالآتي : تابوت (مرة اخرى) وداخله نجد والد هذا الشاب

لكنه يبدو اكثر شباهاً . يتقدم بيرو يستمع الى والده يقول : « عمري ثمان وعشرون عاماً وأنا ميت » .

هذا الحلم يصبح بسيطاً عندما نكتشف ان الاب كان يبلغ التاسعة والعشرين من العمر عندما ولدت الشقيقة . وهذا يعني اذاً : « فيما لو توفي والدي وهو في الثامنة والعشرين لما ولدت شقيقتي وكان سيكون بمقدوري اتمام دراستي . . »

لدينا هنا اذاً تحليل منطقي جداً على الرغم من أنه تم داخل الحلم . غير ان التفكير لم يكن سيرى النور في حالة اليقظة . . لماذا؟ لان الأنا العليا كانت ستكتبها فوراً ويكل فزع . ساتناول هذا الحلم مجدداً لاحقاً .

حلم جان :

والدة جان متسلطة وجان شديد الخجل وبخاصة من جسده . انه بالتأكيد يخاف النساء ، وحلمه هو الآخر بسيط جداً . يجد نفسه في فسحة غابة ويشعر بانه مغطى من رأسه حتى قدميه ويقوم بجر ملابسه حتى يغطي كافة اجزاء جسده . وعلى بعد بضع خطوات منه هناك شجرة منتصبة . وخلف هذه الشجرة توجد زنبة كبيرة بيضاء . جان يتحب اكثر فاكثر وهو يغطي جسده تدريجياً . وينظر بعنف الى الزنبة الكبيرة البيضاء . وفي هذه اللحظة تظهر الام ووجهها مغطى بشال أسود وهي الاخرى غارقة في البكاء . ويجد جان نفسه عارياً ويلوح بقبضته نحو والدته فتأخذ الاخرة

خنجرأ وتشير الى الشجرة التي امام جان ثم تطعن نفسها . جان يتوجه نحو الشجرة ويدخل فيها ثم يخرج من الشجرة وهو يرتدي لباس الفارس وبجانبه حُسام براق . فيقترب من زهرة النرجس ويقطعها بسيفه ، وفي تلك اللحظة تتحول زهرة النرجس الى اللون الاحمر فيحس جان بنشوة جنسية يستيقظ على أثرها لتفحص الرموز التالية :

* الشجرة : (انظر رقم (١) التداعيات الحرة) وتعني القوة والرجولة والنشاط الجنسي . وقد لا يفكر أي شخص في العالم ان تكون الشجرة رمزاً للضعف او اللينونة . ولذلك فالشجرة هي رمز عالمي .

* النرجسة البيضاء : رمز الصفاء بالتأكيد . وهنا نشير الى فتاة شابة .

* الشال الاسود : رمز الاسف والحزن والذل .

جان أمام النرجسة البيضاء (الفتاة الشابة) يشعر بالخجل من جسده (فيغطي نفسه بغضب شديد) . انه يتحجب (خجل وغضب أمام النرجسة البيضاء اذ لا يتجرأ على الاقتراب منها) . تظهر والدته وهي ترتدي شالاً اسوداً (حسرات لان تسلطها تسبب في تمادي ابنها الى هذا الحد) . انها غارقة في الدموع (ايضاً) . انها تسحب الخنجر وتطعن نفسها (السبب ذاته أو الرغبة اللاشعورية

في رؤية وفاة والدته). انها تشير لجان طريق الشجرة (طريق الرجولة). ويدخل جان الى الشجرة ويخرج منها مرتدياً زي فارس (القوة واليسر) وهو يحمل سيفاً (اليسر والقوة والجاذبية وملح لمواجهة الحياة). انه يتقدم من النرجسة (الفتاة الشابة).

وهنا تظهر عدوانية: جان يتحرر فجأة من خجله وضعفه فهو يقطع بقساوة زهرة النرجس (حسامه يرمز الى العضو الذكري الذي يزيل بكارة الفتاة الشابة) وتتحول النرجسة الى اللون الاحمر (رمز الدم) والفعل الجنسي واضح هنا لالبس فيه لان جان يشعر بنشوة جنسية تتسبب في ايقاظه من النوم. وباختصار فان التحليل الجيد للحلم يستند الى عاملين:

أ - معرفة عميقة بالتحليل النفسي

ب - تجربة عملية واسعة

فالمحلل النفسي يشبه مخبر ذهني. فباعتماده على آثار الاقدام عليه اكتشاف المذنب. فلا يجوز الاعتماد حالاً على التفسير الاول الذي يرد. فعند اكتشاف شعر أشقر لا يعني ذلك ان الشخص ينتعل كعوباً مسطحة! يجب ان يجرى تحليل جدي عبر مجموعة من الاحلام وأيضاً بالاستناد الى قرينة مترابطة جداً. ويشارك المريض في هذا التحليل. وحينئذ يكون المريض مدعواً للقيام بتداعيات حرة استناداً الى مادة حلمه. لقد تحدثت عن

الرموز والبعض منها قد تحمل المعنى ذاته بالنسبة للجميع .
ولكن على الرغم من ذلك فانها قد تتغير حسب الطباع والذهنية
الآنية .

● أين نحن في هذا الصدد؟

نلاحظ ان تفسير الاحلام قد يكون أمراً اساسياً في تقنية
التحليل النفسي . وأكرر ان البلبلة في الحلم ما هي الا شيء
ظاهري حسب رأي فرويد . فغالباً ما يكون للحلم معنى محدد
على الرغم من كون الشخصيات متكررة فضلاً عن انه يعبر احياناً
عن بعض الرغبات المكبوتة .

وسوف نفهم ذلك باعادة قراءة حلم ايها (الرغبة بوفاة شقيقتها)
وحلم بيير .

لنحاول ان نتناول الاشياء بصورة أعمق :

أ - ان ولادة الاخت منعت بيير من متابعة دراسته .

ب - اذاً، لو لم تكن لديه شقيقة لاستطاع بيير اكمال دراسته
هذه .

ج - اذا لم تكن لديه شقيقة يعني «لو لم تولد شقيقتي» .

د - «لو لم تكن شقيقتي قد ولدت يعني : «لو كان والدي ميتاً»

قبل ان تتكون» .

بينما :

النقطة (أ) هي عقلانية وشعورية
(ب) تعد عقلانية ايضاً ويستطيع بير هضمها دون أن تؤثر
على معنوياته .

(ج) تصبح لاشعورية لكنها قد تظهر ضمن حركة المزاج .
مثلاً: لو لم تكن مولودة هذه لاصبحت الآن مهندساً!
وسيجيب الشعور قائلاً: «ما الذي جرى لي؟ إني أتفوه
بحماقات...»

اما (د) فانه يأتي من «الهو»، هذا الدافع تكون بسرعة البرق
لكنه طُرد حالاً .

وعلى أية حال فان الدافع (د) قد تكون وسقط مجدداً داخل
«الهو» ليخرج منها . عندما ينخفض نشاط دائرة الجمارك بصيغة
مأساة معاشة من الحلم . فحلم بير يترجم اذاً «رغبة» لاشعورية
لمنطق عنيد .

السخط الشعاع

قد تهدد بعض المشاعر بالانتفاض أمام التحليل النفسي!
وقد حدثت فعلاً حالات من هذا القبيل! ولتصور الالهانات
والتطاولات التي تلقاها فرويد لفترة طويلة .

هل يحتمل الانسان مثل هذا القدر من الرواسب العميقة؟
غير اننا نسينا شيئاً مهماً فعندما نذكر «رواسب» نعني بها حكماً

اخلاقياً . ومرة أخرى نقول هل بوسعنا أن نقاضي الذئب اخلاقياً
عندما يفترس الحمل؟

أو: هل اننا نعجب اخلاقياً بالحمل عندما يهرب من الذئب؟
ان كل واحد منهما يؤدي دوره ولا شيء غير ذلك . وقولنا ان
النمر حيوان شرس لا معنى له على الاطلاق . فالنمر هو النمر بكل
بساطة . وبالقدر ذاته يكون «الهو» هو «الهو» وان أي تقدير اخلاقي
لحسابه يعد أمراً ساذجاً . ان علينا ان نعرف بدلاً من الحكم
عليه .

ألم يكن جميلاً ان يتمكن الانسان هذا الحيوان «المتطور» من
التجرد شيئاً فشيئاً من هذه الانانية الصرفة ويحصل على ضمير
اخلاقي ووضوح يتيحان له تدريجياً معرفة النفس وحب الآخرين؟
ان التحليل النفسي على العكس مما يتصور عنه يتيح الى
الكائن البشري أن يرى ذاته كما هي بجمالها وبشاعتها . وان يرى
نفسه دون احتقار وان يستنتج ببساطة . أليس من الافضل معرفة
النفس تحت الظروف كافة مهما كانت وبالتالي معرفة الاسلحة
الواجب استخدامها للتخلص من حيوانيته؟

والتحليل النفسي ليس موجهاً للمرضى بل أبعد من ذلك!
انها طريقة للوضوح . انها لا تصطدم الا اولئك الذين يخشون
أن يروا الطبيعة الحيوانية للانسان ويرفضون (غالباً بسبب الخوف)
دمجها مع طبيعتهم الروحية . وبالتأكيد كما هو الحال بالنسبة

لغاليلو فان التحليل النفسي يوجه ضربة مباشرة للغرور (الذي تولد نتيجة للجهل والخوف) . : ولكن لدى دراستنا للتحليل النفسي نكتشف كيف أنه يساهم في توضيح العديد من الافعال النفسية الى اليوم الذي سيصبح فيه كما كان يجب ان يكون علماً خالصاً يلتحق بالفلسفات الكبيرة .

❁ تصريف الانفعال

ويتولد ذلك عندما يتحرر شخصاً من كبته دافعاً إياه الى الخارج . مثال : أثمان سر كبير يعد ضرباً من التنفيس البسيط و«صمام أمان» وجداني . ويقول الانسان حينئذ : «هذا السر كان يخنقني والبوج به للآخرين جعلني اشعر بالراحة» . نحن نعلم ان حالات الكبت غالباً ما تفرز اعراضاً مؤلمة . وأحياناً تختفي حالات الكبت هذه خلف سلوك يبدو طبيعياً . وقد حدثت حالات كبت عنيفة (الخوف) خلال الحرب ادت الى مظاهر هستيرية لدى المقاتلين والى «تحولات» بدنية : كالشلل والصمم والعمى المؤقت دون اساس عضوي لذلك وفي مثل هذه الحالات يفرض التنفيس نفسه ايضاً .

كيف يحدث التنفيس؟

١ - يمكن ان يحدث عفويّاً : غضب عنيف يمكن ان يحرر

ملاحظات مكتوبة مثلاً . وبعض الانفعالات تعد ايضاً تنفيساً لكبت معين .

٢ - يمكن ان نطلقه على أثر صدمة كهربائية فيخرج المريض احياناً صراعاته اللاشعورية . فلم تعد العلامة التي تظهر بل العقدة النفسية ذاتها .

٣ - التحليل النفسي يؤدي الى حدوث التنفيس عن طريق فتحة لابواب العقل الباطن .

٤ - تستخدم بعض العناصر الكيميائية ايضاً فاتحة الطريق لطبقة اللاوعي (الهو) .

انه التحليل باستخدام العقاقير أو «مصل الحقيقة» وسيتم التحدث عن ذلك لاحقاً .

● الغريزة الجنسية

يعد النشاط الجنسي أحد أسس التحليل النفسي ، وعلينا ان نعرف الآتي : «لا يجوز الخلط ما بين النشاط الجنسي والتناسل . فالغريزة الجنسية لا يجوز خلطها مع الرغبة في التزاوج . والغريزة الجنسية بشكل عام هي كآية غريزة اخرى موجودة منذ الولادة . وقد تسبب هذا المفهوم الجريء في تعرض فرويد للافتراءات الاضافية . فامكانية ان يكون للطفل نشاط جنسي كان يبدو امراً ساذجاً ومكدرأ . ولكننا لم نكن نأخذ به على انه أمر ساذج وان

الغريزة تظهر في البلوغ! فضلاً عن ذلك لماذا يكون الكائن خارج
قوانين الطبيعة؟

* نحن نعلم في الوقت الحاضر ان الغريزة الجنسية تتجسد
في مظاهر متعددة حيث لا يشك حتى بفعلها . ان بعض تصرفات
الطفل نحو جسده تعد بمثابة مظاهر جنسية (ولن أقول هنا
تناسلية). ويترجم بعض سلوك الابن تجاه والدته الغريزة ذاتها.
وكل ذلك يعد أمراً منطقياً: فهناك نشاط جنسي عام متى ما وجد
جنسين متعارضين. انه قانون الطبيعة برمتها وليس هناك ما يدعو
للهلع منه بشرط اعتبار النشاط الجنسي حالة سليمة وغريزية
ومتحررة من المحرمات الاخلاقية نمطر الانسان بها. . .
وسأتحدث فيما بعد عن النشاط الجنسي . غير أنني أريد دراسة
بعض ممارسات الطفل التي كانت تخيف الوالدين وأهمها:
العادة السرية .

● ماذا لو مارس الطفل العادة السرية أو الاستمناء . .

في أية حال من الاحوال فان على المربين الا يفزعون الطفل
أو يجعلونه يشعر بالخجل . وغالباً ما تؤدي العادة السرية الطفولية
الى كوارث في البلوغ؟ هل بسبب الممارسات ذاتها؟ كلا، ابدأ
بل بسبب المناخ الاخلاقي الذي يرافقها .

ان علينا اعتبار العادة السرية كظاهرة طبيعية في تسعين بالمائة

من الحالات . ويجد الاباء انفسهم أمام مسؤولية اساسية تتمثل بالفهم السليم . ولكن كيف يتصرف الكثير من الاباء؟ انهم يتفوهون باحاديث مثل : «لن تكبر قط . . .» أو «ستصبح أحدياً أو مجنوناً وإذا استمررت في هذا العمل فانتك ستفقد . . .» أو «سيراك الشيطان ويرسلك الى جهنم . . .» الخ ! أو هناك اشياء اكثر حدة عندما نكتشف علناً ما يسمى «بعبيب الطفل» ! انه اسلوب غير مقبول قط . وكل ردود الفعل هذه يجب تجنبها بأي ثمن كان . ولا يجوز التصرف مطلقاً بهذا الشكل لان الطفل لو استمر بممارسة العادة السرية فانا سنلاحظ بعض حالات الفزع والخجل والضيق النفسي والانفعالات التي سيعيشها ! كما قد تظهر بعض العصابات الرهيبة . ان علينا عدم اللجوء الى الرعب بل الى المصادقية . ونحرص جاهدين على عدم الحاق الضرر بذهنية الطفل . وحيث لن يكون هناك ما نخشاه .

وعندما يكتشف الطفل وهو يقوم بهذا العمل علينا طمأنته وعليه ان يقتنع بان ممارسة العادة السرية أمر طبيعي ولا يتسبب في احداث أي اضطراب . وبذلك يتعاون الطفل بصورة تامة وتقل ممارسته للعادة السرية بشكل ملحوظ . ويكفي ان نرى الارتياح الكبير على الصبي عندما يكتشف انه ليس شخصاً منبوذاً وليس الوحيد في هذا العالم الذي لديه مثل هذا «العييب الشنيع» ! وقد يحدث الاستمناء الطفولي نتيجة للمناخ العائلي الضار .

فالطفل التيمس الذي يجد نفسه في حالة من فقدان الأمن يبدأ بالبحث من خلال نفسه عن اللذة والسعادة التي لا يجدها في مكان آخر. وفي هذه الحالة تختفي ممارسة الاستمناء بمجرد عودة الحياة الطبيعية للعائلة (أي ان الطفل قد أستعاد أمنه المفقود).

فضلاً عن ذلك فان الاستمناء الطفولي يمثل احياناً ثورة ضد المناخ العائلي . فيقوم بالاستمناء بنفس الذهنية التي يقوم فيها باكل قطعة حلوى مسروقة في الخفاء .

ان هذه الممارسات الانفرادية قد ينصح بها اذا لاسباب صحية . ولذلك فان على الاباء انفسهم ان يتناولوا المشكلة الجنسية بمنظار صحي وجاد وبحكمة وان يعملوا ان كان ذلك ضرورياً من أجل التخلص من حالات الكبت الخاصة ومن خجلهم الشخصي في مواجهة النشاط الجنسي .

● عقدة الخصي

الخصي المادي يعني اجثاث الاعضاء التناسلية الذكرية . وقد يحدث الاخصاء نتيجة لحادث أو جريمة أو عملية جراحية وتكون اثاره شديدة احياناً على الحالة الجسدية والذهنية . وهنا الكثير من الاشخاص الذين يشعرون بانفعال شديد وهم يتخيلون تعرضهم للاخصاء . ولكن هناك لدى بعض الاطفال خوف ذهني

من ان يتعرض لحالة الخصي أو الى بتر أعضائه .
وهي تتولد نتيجة لبعض الظروف التي غالباً ما ترتبط بالمربين .
ولكون الاطفال يخافون من تعرضهم لبتر أعضائهم نتيجة الخصي
تكون لهم ردود فعل انفعالية وهذا شيء سهل الفهم بسهولة
وضيقهم النفسي قد يكون شعورياً أو لا شعورياً . ونلاحظ أحياناً
الكثير من الاطفال الذين يركضون وهم يحمون أعضائهم
الجنسية بأيادهم . لماذا؟ هل هو الخوف المادي أم الذهني؟
ويلاحظ الكثير من الآباء اتجاه طفلهم الصغير نحولمس أعضائه
التناسلية والتفأخر بها، هذا الاتجاه عادي وطبيعي . ولكن الآباء
يتصرفون أزاء ذاك بصورة خاطئة . وخطرة . كأن يقولوا لطفلهم
«إذا لمست عضوك التناسلي مرة أخرى فانك ستفقده!» أو «إذا
لمست أعضائك التناسلية فسيأتون لأخذها منك وتتحول الى
فتاة» أو «لا تفعل ذلك لانه أمر قذر»!! أو «انك تقوم بحركة مقززة
وإذا استمررت في ذلك فسيسرقونها منك . .»
وأخيراً هناك ما هو أسوأ من ذلك كله عندما يقال : «إذا رأيتك
تلمسه مرة أخرى فسأقطعه لك هل تسمعي؟ . . دعونا ندرس
حالة الصبي جان مع كافة التبعات المحتملة .

حالة الصبي جان (٩ سنوات) :
جان صبي انفعالي وتثير فيه كلمة «حطاب» شحوباً قاتلاً،

ويشعر بالرعب ذاته أمام كلمات مثل «بلطة» أو سكينه . وقد طُلب الى جان في حينها ان يرسم شيئاً يرتبط بذلك . فرسم شجرة تهاجمها بلطة الحطاب ، ومن هذه الشجرة كان هناك سائلاً يسيل وطفل هارب يتبعه رجل .

وعند تقديمه لهذا الرسم شرح قائلاً : «هذا هو والدي !» (كان يشير الى الرجل الذي يتبع الطفل) . وهذا لا أعرف ما هو انه يحس بالـم» (اشار الى شجرة) . أما هذا (الحطاب) فلأنني لم أكن عاقلاً «وهذا هو الدم» (اشار الى السائل) . وفي الوقت ذاته وضع يده على اعضائه الجنسية وكأنه يحاول حمايتها وبدأ بالارتعاش .

كل شيء كان واضحاً اذاً وجاء التأكيد على لسان الوالد وهو رجل متسلط . وقال انه كان يهدد باستمرار ولده بطريقة حمقاء : «اذا لم تكن عاقلاً فسيأتون اثناء الليل ليقطعون عضوك الذكري الذي تفخر به هل فهمت ذلك؟ . . .»

لقد أصبح الامر واضحاً فالبلطة كان الأداة التي تتيح عملية الاخصاء الرهيبة للطفل . أما الشجرة فكانت تمثل الطفل ذاته (الرجولة) والحطاب كان رمزاً للأب الذي قام بعملية الاخصاء . والحركة الاخيرة للطفل كانت الاكثر بلاغة من احاديث العالم كافة .

ما الذي قد يحصل لجان؟

علينا الا نرى في حالة جان هذه مجرد انفعال بسيط ! وانني افترض انه قد استمر في العيش ضمن الحالة النفسية ذاتها دون تدخل من قبل العالم النفسي . ما الذي كان سيحدث؟

قبل كل شيء (مثلما حدث آنفاً) قد يكون جان عاش انفعالات خوف متعددة، بينما ليس هناك ما هو اكثر ضرراً من تكرار حالات الانفعال . وهذا الانفعال ظهر بمجرد ان أعتقد جان انه «ليس عاقلاً» . حيث سيأتون اليه في المساء لقطع عضوه . هل فكرنا بما كان يحصل في تلك الليالي المضطربة والمرعبة؟

لقد كانوا ينتظرونه ويضعون له الفخ لقطع اعضائه . ما الذي كان يجب عمله اذا؟ عمل كل شيء بغية تفادي أي فعل سيء . ولو كان قد استمر ذلك فان جان كان سيفعل كل شيء لتفادي الشعور بالوقوع في الخطأ ولتفادي اللوم والخشونة . وكل ذلك بانفعال شديد ! وعندما يتواجد أمام والده الانحياز فان جان يشعر بالانتقاص والتضاؤل كي يمنع أية محاولة لتوجيه اللوم اليه .

وهكذا سيدفع جان الى الشعور بالضعف حيث قد يصبح صبيّاً صغيراً وعاقلاً . وكان قد يتفادى بأي ثمن الافعال الرجولية التي كانت قد تدفعه لمواجهة الآخرين . كما ان تطوره كرجل قد يكون توقف . وهكذا يكون قد تعرض للاخصاء ذهنياً بغية الا يتعرض

لذلك مادياً . وعندما يبلغ سن الرشد فانه سيكتشف شيئاً فشيئاً ان مخاوفه المادية لا أساس لها من الصحة . بيد ان العقدة قد أخذت مكانها . وحول هذه العقدة النفسية نظمت حياته بمجملها . .

وقد يكون تحول خلال فترة المراهقة المليئة بالضيق النفسي الى الخجل والانوثة . كما قد لا يكون نجاح في القيام بأي فعل رجولي أو مهني أو زوجي . لقد كان يعد «رجلاً» في الظاهر ولكن بدون برهان عملي . كل ذلك يسبب الانفعالات الشديدة التي ظهرت بسبب والدين قليلي الذكاء .

وما الذي يحدث غالباً

هناك احياناً شيء آخر في هذه العقدة النفسية . فمجرد ان يكتشف الصبي الفارق بين الجنسين فانه يعتقد ان الفتاة غير كاملة لانها تفتقر الى الاعضاء الجنسية الخارجية . ويتابع الفتى منطقته : «اذا لم يكن لديها عضو خارجي فذلك لكوننا قد استأصلناه منها» . وهو يخشى ان يحدث له الشيء ذاته .

لماذا؟ هل انه يخشى فقدان اعضائه . كلا ولكن فقدان التفوق الذي تشكله اعضاؤه بالنسبة له . انه يخشى ان يصبح ناقصاً كالفتاة وان يتعرض للانتقاص والحرمان . دعونا نتذكر هذا جيداً لانه مهم جداً! اذا لوقام الوالدان بتهديده بهذا الشكل

فانهم سيولدون لدى الطفل قلقاً شديداً . لذلك يجب تفادي ان تصبح الخشية من الخصاء عقدة نفسية . واقترض مثلاً ان الخوف من الخصاء يرتبط بالاستمناء الفردي (على اثر تهديد المربين) . ونجد هنا ايضاً تراكمأ غريباً للضيق النفسي الطفولي والبالغ .

وسيرتبط الاستمناء في المقام الاول بالقلق من التعرض للاخصاء ، ومن ثم يصبح النشاط الجنسي مرادفاً هو الآخر للخصي ! أي التشويه الذهني والشعور بالنقص والحرمان والانوثة والضعف ونقصان الرجولة . وتتشر هذه الاعراض في نواحي الحياة كافة . ويفقد المرء كافة خواصه الذهنية ويتحول باستمرار الى الانطواء .

ويفعل الرجل حينئذ ما يفعله الصبي الذي يهرب وهو يحمي اعضاؤه الجنسية بيديه . انه يحمي نفسه من أي تشويه ذهني من أي لوم أو أي صراع سواء عن طريق الاختفاء أو الهرب . وحفاظاً على حياته فانه لا يدخل في صراع . وخوفاً من أن تخضع رجولته للاختبار فانه يتفادي أي فعل تتطلبه هذه الرجولة . أنه خاسر منذ البداية ويقلل من شأنه خوفاً من تعرضه للانتقاص . انه الفشل الجنسي والكآبة والضيق النفسي . . . أو الخوف من «احتقار» النساء أو أن التعويض يبدأ بالعمل : فالرجل بحاجة الى العدوانية الجنسية لاثبات رجولته . هذه الرجولة قد تصل الى درجة السادية بكافة اشكالها .

ان هذه العقدة النفسية يصعب الاقرار بها دون القيام بتجربة
جديدة في التحليل النفسي . ولكن يكفي الاستماع الى بعض
المراهقين لتحديدھا . .

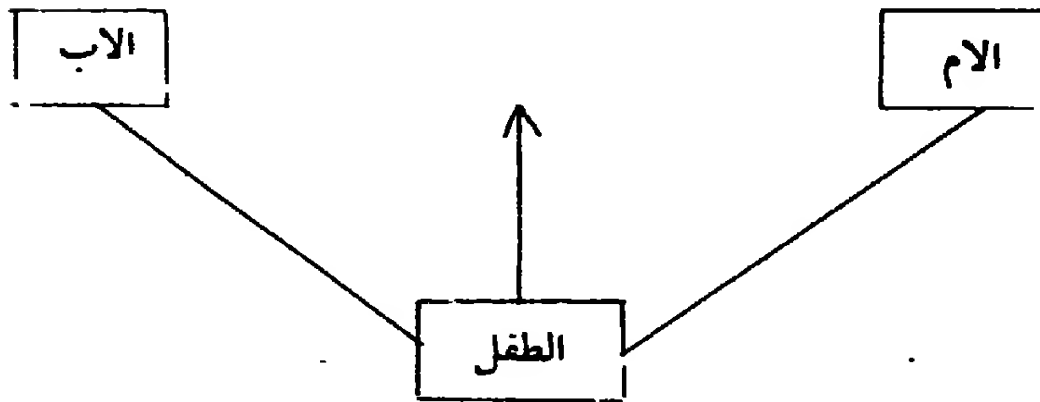
● عقدة أوديب

يبدو التعبير متخلفاً حضارياً بعض الشيء غير اننا سنكتشف
منطقه . وهذه العقدة شائعة جداً وتنجم بصورة اساسية عن
الروابط بين الالباء واطفالهم . انها اذاً تهم المربي كثيراً . وأنصح
الاهل بدراستها بعناية تامة . ان معرفة اليتها الحاذقة غالباً ما يتيح
تفادي النتائج الضارة الناجمة عنها . ويعلم علماء النفس كم من
الامراض النفسية تنجم عنها . وتحطم حياة بكاملها احياناً بسبب
هذه العقدة . وغالباً ما تؤدي الاخيرة الى الانوثة أو الضعف
والخوف لدى الرجل والى الشعور بالرجولة الشديدة لدى النساء . .
ومن بين نتائجها الاساسية نجد الآتي :

- حياة جنسية مقرقة
- ضعف جزئي أو شامل
- برودة جنسية
- خجل وفشل مستمران
- عدائية داخلية

- هذيان المطالبة والخوف المستمر من الغبن
- الشعور بالنقص
- الشعور بالذنب دون دافع ظاهر
- احساس «بعدم قبوله» اينما يحل
- شعور بفقدان الوسائل الضرورية لمجابهة الحياة أو العدائية.

- الشنوذ الجنسي بشكليه الذكري والانثوي .
ملاحظة هامة : تظهر هذه العقدة بصورة معتادة خلال فترة الطفولة وعليها ان تختفي فيما بعد اذا ما تحقق التوازن ما بين الاطفال ووالديهم . ويعكسه فان العقدة تستمر حتى فترة البلوغ التي ستكشف خلالها عن وجوهها المختلفة .
وقبل تناول عقدة أوديب اذكر ان المحيط العائلي يعد بالتاكيد اساسياً لأي طفل . ولدينا الميزان التالي :



سيكون المحيط العائلي ممتازاً متى كانت العناصر الثلاثة في وضع ممتاز. ولكن يندر ان تتوازن الكفات الثلاث لهذا الميزان. وسنلاحظ ان أي اختلال في توازن احدهما يؤدي الى الاضطراب. وسيدفع الطفل في نهاية المطاف الثمن لانه الجهة الأكثر طبعاً وليونة!

مثال:

الأب: مهيم جداً وقاسٍ وشديد الضعف ولين.. الخ
الأم: ضعيفة جداً ونواحة وعدوانية ومسيطرة..
الطفل: ضعيف بدنياً أو نفسياً:.. الخ
نفترض قبل كل شيء ان كافة كفات الميزان متعادلة واننا أمام عائلة سليمة. ما الذي سيحدث؟

○ أوديب والتحليل النفسي:

اذكر بالاسطورة: تزوج أوديب والدته جو كاست بعد ان قتل والده لا يوس. وقام بفقع عينيه كي يعاقب نفسه وهرب من مدينة تيسس برفقة ابنته انتيغون.

ما علاقة هذه الاسطورة بالتحليل النفسي؟

للوهلة الاولى (وبعملية مناقلة) «قد يتزوج» الصبي الصغير والدته «وقد يقتل» والده. وهو أمر يبدو غير معقول. انتقل الان اذاً

الى مستوى آخر. لنفترض (وهذا ما يحدث غالباً) ان الصبي الصغير يشتهي أمه «لنفسه فحسب». غير أن هناك عائق منافس يتمثل في والده. ويصبح الصبي غيوراً من والده. انه يتمنى (شعورياً ولا شعورياً) ان يترك له أباه والدته كاملة. وكيف؟ أما بالهروب أو بالاختفاء أو بالموت.

ويصبح لدينا الآتي :

الصبي : يحب والدته ويريد ان تكون له بمفرده :
فيصبح غيوراً من والده ويتمنى التخلص منه :
يشعر بالندم تجاه والده .
كما يشعر بالذنب .

الفتاة : تحب والدها وتريد ان يكون لها وحدها
فتصبح غيورة وتتمنى التخلص من والدتها
تشعر بالندم تجاه والدتها كما تشعر بالذنب
شواهد أطفال :

بعض رسوم الاطفال تعبر بوضوح عن هذا الموضوع . فنشاهد مثلاً :

أ - الصبي الصغير مع والدته في الكنيسة بحضور احد الكهنة .
ب - على الجانب، هناك باب مغلقة وخلف الباب نجد والد الصبي .

وهنا اذاً «يتزوج» الصبي الصغير من والدته ويتخلص من والده

عندما يضعه خلف الباب .

والانعكاسات الطفولية شائعة بهذا الصدد:

- أمي عندما اكبر سأتزوجك

- ولكن ماذا سيقول والدك؟

- بابا! أوه . . سيكون ميتاً .

أو اذا كانت فتاة صغيرة ستقول :

- أبي عندما اصبح كبيرة أريد ان اكون زوجتك

- ولكن أمك ماذا ستقول يا عزيزتي؟

- أمي؟ لن تكون موجودة حتى ذلك الحين .

أو يقول أحد الصبيان :

- ماما، أريد أن اتزوجك .

- ولكن يا عزيزي والدك لن يكون سعيداً بذلك . .

- اذاً، سأقتله عندما اصبح كبيراً . . الخ

هذه الرسوم والانعكاسات تضحك الناس القريبين . انها في

الواقع التعبير الاساس لعقدة اوديب .

ولنكرر ان هذه العقدة تظهر بصورة طبيعية لدى الطفل ويجب

ان تختفي بصورة طبيعية فيما بعد .

وباستخدام المخطط دعونا نختبر الظهور الطبيعي لعقدة

أوديب ومن ثم تطورها الطبيعي وما تقضي اليه . وهي تتركز على

تصرف الطفل تجاه أحد والديه من نفس الجنس أو من الجنس

المخالف .

الصبي	
نحو والده :	نحو والدته :
	الطفل مرتبط عضوياً ونفسياً بوالدته . (عناية واهتمام ورقة) .
يكشف شيئاً قشياً معنى والده ويكشف ايضاً انه ليس الوحيد الذي يحب والدته . وهكذا يصبح والده منافساً له .	الصبي يريد والدته له بمفرده ويتمنى امتلاكها بغية اشباع حاجات جسدية ونفسية .
وحيث ان والده يمثل منافساً له فانه يبدأ بالغيرة منه غير انه لا يستطيع التخلص من هذا المنافس المقتدر . ويقوم الطفل في هذه اللحظة بمواجهة والده بعدوانية فهو لا يحترمه ويستهزأ به . الخ	الطفل يرغب الاقتران بوالدته اي يجسد امتلاكه الكامل لوالدته .
يبقى في منافسة مع والده ولكنه يعجب في الوقت ذاته بقوته . فيقوم بتقليده ويحاول مساواته وحتى تجاوزه . انه يلعب ولعبة الرجل .	الطفل يبدأ بتغيير اسلوبه في الحب . فبدلاً من امتلاكها . كلياً فانه يحاول حمايتها .

نصل مرحلة البلوغ

يصب مستقلاً ولم يعد في تناقص مع والده لانه تحرر من والدته .	يصبح مستقلاً وينفصل «ذهنياً» عن والدته كما تعزز شخصيته الرجولية .
تعزز رجولة العادية	يتحول الى نساء أخريات يتزوج بصورة معتادة

الفتاة

نحو والدتها:	نحو والدها:
<p>الطفلة مرتبطة عضوياً ونفسياً بوالدتها وتريدها لها بمفردها لأنها تحصل منها على العطفانية والسعادة .</p>	<p>الاب هو منافس لأنه يستفد ايضاً من حنان الام ورعايتها . وتشعر الطفلة بالغيرة تجاه والدها .</p>
هنا يحدث انقلاب في الحالة	
<p>تتحول الام الى منافسة لأنها تتمتع ايضاً بحب وحماية الوالد . فترفض بعدوانية والدتها .</p>	<p>الوالد يظهر كقوة وكمرشد وكاشعاع رجولي . انها ترغب «الاقتران» بوالدها .</p>
<p>انها في تنافس مع والدتها في امتلاك الوالد . لكنها تحاول تقليد والدتها في كل شيء . في الاغراء فهي تحاول ان تكون اكثر اغراء من والدتها .</p> <p>(انها الفترة التي تبدأ فيها بالاستهزاء من والدتها وتحاول ان تقلل من قيمتها في نظر والدها وفي نظر الآخرين) .</p>	<p>تحاول ان تظهر له اعجاباً شديداً ويتحول الاب احياناً الى آله .</p>
<p>تأمل في تجاوز والدتها من حيث الاغراء والجاذبية .</p>	<p>تحاول ان تلعب «لعبة المرأة» نحو والدها والرجال الآخرين .</p>

نحن الآن في مرحلة البلوغ

لم تعد في تنافس مع والدتها لأنها تصبح مستقلة وتبدأ بمعاملة والدتها كصديقة. تصبح انوثتها كاملة.	تنظر الى والدتها نظرة اخرى . ويبقى والدها أباً محبوباً ولكنه ليس الرجل المطلق! ترك والدتها «ذهنياً» وتحول الى الرجال الآخرين . وتتزوج بصورة معتادة .
---	---

بواسطة هذين الشكليين قمت بتخطيط الطريق المعتادة .
وتمتصر هذه الحالة ما بين الخمسة عشر والثمانية عشر عاماً .
وقبل أن أوضح الطرق الشاذة أود التذكير بالآتي :

● النشاط الجنسي

لقد رأينا آنفاً ان النشاط الجنسي هو غريزة كبقية الغرائز
الآخري فهي تظهر منذ الولادة . وليس هناك ما يدعو للدهشة ان
طفلاً يبلغ من العمر سنة واحدة يمتلك غريزة جنسية وفي ذات
الوقت غريزة حب البقاء . واذكّر بضرورة عدم الخلط ما بين
النشاط الجنسي والتناسل . حيث يظهر الآخير في مرحلة البلوغ
ويتحول الى «رغبة جنسية» واعية بمعناها العام .
ويظهر النشاط الجنسي المستر اللاشعوري اتوماتيكياً عندما

يتواجد جنسان متعارضان : لقد رأينا ان «الهو» يتواجد خارج الاخلاق . ان مفهوم «المحارم» ليس له أي معنى : النسبة «للهو» وليس اكثر من مفهوم الشراسة لدى الذئب كما سبق وذكرت ذلك . «والهو» الجنسي لا يعرف سوى الدوافع الغريزية التي تعد طبيعية كالرغبة في الاكل والشرب . ويصبح أمراً منطقياً اذاً ان يظهر النشاط الجنسي المستتر في تعارض الاجناس لنفس العائلة . وفي حالة عقدة اوديب نجد الآتي :

الصبي : نشاط جنسي نحو الام

← ←

الفتاة : نشاط جنسي نحو الأب

هذا يساعدنا على فهم الطرق الشاذة وهي متعددة بقدر المشاعر الانسانية ! وقبل دراسة عقدة أوديب بمعناها المعروف لنشاهد ثلاث حالات شائعة :

أ - رجل متزوج يحب زوجته الى درجة العبادة . ولكنه غير قادر على اقامة علاقة جنسية معها . بيد ان الفعل الجنسي يصبح ممكناً مع نساء ادنى منها مستوى .

ب - رجل ضعيف جنسياً تجاه زوجته . وفي أحد الأيام ونتيجة لضجرتها يصبح للزوجة عاشق . وبين ليلة وضحاها يستعيد الزوج نشاطه الجنسي الطبيعي .

جـ- رجل أرتبط بعدة خطيبات وكل واحدة منهن توقعه في حالة من الضيق النفسي يخرج منها باستخدام كافة المناورات التي تؤدي الى القطيعة . ولكن بين فترة وأخرى يقوم بمعاشرة «بنات الهوى» وينجح معهم جنسياً .

ما الذي يجري؟

نحن نعلم ان للطفل توجه طبيعي نحو احد الوالدين الذي يعاكسه في الجنس :

الصبي ← نحو الأم

الفتاة ← نحو الأب

واذا ما أستمّر هذا الاتجاه الطبيعي بصورة مبالغ فيها خلال فترة المراهقة فسيحدث «التعلق» وفي هذه الحالة :

الابن :

يتعلق بامه

يتطابق مع والدته

ويصبح كوالدته ← يتحول الى شخص انثوي .

الابنة :

تتعلق بوالدها

تتطابق مع والدها

وتصبح كوالدها ← تتحول الى امرأة مسترجلة

كيف تحدث مثل هذه العلاقات ؟ عندما تختفي إحدى عناصر
الميزان . لنلاحظ حالة الصبي الأكثر شيوعاً :
عندما يختفي الأب الحقيقي ..

(١)

الأم

أب ضعيف ولين
وعديم الرجولة

الصبي

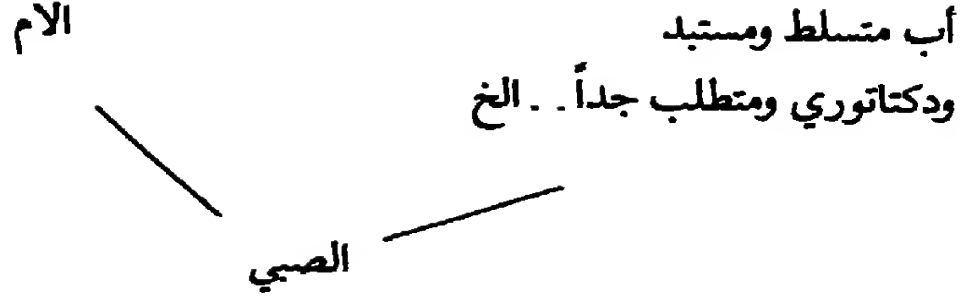
(٢)

الأم

ليس هناك أب
(مفقود أو متوفي)

الصبي

(٣)



الحاتان (١) و(٢): هذان الاحتمالان يرتبطان ببعضهما. وفي هاتين الحالتين يختفي دور الأب. وهنا نجد اذاً ان الصبي قد تولت والدته مهمة تربيته بمفردها. ومثل هذه التربية ذات الوجهين يتطلب نجاحها وجود كنوز من التفاهم والتوازن!

نحن نعلم ان الصبي الشاب عليه ان يدخل في منافسة رجولية مع والده وهو أمر لا بد منه، وان تطوره كرجل سيكون بهذا الثمن. ويجب ان يكون الاب نموذجاً يحتذى به الابن لساويه أو لتجاوزه.

ولكن في الحالتين (١) و(٢) تكون المنافسة مستحيلة بالنسبة للصبي حيث ليس بوسع ان يدخل في صراع مع رجولة أبوية غير موجودة..!

ما الذي سيجري حينئذ؟

الأب يمثل «منافساً» للصبي. لذلك ليس للصبي قط أي «ميدان» يتمرن فيه على الرجولة. فضلاً عن ذلك فان الأم الخائبة

بعدم وجود روج حقيقي تبدأ بتوجيه كامل حبها واهتمامها نحو الصبي الذي فقد رجولته منذ الان! وهي قد تضطر هكذا الى التعلق ولدها واحتضانه... الخ.

انها الحالة التقليدية لصبي «تربى في احضان والدته». وحيث ان الصبي يبحث عن مرشد وعن الطمأنينة فان الام تصبح أمنه الوحيد وقد يتعلق بها ايضاً. فهناك اذاً تعلق مزدوج غالباً ما يكون خطراً جداً لمستقبل رجولة الابن. وتصبح الأم حينئذ الامراة الوحيدة والمثالية يتحول نحوها حب الابن بكامله (وايضاً كل نشاطه المستتر). ما الذي يحدث غالباً؟ ان النشاط الجنسي الغريزي للصبي مرتبط بالاحترام التام نحووالدته. وهذا الحب المبني على الاحترام يحوله الى النساء كافة. وعندما يصل الى مرحلة البلوغ يحاول التحول الى النساء الاخريات والى اولئك النساء «ينقل» الحب الصافي الذي كان يشعر به دوماً. ويصبح غير قادر على تحقيق الوفاق ما بين الحب والفعل الجنسي. وكل حب يشعر به يصبح احتراماً مطلقاً ويمنع أي نشاط جنسي... والقانون المعتاد هو كالتالي:

الحب = عاطفة احترام + نشاط جنسي + تناسل

يتحول بالنسبة له الى :

الحب = عاطفة + احترام مطلق مع اختفاء النشاط الجنسي
أتناول الآن مجدداً الحالات الثلاث التي سبق وأن أشرنا اليها
أوب وجد :

أ- هذا الرجل غير قادر على القيام بفعل جنسي مع زوجته ويمتلك
نشاطاً جنسياً عادياً مع النساء المتدنيات اخلاقياً . لماذا؟ لانه لا
يجوز له ان «يخترمهم» . ويستطيع معهم اطلاق غرائزه الجنسية
دون أن يتذكر أن الحب = احترام بدون نشاط جنسي .

ب - زوجة هذا الرجل الضعيف تتخذ عشيقاً لها . وعلى الفور
يتحول الزوج الى شخص قادر جنسياً . لماذا؟ لان زوجته
باتخاذها لعشيق توقفت في لعب دور «والدته» وهي غير جديرة
الآن بالاحترام* .

ج- الخطيبات الرسميات لهذا الرجل الشاب يضعونه امام
مشكلته الجنسية المستقبلية . وحيث انه يشعر بالآلية التالية :
الاحترام = اللارجولة فيظهر لديه الضيق النفسي . فيبحث
حينئذ عن أية فرصة تتيح له القطيعة مع خطيباته . .
ليبدأ من جديد محاولاً البرهنة بهذا الشكل على انه قادر على

* وهنا ايضاً يمكن ان تدخل آلية أخرى هي شذوذ الجنسي التي
سأتناولها لاحقاً .

كسب المرأة. وعندما ينجز الكسب فان الضعف المستقبلي يتسبب مجدداً في الهروب. انه نموذج لدون جوان. وقد تعلق الأمر بعلاقاته الناجحة مع «بنات الهوى» فانه يرتبط بذلك بآلية (أ)

ومن جانب آخر فان كسب النساء سهل جداً بالنسبة لهم. ولأنهم قريبين من النساء فان هؤلاء الرجال يتميزون بلطافة كبيرة وبحسن المعشر كما انهم «كثيرون الجاذبية». الخ فاهتماماتهم تلمس العصب الحساس لدى المرأة وتثير فيها شعور الامومة. ويسعد الشخص ذاته ايضاً بذلك لانه يبحث عن «والدته» من خلال النساء الاخريات الى اللحظة التي توجب فيها عليه قلب الادوار. . .

اذا كان الاب متسلطاً ودكتاتورياً

قبل كل شيء اذكر ان الرجل الدكتاتوري هو رجل ضعيف. فالدكتاتورية هي تعويض عن الضعف: وهنا ايضاً تبدو المنافسة مستحيلة بين الأب والصبي أو ان الصبي يخاف بشدة من والده ويلجأ الى والدته. أو أنه يشعر بالضعف الحقيقي لوالده وتصبح والدته مصدر أمنه الوحيد. كما يمكن ان تحدث المناوشات مع الأم ايضاً.

لماذا؟ لانها لا تستطيع ان توزع حبها ما بين ولدها وزوجها فتحول كل هذا الحب الى الصبي . وهذا الاخير قد يصل الى سن العشرين وهو برجولة ناقصة . وهنا يسقط مرة اخرى في الحالات السابقة .

على العكس تماماً انها شائعة جداً ويقدر شيوع التربية القاصرة . وعيادة العالم النفسي قد شهدت الاف الشكاوي والاف الاعترافات المتعلقة بهذا الشأن . وتتطلب التربية (صبي بدون أب أو أب ضعيف) لباقة وقدرة لاحد لهما . فعلى الأم ان تحب ولدها دون ان تتعلق به وهو أمر غاية في الصعوبة لانها تمنح حبها بمجمله الى طفلها! وفضلاً عن ذلك فقد تلعب آلية اخرى لا واعية : فالصبي يمثل الحب الوحيد والطمأنينة لدى الام . وكل شيء يسير على ما يرام عندما يبقى الصبي «طفلاً صغيراً» أي لم تظهر رجولته بعد ، والام قد ترغب لا شعورياً ان يبقى ولدها «طفلاً صغيراً» لا طول فترة ممكنة . وستحاول الأم ان تؤنث ولدها كي يبقى قريباً منها ذهنياً . وحيث ان الصبي يفتقر الى الأب فغالباً ما تنجح هذه اللعبة اللاشعورية للسين التالين :

- أ - ليس للصبي نموذج رجولي يستطيع تقليده أو تجاوزه .
- ب - الأم تفعل كل ما في وسعها من أجله وتمنحه كل شيء وهو حل قد يكون مثالياً في السهولة . .

ولماذا يحاول ان يسترجل اذا كانت فساتين والدته تمنحه
النجاح؟

واذا كانت فضلاً عن ذلك متسلطة فقد تظهر تبعات اخرى .
وأنصح بمراجعة موضوع «الاشخاص المنهكين» الذي تناولته
آنفاً .

وهكذا نفهم ان معرفة بعض الاليات النفسية تصبح امراً
ضرورياً جداً . ان قيادة قارب الحياة مهمة صعبة حتى وان كان
لدينا مجاذيف . غير ان قيادتها بمجذاف واحد تصبح قضية قوة
وتحمل . فالمرأة التي فقدت زوجها وتوجب عليها تنشئة طفلها
بمفردها تجد نفسها مضطرة للقيام بأحد اصعب الادوار في الحياة
لان عليها ان تكون في ذات الوقت أباً ذورجولة وأم انثوية . .
واذا توصلت هذه الام الى تفادي الاشتباك او الهيمنة فان
النتيجة ستكون جديرة بالثناء . .

● عقدة اوديب الحقيقية

هذه الان عقدة اوديب الحقيقية . أن كل لحظة من تطور
الطفل نحو والديه قد تُفضي الى عدم التكيف . وهناك الاف
الاسباب المحتملة ، كالظروف الخارجية وتصرفات الوالدين
والهشاشة النفسية للطفل . . الخ

وتعد آلية عقدة أوديب شديدة الدقة كما انها منطقية جداً .
نحن نعلم اذاً : ان الصبي يريد ان تكون والدته ملكه فحسب وان
والده يمثل منافساً له فيحس بالغيرة تجاهه ويتمنى التخلص منه .
هذه الغيرة تولد مشاعر العدائية نحو الأب .

وهنا تصبح الطريقة شاذة :

فمن جانب يعجب الصبي بوالده ومن جانب آخر يعاني من
العدائية والغيرة . وهذا التناقض يولد الشعور بالندم والضيق
النفسي .

كما يشعر الصبي بالذنب تجاه والده دون أن يعرف سبب
ذلك . (كل هذه الاليات لاشعورية ومكبوتة) .

وحيث ان الصبي يشعر بالذنب تجاه والده فانه سيحاول
الوصول على صفحه . ولكنه يجعل سبب رغبته في الحصول
على الصفح . وعلى الصبي اذاً ان يجد شيئاً يتيح له الحصول
على الصفح وسيحاول الصبي تقليص عدوانيته . ولكن
كيف؟ عن طريق ارضاء والده! والحصول على موافقته واعجابه .
هل سيفعل الصبي ذلك باظهار رجولته الخاصة؟ كلا بالتأكيد لان
هذا التعارض بين ذكر وآخر هو الذي ولد الضيق النفسي والندم!
وهكذا سيقوم الصبي بتوضيح ذلك . وبغية ارضاء والده سيحاول
نزع طابع الرجولة عن نفسه ويقلل من قدرها ويستقص منها . أي
أنه سيحاول الظهور بمظهر الصغير العاقل جداً بدلاً من اظهار

نفسه كرجل : أن أي تسامح عاطفي من جانب والده سيعوض عن ضيقه النفسي . وقد تستمر هذه اللعبة من عشر سنوات الى عشرين سنة وحيث ان الصبي سيتحول شيئاً فشيئاً الى الصفات الانثوية فان «تعلقه» سيزداد تدريجياً بوالدته الامر الذي سيعزز الالية بصورة مزدوجة .
وسانقل ذلك بصيغة مخطط :

(الصبي)
الطريق المعتادة

نحو والدته :	نحو والده :
يريد والدته له بمفرده ويرغب الاقتران بها .	يصبح الأب منافساً في عملية امتلاك الام . وهو يرفض والده بعدوانية . فيتحول الى انسان غير مطيع ومستهزى غير انه يبقى معجباً بوالده .
الطريق الشاذة	
يرغب دوماً في الامتلاك الكلي لوالدته .	يرفض لا شعورياً حضور الاب ويرفض والده لا شعورياً . ويظهر الندم والضيق النفسي .
	انه يشعر بالذنب نحو والده دون معرفة السبب . وهو يرغب الحصول على السماح .

يتعلق بوالدته	عليه تفادي التعارض الموجود بين «الرجل للرجل» . يتزع الرجولة عن ذاته ويضع نفسه تحت منزلة والده . يقوم بملاحظة وتحقير ذاته بغية الحصول على الصفح والعطف من والده .
يتحول شيئاً فشيئاً الى الصفات الانثوية ويتعلق بوالدته .	

مرحلة البلوغ

عندما يصل الى عمر البلوغ فان الشاب «ينقل شخصية» والده الى كافة الرجال الذين يعدهم متفوقين عليه . انه يشعر بالنقص وبالانوثة (حتى وان اخفى التعويض بالعدوانية عقده النفسية!) انه يصنع نفسه اتوماتيكياً دون منزلة الرجل الذي يجده امامه . وبالنسبة للبالغين المصابين بهذه العقدة فان كل شخص متفوق يذكره بوالده كرئيس العمل والامر العسكري والاساتذة . الخ . فضلاً عن ذلك فان الاحساس بالذنب (أي انهم على خطأ) لا يبارحهم قط . والحالات من هذا النوع شائعة ومتنوعة . وهناك آلاف المظاهر التي توضح هذه العقدة اللاشعورية التي لا تظهر منها سوء الاعراض .

والكثير منهم يفعلون كل ما في وسعهم لادخال السرور الى

الآخرين . لماذا؟ هل هو فعلاً لادخال السرور؟ كلا على الاطلاق بل للحصول على الاستحسان والعطف والسماح . انهم يريدون اظهار الرضى خشية منهم ان يثيروا العكس انهم يرغبون التخلص من احساسهم بالذنب عندما يشعرون بانهم غير محبوبين وغير مرغوبين .

مثال :

- (س) يطرح غالباً اسئلة على رؤسائه وهو يعرف جيداً اجاباتها . لماذا؟ كي يعطي انطباع شخص مهتم ويشعر الآخر بانه مرشد له ، وليبين ان لديه ثقة بالشخص الآخر الذي يخشى عدم موافقته أولاً اباليته .

- (ص) يشعر بالسعادة لا شعورياً عندما يوجه اليه اللوم . ويقول رئيسه حيثئذ : « ان اللوم يعيده الى النشاط مجدداً » أنا لا أفهم شيئاً قط . وبامكاننا القول انه يبحث عن ذلك . . . انه لا يعمل جيداً قط الا عندما اعاقبه . . لماذا؟ لان هذا اللوم يمثل بالنسبة له « شدة الأب » ! وان العمل بصورة جيدة وكفاءة يتيح له الحصول مجدداً على السماح والعطف والصفح . انه يشعر بالسعادة لشعوره بانه مسامح .

- (ز) سائق سيارة يبلغ الخمسين من العمر ، هو رجل شديد الذكاء قال لي : « يبدو هذا امرأ تافهاً بالنسبة لي وأنا لا أفهم شيئاً . . هل تعلم اني غريب الاطوار في قيادتي للسيارة؟ »

وعندما أرى أحد رجال الشرطة موجوداً في نقطة التقاطع فليس هناك شخص في العالم يحترم النظام أكثر مني . ولكني أقول أنه ليس احترام القواعد أو الخشية من الغرامة هما اللذان يجعلاني أحترم القانون بشدة بل هو شيء مختلف تماماً وهو أكثر عمقاً . لدي إحساس أنني أرغب في أن يشعر رجل الشرطة بأنني أحترم النظام . . . علماً بأنني لا أعرف رجل الشرطة هذا وقد لا أراه مطلقاً فيما بعد . . لدي إحساس بأنني طفل صغير مراقب من والده والذي سيقول له : «حسناً فعلت» . .

إنني أحيي الذكاء الكبير لـ (ز) الذي استطاع أن يدفع بالملاحظة الذاتية إلى هذا الحد . وعندما نحلل حياة السيد (ز) نكتشف أن عقدة أوديب قد لعبت دورها . وهذا التفصيل البسيط (من بين مئات التفصيلات الأخرى) يوضح أن رجل الشرطة يمثل السلطة أي بكلمة أخرى الأب . وإذا كان السيد (ز) قد تمكن من القيام بمناورات ممتازة فلم يكن ذلك بسبب خشيته من الغرامة بل كي يحصل على العطف المتسامح الذي يفضي إلى الصفح .

● عقدة أوديب والمعاناة

إن آثار هذه العقدة كثيرة التنوع وغالباً ما تكون مؤلمة . وفي الحياة اليومية فإنها تمثل مئات الأشكال من السلوك لا يشعر بها الشخص مطلقاً والتي تبقى غالباً إحساساً غريباً وشكل من أشكال

التوَعك المستر . . وقد تذهب تبعات عقدة اوديب احياناً بعيداً جداً حيث تضيق حياة بأكملها لهذا السبب وكثير من البيوت تعيش حياة بائسة ، فالانسان المصاب بمثل هذه العقدة مبتور معنوياً . وبالنسبة للرجل فان ذلك يعد فقدان الرجولة . ويسبب اضطرابه الى الانتقاص من نفسه دون توقف فهو يشعر بالضالة أمام اي موقف رجولي يجابهه . انه يشعر بالضيق والضعف أمام المسؤوليات واتخاذ القرارات وهو ما ينفك يشعر بالذنب كما يشعر بانه متسامح ويقدم التنازلات اينما يحل ، واللابالية واللوم يغرقانه في موجة من الضيق النفسي التي غالباً ما تكون شديدة الرطأة . والمشاعر ليست شعورية بمجملها . غير ان المحلل النفسي يتولى مهمة اخراجها بالجملة ولكون الرجل المصاب بمثل هذه العقدة تتسلط عليه فكرة الشعور بالنقص فانه قد تتسلط عليه ايضاً فكرة الشعور بالقوة . وحيث يكون هذا الرجل جافاً ومتعجرفاً . كم من المرات نجد هؤلاء الرجال وهم غارقون في الكآبة العصبية بمجرد ان يعرض عليهم موقف فيه مسؤولية حتى ولو كانوا طامعين فيه او قد قبلوه؟ وهم يدعون ان الكآبة هي سبب الاجهاد بينما في داخلهم يابون ذلك لاشعورياً لانهم يشعرون بالضعف والخوف .

وأى رئيس لهم سيصبح بمثابة والدهم (او والدتهم اذا كانوا قد تلقوا تربية من أم أرملة ومتسلطة) . وكل حياتهم تجدهم فاشلين

داخلياً ويعتريهم الضيق النفسي . والصبي الذي أصبح رجلاً يبقى طفلاً . وهناك الملايين من هذه الحالات التي تظهر أمامنا ويكفي ان ننظر قليلاً لما حولنا . . . ان خوفهم من الاستهجان من جانب الغير شديد جداً وعندما يحدث ذلك (كما هو الحال في طفولتهم) فانهم يفعلون كل شيء ليحصلوا مجدداً على العطف والموافقة . وانعدام الرجولة هذا يمس ايضاً النشاط الجنسي . فهناك الكثير من حالات الضعف الجنسي والشذوذ الجنسي الخفي أو المعلن . . .

وعلى الرغم من قلة شيوعها بين النساء فان الطريقة الشاذة ذاتها تتمثل . والمخطط التالي يوضح ذلك ، فالمرأة ايضاً ستعاني من الشعور بالنقص والذنب . وهي ستشعر بالخوف من الحب وخوف من الرجل وخوف من الامومة ومن المسؤوليات . وعند الزواج غالباً ما تكون باردة جنسياً وفي تنافس لا شعوري وعدائي مع زوجها . . . الا اذا بقيت امرأة طفولية . . .

الفتاة	
نحو الام:	نحو الاب:
تصبح الام منافسة لها وتتفر بعدائية من والدتها (كما في الآلية الاعتيادية) .	يظهر الاب وكأنه قوة ومرشد وترغب بالزواج من والدتها .

ترفض لا شعورياً وجود الام . وترفضها لا شعورياً ومن ثم يظهر التدم والضييق النفسي .	تتمنى الامتلاك الكامل لوالدها التي تضعه فوق العرش .
تشعر بالذنب تجاه والدتها دون ان تعرف لماذا . وترغب في الحصول على عفوها .	تتعلق بوالدها .
تضع نفسها تحت منزلة والدتها وتتحول الى «مسترجلة» فهي لا تخاف من مواجهة الامراة لامراة	تحاول ان تتساوى مع والدها للحصول على اعجابه وتسترجل . أو
أو بغية الحصول على صفح وعطف والدتها تتحول مجدداً الى «طفلة صغيرة» . وهذه هي «الامراة الطفولية» .	تحاول التأنت للحصول على الحماية الكاملة وعاطفة والدها . وتتحول الى (امراة طفولية) .

عمر البلوغ

ويسبب استرجالها فانها تحاول الهيمنة على بقية النساء وهي تشعر في الوقت ذاته بالنقص تجاههم	ولكونها مسترجلة فهي تخاف بدرجة او باخرى من الرجل العادي . وهذه حالات بعض النساء الباردات جنسياً .
أو	الامراة الطفولية ، تحاول البحث عن الحنان والحماية قبل البحث عن الحب الحقيقي المستحيل بالنسبة لها .

هذه العقدة تصبح نفسية اذا متى ما كان هناك تعلقاً نحو أحد الوالدين من الجنس المعاكس يرافقه شعور بالذنب نحو أحد الوالدين من الجنس ذاته . وتكون الحالة مرضية اكثر عندما يكون الشعور بالذنب عاماً . وهي حالة الرجل الذي يحمل مشاعر الذنب الطفولية ويعاني منها تجاه رؤسائه .

ونجد هنا مرة اخرى أهمية الوسط العائلي المعتاد : أي وجود رجولة طبيعية لدى الاب وانوثة بلا نزاعات لدى الأم . واذا كان بمقدورنا القول ان عقدة أوديب تظهر مائة بالمائة (لأنها قانون طبيعي) فإنها تختفي بدرجة اقل مما نتوقعها . وهناك ثمانية مر كل عشر اشخاص يحملون اثار عقدة أوديب وبدرجات متفاوتة .

● عقدة ديان

هل تعرفون ديان شاسريس الامراة - الرجل «وسيدة» الصيادين؟

دعونا نشاهدها في علم النفس اليومي .

ان الذكورية المفرطة للمرأة قد تكون ناجمة عن اسباب متعددة . وأحد هذه الاسباب يكمن غالباً في عقدة أوديب التي اطلعنا عليها آنفاً . وفيما يلي سبين شائعين لهذه الحالة .

١ - في عقدة الخصي لاحظنا ان الصبي الصغير يشعر بالفخر الكبير بالتفوق الذي تمثله اعضاؤه الخارجية .

وهذا أمر ليس فيه ما يثير الدهشة . وعلينا ان لا ننسى ان العضو الذكري يمثل رمزاً للحياة الكونية والديانات البدائية التي كانت نجعل منه دائماً رمزاً للعبادة .

. وغالباً ما تفعل الطفلة الصغيرة الشيء ذاته ولكن بصورة معاكسة . فهي تعتقد ان هناك «شيئاً ينقصها» وهي تعتقد انها قد تعرضت للحرمان وتظل تنتظر آمله انه سيأتي اليوم الذي «سينبت لها هذا الشيء» . وبما أن هذا الشيء الذي تنتظره «لن ينمو» فانها تثور وتشعر بالنقص . وتلعب التربية دوراً أساسياً . اليس هناك من يقول الى البنات الصغيرات «ان العضو الذكري لن ينموا لانهم نظروا اليه . . أولأنهم لمسوه؟» . . أو يقولون ان هذا «لن ينمو» لان ذلك يمثل عقاباً .

وفي اللا شعور تظهر التبعات على حديث هذه الفتيات الصغيرات وحتى على رسومهن . أو أن طفلة صغيرة تستمع الى والديها يقولان (وهذه حالة شائعة) الاتي :

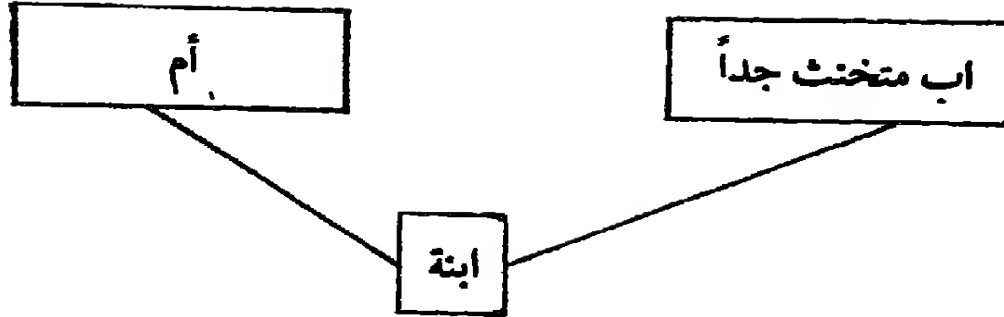
«كنا نتمنى ضيماً ولكننا لم نحصل الا على بنت . . . سنحاول ان نعود انفسنا على ذلك . . ولكنه أمر مؤسف على الرغم من ذلك» . . كيف ستتصرف الطفلة الصغيرة وهي تحتقر جنسها وتحس بغيرة شديدة تجاه الجنس الذكري . .

وفي هذا النوع من الحرمان فان التكيف قد يحصل اولاً يحصل كما هو الحال في عقدة الخصي . واذا لم يحصل التكيف

فان الفتاة ستشعر بالاحتقار تجاه جنسها الخاص بها (التي تعتقد انه ناقص) كما تعاني من الغيرة تجاه الرجل (التي تراه متفوقاً). وهكذا تتولد لديها الرغبة العارمة في «تعويض» نقصها تحولها الى رجل فتصبح مسترجلة أو ذكورية. وهي في بعض الاحيان امرأة رئيسة تحاول تسيير كل شيء بالعصا (وبخاصة الرجال الذين الذين ترغب باذلالهم!) وحيث انها تشعر بالغيرة تجاه الرجل فهي تحاول اقناع النساء الاخريات بالانتفاض ضده. وهي متسلطة وعدوانية وتحتقر الانوثة كما تكره الرجال.

فهي لا بامرأة ولا برجل وتعاني من ذلك بصورة رهيبة. واذا ما تزوجت فان «ديان» هذه غالباً ما تكون باردة جنسياً لانها تحتقر الانوثة! وفي كل مكان وزمان تحاول اظهار تفوقها «الذكوري حقاً» وهي ترفض الانشغال باعمال تخص بنات جنسها (كالاعمال المنزلية مثلاً). ان الطغيان المقيت للرجال يثيرها . . . وهؤلاء النساء هم دوماً غير راضين وغير مرتاحين. والشيء الوحيد الذي يمكن ان ينقذهم هو «الامومة» وبخاصة اذا كان المولود ذكراً: لماذا؟ لانها بحصولها على مولود ذكر تشعر بمساواتها للرجال. ولكن هؤلاء النساء غالباً ما يبقين امهات متسلطات يرفضن الاعتراف بانوثتهن أما التريية التي يتبعونها فغالباً ما تؤدي الى نتائج كوارثية

٢ - لنفترض الحالة التالية الكثيرة الشيوع:



لنفترض ان هذا الاب اصبح متخنثاً على أثر عقدة أوديب انه يعتقد بكرهه للنساء ولكنه يخشاهم في الواقع . وهو يخشاهم لانه يشعر بالنقص تجاههم وغير قادر على تحقيق رجولته الذكورية . وفي كثير من الحالات فان هذا الكره المزعوم للنساء ينتقل الى ابنته هو . ولا شعورياً ستحاول هذه الطفلة كل ما في وسعها كي لا تكون امرأة .

* وسيحاول هو ان يجعلها ذكورية وسيُفتنُ أمام اي فعل «ذكوري» تقوم به ابنته . ويتفاخر بقوة ابنته وتفوقها في الرياضة وبعضلاتها وياتصاب قامتها . . وسيكون شديد الفرح اذا ما اتخذت ابنته «عملاً رجالياً» أو كانت لها عضلات رجولية مفتولة . . الخ وعندما تترى البنت على هذه الشاكلة فانها تصبح قريبة من الرجل ذهنياً . وغالباً ما يشير ظهور علامات الانوثة ضيقها الشديد . وفي بعض الحالات قد تختفي العادة الشهرية ! ونذكر جيداً اذاً القلق النفسي الدائم الذي يتولد بسبب اتجاهين

متعارضين :

أ - الرغبة العميقة بالانوثة

ب - رفض الانوثة عن طريق التربية العائلية .

وعندما تصل هذه الفتاة الى مرحلة البلوغ فانها ستدفع غالباً ثمن اتجاهاتها المتناقضة ! وقبل كل شيء في ذاتها هي (حيث ستعرض للضييق النفسي والرهاب والامراض والعُصاب) وبالمحيطين بها فيما بعد . وستظهر واثقة من نفسها وهي في ذكورتها غير ان الشعور بالمعاناة والشعور العميق بالنقص سيلازمانها الى الأبد . . وهناك اسباب اخرى بالتأكيد قد تسبب في ذكورية المرأة . والسبب الاكثر شيوعاً هو : أب شديد التسلط يحتقر ابنته باستمرار معرضاً اياها للحرمان والانتقاص الى الدرجة التي يظهر فيها الحقد لدى ابنته . وهكذا تنقل هذا الحقد الى الرجال بطريقتين محتملتين :

أ - انها ترفض الخضوع للرجال الذين تحتقرهم وهي ترفض بذلك الانوثة وتصبح مسترجلة . وهي في تنافس عدائي ومستمر مع الرجال . وعندما تتزوج فانها ستكون باردة جنسياً . ولكنها اذا ما رزقت بصبي فانها ستفعل كل ما في وسعها لتأنيته .

ب - تبقى على انوثتها لكنها ترفض الخضوع للرجال . وتنتجـه حيثـذ نحو الامراة الذكورـية التي ستلعب بالنسبة لها دور الرجل

وستكون حينئذ المرأة السحاقية .

لم أذكر سوى بعض المواقف المختارة بين الحالات الأكثر شيوعاً . وهناك الكثير غيرها . هل مسموح ان نعطي حكماً عندما نرى قوة البنى اللاشعورية؟

❖ عقدة قائين

وهي العقدة الأكثر بساطة من الجميع وهذه العقدة تتولد عندما يعتقد الطفل انه فقد مكانه الوحيد من العطف لدى والديه أي عند ولادة طفل ثاني . وقد يتصرف الطفل أحياناً بكراهية شديدة نحو أخيه الصغير . غير ان كل شيء يعتمد بالتأكيد على الظروف وعلى تصرف الوالدين وهذه العقدة (طبيعية جداً عندما تنتهي) تظهر غالباً في احلام ورسوم الاطفال .

حلم جاك (عشر سنوات)

جاك يسير مع والديه في سهل واسع والشمس مشرقة . وفجأة يرى نهراً صغيراً تنحني أمامه الام لتلتقط دمية منه . وتستدير والدته نحوه ثم تطارده . جاك يرمي نفسه على الدمية وينتزعها من بين يدي والدته ويرميها في الماء . هذا الحلم سهل جداً . هذه الدمية التي سحبت خارج النهر تمثل اخاه الصغير . وهو يتصرف «بقتله» لشقيقه (وذلك برميها الى الماء) وفي الحلم تطارد الام جاك ، غير ان هذه الام ذكية لانها لم تحاول قط ان تشعر جاك بالحرمان أمام

اخيـه الصغـير. هـذا الحـلم يـوضـع جـيـداً رـد فـعل لـاشـعـوري غـير مـرتـبـط اـطـلـاقاً بـتـصـرف الـام . وهـذه العـقـدة تـفسـر نـفسـها مـن خـلال اسـمـها ! حـيـث يـمـثـل الطـفـل الـآخـر مـنـاقـساً (لـاشـعـورياً) بـالنـسـبة لـاخيـه الـاكـبر.

وهـذا يـترـجـم عـلى السـطـح بـالعـدـوانـية وـالـاسـتـهـزاء وـالمـنـافـسة الحـادة وـالنـزاعـات وـالكـراهـية وـالحـقد احيـاناً ، هـذه العـقـدة قـد تـنـتـهـي او تـصـبـح عـصـاباً يـمـثـل مـشـاعـر النـقـص وـالذنب وـالـضعف وـالعـدايـة .

وانـتـهـاء هـذه العـقـدة يـعـتـمـد بـدرجـة كـبـيرة عـلى الـاهـل وـعلى اسـتـعـداد الطـفـل وـما تـحـدث عـن ذلـك مـجـدداً عـندما اتـناول «مـشـاعـر النـقـص» وهـذه العـقـدة تـتـحـول غـالباً عـندما يـقـوم الـاخ الكـبـير بـحـمـاية اخـيه الـاصـغـر وهـكـذا يـصـبـح الـاخ الـاصـغـر نـاقـصاً تـجـاه الـاخ الـاكـبر الـذي يـظـل يـحـتـفـظ بـدورـه الـاسـاس بـالنـسـبة لـوالـديـه . . و تـسـتـمـر هـذه الـلـعـبـة الصـغـيرة . . لـان كـل شـيء سـيـدور حـول تـفـادي حـصـول الشـعـور بـالـاحـتـقار وـالـضعف وهـذه المـرة لـدى الطـفـل الـاصـغـر . .

ويـجـب اعـتـبار هـذه العـقـد الـثـلاثـة طـبـيعـية عـند ظـهـورها . و يـسـتـند تـطـورها بـدرجـة كـبـيرة الـى المـنـاخ العـائـلي . فـعـقـدة اوديب مـثـلاً تـنـتـهـي بـسـرعة اـذا كان الصـبـي يـعـيش بـين أب ذـورجـولة مـعـتـادة و أم ذـات انـوثة طـبـيعـية . و لـكن هـذه العـقـدة قـد تـسـتـمـر اـذا كان الـاب ضـعـيفاً و كانت الـام مـتـسلـطة كـما سـبق و ان رآينا .

وقد تنتهي هذه العقدة ايضاً عن طريق الكبت . فالصبي الذي يمتلك دوافع عدوانية تجاه أخيه الأصغر سيكبت هذه الدوافع . وحسب الظروف قد يكون هذا الكبت طبيعياً أو يتحول الى عُصاب (يختلف بالشدة والفترة) .

والنضج قد يعاق فيما بعد حيث سيظهر الخجل والعدوانية والضيق النفسي والهرب المؤقت . وبعض الاضطرابات قد تصل لغاية الجنوح .

ونلاحظ اكثر فاكثركم يعتمد مستقبل الطفل على الحلول المقدمة لهذه العقدة الاعتيادية في حد ذاتها والتي تتطلب حلاً متناسقاً معها .

العلاج الخاص بالتحليل النفسي

يكون الشخص مستلقياً (على اريكة مثلاً) وفي أقصى حالة ممكنة من الاسترخاء . ويجلس المحلل النفسي خلف المريض كي لا يسترعي انتباهه . وحينذاك يطلب من المريض ان «يترك دماغه يدور» «ويُخرج» كل ما يحضر الى ذهنه ، ولا ينبغي على المريض (أبداً) البحث عن «الترتيب» في افكاره ولا عن ربطها بشكل منطقي . ينبغي ان يقول كل شيء في اللحظة التي يفكر فيها . انها ضرب من «السريالية الذهنية» . وتذكر ايضاً في البداية ان الهدوء والتردد لا يمكن تجنبهما لان الشخص يصارع غالباً ما

يحضره اضافة لاخلاقيته الشخصية . لكن ينبغي على المريض ان يعرف ان المحلل النفسي حيادي ولن يُصدم لما سيسمعه لانه يعتبره طبيعياً واعتيادياً جداً كالاكل والشرب .

ان إعطاء أي حكم معنوي لا يؤثر على المحلل النفسي وإلا سيشبه الجراح الذي يرتجف عند رؤيته جرحاً . شيئاً فشيئاً يظهر معنى للاحاديث المفككة عن تاريخ المرض والطفولة والوالدين والكبت والفرائز الجنسية والتجارب المتعبة والنشاط الجنسي . ويكون كل هذا ممتزجاً برود فعل متعددة الاشكال من تردد وعدوانية وهدوء طويل .

وعند اللحظة المناسبة يتدخل المحلل النفسي . ويبدأ التفسير عما يُقال . وبطبيعة الحال ينبغي ان يكون المحلل النفسي طبيياً نفسياً متمرساً في المعاشرة الانسانية ! ان التحليل النفسي غالباً ما يكون متعباً بالنسبة للمريض انه قعر البحيرة الذي يطفو على السطح ، وامام شخص مريض قلق أو ساخط يكون الدفء الانساني المكثف ضرورياً وكذلك الموضوعية الصارمة . ومع ذلك فان علاج التحليل النفسي يتطلب بعض الشروط .

■ السن . ينبغي ان يتراوح العمر ويشكل مثالي بين الخامسة عشرة والخامسة والاربعين . إذ يحتفظ الشخص ايضاً ببعض المرونة وهذه ضرورية في هذا النوع من العلاج . ومع ذلك فان

السن ليس بتضاد مطلق قط إذ يمكن الحصول على نتائج جيدة جداً مع اشخاص كبار واذكياء .

■ الذكاء . ان الذكاء المتوسط هو أقل ما مطلوب . لكن ينبغي ايضاً ان يحظى المريض بـ « انا » عاقلة قادرة على فهم العلاج والتعاون من اجل نجاحه .

■ عدم الاستعجال . ان التحليل النفسي (لا يتوجه الى التدخلات النفسية التي ينبغي ان تمارس سريعاً جداً . ومع ذلك فبعد العلاج السريع (مثلاً تحليل اللاوعي بطريقة التخدير والصدمة الكهربائية الخ) يمكن ممارسة التحليل النفسي وتكون له فوائد كبيرة .

■ مدة الاستغراق وقِدَمُ العُصاب . كلما كان العُصاب قديماً كلما توجب على المحلل النفسي التوغل الى اعماق الاعماق . وفي الحقيقة ، تنتظم الملايين من الارتدادات حول المرض في البداية وتدور كل حياة المريض حول عقد نفسية لاواعية : افكاره وتصوراتهِ وبقاؤه ومهنته وزواجه وطريقة تربية اطفاله ، الخ وبهذا ندرك الحذر اللامتناهي للمحلل النفسي في هذا المجال . ان الاجزاء اللاواعية التي تطفو على سطح الوعي توضح غالباً للمريض انه ليس على ما يعتقده هو عليه . والمراد هنا إذن معالجته من دون فقدان توازن حياته ولا حياة الاشخاص الذين

يحيطون به . ويجب ان يأخذ المحلل النفسي بعين الاعتبار اذن وعلى الدوام ليس فقط بالشخص نفسه بل ايضاً بكل الاشخاص الذي هو على علاقة وطيدة بهم . ونذكر انه اذا اقام شخص زواجه على عقدة نفسية لاواعية فالمطلوب هو استئصال العقدة النفسية دون فسخ الزواج . انها اذن لمسؤولية جسيمة تلك التي تقع على عاتق المحلل النفسي .

وفضلاً عن ذلك ، فاتي اكرر ما قلته آنفاً : يمكن ان يتوجه التحليل النفسي الى الاشخاص المتوازنين . ان التحليل النفسي مدرسة انسانية كبيرة من الوضوح والفهم والادراك . ولقد أعطى التدريب البسيط والنظري على التحليل النفسي الابتدائي الفرصة للكثير من الالباء لفهم ولاعادة الجو العائلي الصحي . وفي الكثير من الحالات ، لا ينبغي على المحلل النفسي ان يندفع الى آخر خندق .

كما يسمح التحليل النفسي للجميع بفهم الحركة البشرية الكبيرة التي تحدث كل يوم وبالمقابل وفي اغلب الاحيان قبول الآخرين وحبهم .

ان القوة مرتكزة على الضعف الفريد أدلر (١٨٧٠-١٩٣٧)

آدلر هو أحد طلبة فرويد الاوائل من بين آخرين ، واصبح طبيباً في سنن الخامسة والعشرين وفي عام ١٩٠٧ نشر دراسة حول

الشعور بالنقص العضوي وتأثيره على النفس .
وفي عام ١٩١١ أسس آدلم مدرسة نفسية فريدة ولم يهتم كثيراً
بتربية الاطفال الصعيب وحصل منذ عام ١٩٣٢ على كرسي
الاستاذية لعلم النفس الطبي في نيويورك ، كما ابعده تصورات
عن فرويد .

الشعور بالنقص

تبدأ عظمة الانسان عندما يبدأ برؤية نفسه كما هي عليه .
في الوقت الذي ينى فيه فرويد امبراطوريته على اللاوعي
وعلى الجنس ، اسس آدلم امبراطوريته على ارضية اخرى :
الشعور بالنقص . ويقول آدلم ان كل عصاب * متسبب عن
شعور بالنقص ويكون من ثم العصاب شعوراً دائماً بالنقص .

ما هو الشعور بالنقص؟

انني لا اتحدث هنا عن الشعور بالنقص الطبيعي . يشعر
الطالب الشاب امام مدرسه انه اقل منه في الخبرة وفي المعرفة .
وهذا طبيعي ووقتي . ويشعر الطفل بالنقص تجاه والده . وكذلك

* سيدرس العصاب في الفصل الخامس .

الحال بالنسبة للانسان امام قوى الطبيعة . كما يشعر عازف البيانو
المبتدىء بالنقص تجاه محترف كبير.

متى يصبح الشعور بالنقص حالة مرضية؟

نأخذ على سبيل المثال: هذا العازف الشاب للبيانو هل هو
أقل من المهارة الكبيرة؟ نعم، بما انه يحظى بمهارة أقل من
الشخص الآخر، كما يشعر منذ البداية بهذا النقص المحدد
البيانو. ثم ان هذا الشعور بالنقص الطبيعي لا يسبب لديه ابداً اية
عدوانية أو احتقار. وسيكون لدى هذا العازف الشاب انطباع انه
يعرف اقل ومعارفه أقل من الآخر. لكنه لن يمتلك الشعور المؤكد
بانه أقل من الآخر لان هذا هو الشعور الحقيقي بالنقص.

وبهذا يصبح هذا الشخص مريضاً ويتطور مرضه الى عُصاب
عندما يسبب المعاناة والخجل والقلق والخوف والعدوانية
والحاجة المعذبة لتجاوز الآخرين وتوجيه الاوامر واحتقار الآخرين
الخ، ويصبح الشعور بالنقص لكل الشخصية امام اي واحد وفي
كل حالة. انه حينذاك «موقف ذهني» يكون احياناً واعياً وغالباً لا
واعٍ لكنه يتحكم في جميع افعال الشخص الذي يصاب به.

ما هو الحل الشائع

ان صفتنا الانسانية تكمن في تجنب المعاناة والبحث عن

السلام الذهني ولا سيما الاشخاص المصابين بالشعور بالنقص .
ويعاني هؤلاء الاشخاص من شعور قوي بعدم الامان والخوف
وبالعجز ويما ان هؤلاء الاشخاص يعانون فانهم يبحثون عن
حل . وهذا منطقي ، إذ يفعل كل شخص الشيء عينه ! ويذهب
هؤلاء الاشخاص للبحث عن شيء ما يحد المعاناة المتسببة عن
الشعور بالعجز .

ماذا يفعل الخجول الذي يخاف؟ يصبح عدوانياً . وكذلك
يبحث الشخص الذي يعاني من الشعور بالنقص عن التفوق ، وإذا
عانى الشخص من شعور بالعجز فانه يبحث عن القوة ، وإذا شعر
انه خاضع فيعمل على السيطرة على الآخرين ، الخ هذه هي
ميكانيكية التعويض . واتمكن من القول ايضاً ان التعويض ينقذ
الحياة النفسية من هذا النوع من العُصابات . ان الشعور بالتفوق
وبالقوة يقلل من القلق المتسبب عن الشعور بالنقص والعجز
ويسمح هذا الشعور هكذا بالعيش على حلول التسوية . وعلى اية
حال فان هذه التعويضات لا تلغ ابداً الشعور بالنقص لكنها
تغطيها فقط بغطاء من الالهام .

وهكذا وفي الحياة اليومية يحقق هؤلاء الكثير من الاشياء
الكبيرة بسبب شعورهم بالنقص . ونوشك على الاعتقاد (كما
قلت آنفاً) بان هؤلاء الاشخاص تجاوزوا هذا الشعور؟ ابداً . انه

الشعور بالنقص الذي فجّر بحثهم عن التفوق (بحث لا واع غالباً). وإذا كنا نعاني من شعورنا بالضعف وإذا كنا مذلولين ومحرومين فنحن نرغب سرّاً بالاعتقاد باننا اقوياء . وكافة المستبدون والمسيطرون والتسلطيون هم في هذه الحالة . وتكون حاجة السيطرة والتفوق دائماً عُصابية .

بغية فهم الامور بشكل أفضل
سيتساءل الكثيرون : «لكن أنا . . . هل انتي عُصابي أم لا؟»
امام بعض الاعمال التي سأذكرها .

سأخذ مثلاً : أفصح لي كاتب كبير . «ان الاعجاب الذي يكن
لي لا ابالي به قط! . . .»
وسوف اشير لثلاث حالات ممكنة لهذا الموقف .

- ١ -

سيكون عدم المبالاة هذا حقيقياً (ظاهرياً وداخلياً) اذا كان
هذا الكاتب متوازن ، واضح وذكي . سيكون حينذاك متكامل
بنفسه ، ولا تكون له حاجة لاعجاب الآخرين للايمان بقدرته . ان
رد فعله اعتيادي ويتوافق مع الحقيقة .

- ٢ -

أفترض ان هذا الكاتب يخضع لشعور بالنقص . وعلى الرغم

من موهبته فانه يخاف من أن يكون الهدف أو ان يحتمي به . انه يخاف من عدم تمكنه من تقديم ما ينتظره الآخرون منه . «ويلعب» لعبة اللامبالاة ازاء الاعجاب . ويهرب من الآخريين ويعطي لنفسه اسباباً مهدئة والتي يعتقد بها بغية عدم الاحساس بهذا الخوف وبهذا الهروب ، ولا مبالاته هذه هي تعويض ورد فعله غير الطبيعي .

- ٣ -

يمكن ان تكون لديه حاجة للظهور «متكاملاً» ومنفصلاً عن كل هذه الهراءات التي يعرف القليل عن قيمتها! من خلال الشعور بالنقص . كذلك ، فانه يدعم اعجاب الآخرين «بتواضعه» ويحتاج الى هذا الاعجاب ليشعر بالامان . ويعطي لنفسه اسباباً واعية لا تتفق ابداً مع الواقع وهذا رد فعل غير طبيعي . انه استكمالي اذن عُصابي .

نرى اذن جيداً الفرق بين رد الفعل الطبيعي ورد فعل العُصاب . ان رد الفعل الطبيعي حقيقي ! ولا يتطابق ما له علاقة بالعُصاب مع الحقيقة الداخلية . وهو كالقشرة التي تغطي الجرح كي تمنع تقيحه .

بعض الامثلة من بين آلاف .

يمكن ان يكون العمل اللطيف (لحسن الحظ!) حقيقياً . لكنه احياناً علامة على العُصاب . وافترض وجود شخص قلق جداً عاداه الآخرين . ويشعر انه مذنب وغير مرتاح ومهموم ، الخ . وبغية تجنب العدائية سيكون هذا الشخص حينذاك مهذباً ولطيفاً وودوداً لا يجرؤ على رفض اي شيء .

يمكن ان تكون الوقاحة اعتيادية ويقصد منها آنذاك بالتجرد وبالإرتياح المتسببين عن قوة داخلية . متى تصبح داخلية؟ عندما «يلعب» الشخص في الوقاحة دون ان يدرك ذلك من جانب آخر، ويهرب هكذا من القلق المتسبب عن الشعور بالنقص .

- تكون الثقافة الواسعة جداً طبيعية جداً . لكنها احياناً دلالة على عصاب : اذا عوضت عن التحقير مثلاً . ويكفي ان نذكر حالة جاكلين في بداية كتابنا هذا .

- ان الاستقامة عمل رائع لكنها قد تكون عُصابية .

مثال : هذا الشخص مستقيم لكنه يرغب في اللاوعي في ان نعرف هذا ، ويقوم هذا الشخص بمناورات ليتأكد الآخرون من استقامته ووضوحه ومن اجل ان يأتين اسرارهم واموالهم ، الخ . وان يخوضها من جانب آخر بالكامل . ويحصل هكذا الشخص على الاعجاب والمحبة والثقة التي يحتاج اليها نفسياً .

- ان يكون «الرجل عظيماً» فهذا طبيعي . . . على الرغم من ندرته . مع الاسف! لكن ان يصبح الشخص رجلاً عظيماً يمكن ان يكون تعويض عن شعور بالنقص يمنح شعور القوة والهيمنة . وبهذا نرى ان التحليل هو الوسيلة الوحيدة التي نمتلكها للقول اذا كان الشعور أو العمل عُصابياً أولاً! ويدور العُصابي بسبب العقد النفسية دوماً حول النقاط التالية : الحاجة للهيمنة وللقوة وللمقدرة وللتفوق وللاعجاب . وتنجم هذه الحاجات إذن عن شعور بالعجز وبالضعف . إذن ، فهذا العصابي يفعل كل شيء من اجل ان يعيق كل ما يشبه الضعف بالنسبة له .
مثلاً :

- يرفض «بعنف» قبول نصيحة .
- يمتلك روح التناقض واحياناً تكون فظة وفورية مثل العادات المستهجنة .

- يرفض «بفخر» أقل دعم نقترحه عليه .
- يريد ان يبني حياته بنفسه «بدون اية مساعدة من اي شخص بغية ان لا يلتزم تجاه اي شخص وان يحتفظ برأسه عالياً» .
- يرفض ان يكون على غير حق .
- لا يتحمل اي نقد كان . . . الخ

لماذا؟ إن كل هذه الافعال هي مع ذلك اعتيادية! لكنها بالنسبة له استسلام وضعف . ماذا يقول هذا العصابي؟ انه ليس

بالضعيف لقبول نصائح! ينبغي ان يقول: «بما انني ضعيف،
فانني غير قادر على الاقرار بان شخص آخر اكثر قوة وأكثر تجربة
مني» .

يريد هؤلاء العصايون بدون وعي ان يكون بقية الاشخاص
على صورتهم . (هذا مأساوي عندما يكون شعور الالباء تجاه
اطفالهم) . ولا يتنازلون داخلياً ابداً ويفرضون الطاعة على من
يحيطهم من خلال بعض الوسائل مهما كانت (لتذكر
الاشخاص المنهكين) .

وتظهر عدائيتهم المتعجرفة من دون مناسبة . إذ يعاني
العصاي من عدوانية مكبوتة اذا جعلناه يتظر، وتقول بداخله
المشاعر المبهمة: انا لست من الاشخاص الذين يجبرون
على الانتظار ولي الحق بالاحترام والتقدير اكثر من هذا . وسيرانو
دويجراك* هو نموذج للعصاي من هذا النوع (بين ملايين
آخرين) وتنجم عجرتهم المرضية عن تشويه جسمي وبهذا كان
سيرانو متوازن منذ البداية لتركه انفه الكبير لا مبالياً بالمرء!

العُصاب وتعويضاته

تسبب التعويضات احياناً انجازات نافعة جداً على الصعيد

* كاتب مقالات وفيلسوف فرنسي وكاتب كوميديا وتراجيديا .

الاجتماعي .

مثال : يعوض الطفل المذلول لفترة طويلة بهدف الأخذ بالثأر والتفوق ويستطيع ان يصبح هكذا مهندساً كبيراً أو طبيباً مشهوراً ومحامياً معروفاً، الخ . لكنه يبقى تعيساً بداخله بما ان التعويض لن يخفي ابداً الشعور بالنقص ! وعلى الرغم من كل شيء ، فانه يشعر ان عالمه الداخلي غير موجود . وكما اشرت من قبل فان التعويضات تأخذ غالباً صيغة التسلطية المخفية .

مثال : يحب هؤلاء العصايون توجيه النصائح وهم بحاجة لتقديم التوجيهات . ويحدث عندهم شعور بالمقدرة والقوة والتكامل ، ولهم شعور بان يكونوا «المسؤول» الذي يُحترم ويُعجَب به .

- يعاني هؤلاء من التعليم والتدريس (لنفس السبب) .

- يعانون من الحاجة للتوجيه .

- يعانون اذن من الحاجة لمساعدة الآخرين ولنجدتهم وان يكونوا السند ويشعرون انهم محقرين وعدائين إذا لم يُشار اليهم بالبنان .

ومن الواضح جداً ان جميع هذه الافعال غير طبيعية لان هؤلاء العصايون يبحثون فيها عن التفوق . إذن ، فهي أمان ضد شعورهم بالنقص في دواخلهم .

ولا يتصورون انهم مكافئين لشخص ما أو بالاحرى انهم يشعرون انهم دونين أو يتصورون انفسهم متفوقين . إذا شعر عُصابي «معوض» بالنقص فانه يفعل كل شيء للدهشة والاعجاب به من قبل معارفه لذكائه وقابلياته في التفكير واللفظ ودفعه الانساني الخ .

وبالطبع فانهم يكونوا متعطشين للحظوة! قالت لي امرأة مصابة بالعصاب في يوم ما ونحن نتحدث عن دراسات في علم الاجتماع التي انجزتها بشكل معمق جداً: « . . . اعرف الان الكثير من الاشياء . . . لكن هذه الدراسات اضعفتني . . . » وقد يصبح هذا التحقق طبيعياً لدى الشخص الطبيعي . لكن ماذا يحصل عند المصابة بالعُصاب من هذا النوع؟ لقد درست كثيراً، هذه المسألة الاعتيادية (حيث الشعور بالتفوق) وضعفت هذه المريضة (شعرت بالنقص من اجل ان تفوق . بما ان الضعف الفكري مرغوب دوماً . . . مثل شهيد العلم إذا صح القول . . . !).

حالة أخرى: يريد عُصابي بسبب شعور بالنقص النجاح من الهلة الاولى . وهو يحتاج فوراً للتأليف مثل بتهوفن وللمثيل مثل مولير والكتابة مثل جيرادو . ويريد ان تكون محاولاته ناجحة جداً! وإذا قلنا له: « . . . هذا حسن، لكن ينبغي عليك ان تفعل اكثر . . » فانه يشعر بالانهيار . وكان عنده طموح مغال فيه ليس

عن يقين بالاعتقاد لكن عن شعور عميق بالعجز.
حالة أخرى: يتراجع العصاةيون أمام الصراع ويعلنون ان
«هذا لا يهمهم» وانهم فوق المستوى . . الخ .
سأطرق فيما بعد الى سائق السيارة من هذه الزاوية .

تعقيدات العصاب

ان ردود فعل العصاةيون معقدة جداً على الدوام : وهذا
طبيعي بما انه هناك دوماً خليط من مشاعر النقص والتفوق !
لنتناول مثلاً حالة عصابي له حاجة ماسة للاستقلال المطلق . . .
لكنه في نفس الوقت بحاجة لان يكون غير مستقل ومحامي
ومحتاج الى رعاية باستمرار . الخ ونشاهد فوراً مزيج مكبوت
لبعض ردود الفعل المتناقضة ! ويجب ان يتم التقاط هذه الردود
والحركات والايماءات والاحاديث بسرعة لكي تُحلل وتفهم جيداً
وهذه ليست دوماً بالمهمة اليسيرة .

رياضة السيارات والعصاب

يلجأ هؤلاء العصاةيون الى المظاهر الخارجية لتفوق مشير
للشفقة كالمال والمراكز الكبيرة والابهة والسيارات الخ . ويدوان
رياضة السيارات تجسد هذه المشاعر بالنقص المرضية . هناك
الملايين من سواق السيارات الذين لا يتحملون اجتيازهم من قبل

الآخرين . انه رد فعل عُصايي محظ ! وبالنسبة لهم ، فان عملية اجتيازه من قبل الآخرين تعني « انه يشعر بالنقص » وهذا يفترض ان يتماثلوا مع سياراتهم ! وتصبح قوة سياراتهم قوة لهم . هل ينبغي ان يكون شعورهم بالنقص كبير للوصول الى هذا

وهؤلاء العُصاييون لا يفكرون : « لقد تم اجتياز سيارتي من قبل اخرى » ، لكن « تم اجتيازي من قبل آخر ! » ومن جانب آخر فمن الممتع مراقبة سائق سيارة الذي يعاني من شعور بالنقص . ويكون هذا بالطبع في حالة من العدائية والمنافسة المرضية ويشكل عام فانه يتصرف بطريقتين : اما العدوانية أو الهروب . ان عُصاب العدوانية وهذا معروف جداً في رياضة السيارات فيتمثل في غضب أحمر وردود فعل جافة وإهانات وسخریات وتجاوزات الخ . اما بالنسبة الى الهرب فانه يتنكر غالباً في الإهانة المزيفة والاحترام المزيف للميكانيكية ، الخ .

مثال :

- يقول سائق السيارة العُصايي والذي أخفق في تشغيل سيارته : « أنا ؟ . . ليست عندي الرغبة لأتلف ماكتي . . أضيع نقودي بغية توفير ثانيتين ؟ أليس هذا بفعل أحمر !!! » (انه لا يفكر في الكلمة الاولى لكنه يسعى لتبرير نقصه ، في نظر الآخرين . .) .

- اذا لم تكن سيارته قوية فانه يقول ان «عداد السرعة يؤثر خطأ بعد سرعة (٨٠) كم وانه يؤثر خطأ وينبغي عليه ان يصلحه . . . »
واذا اعتقد انه أخفق فيقول . . انه يرغب بالتنزه من اجل ان لا يتمكن الآخرون من الاستهزاء منه واعتباره ضعفاً، الخ أو ان يسوق بيد واحدة باللامبالاة المزيفة وهو يصفر صغيراً خفيفاً . . .
والمقصود هنا هو ردود فعل تعطي هدوءاً داخلياً. ويحاول ان يشعر بالمرح والهدوء والوضوح خارجاً عن هذه «المنافسة الحمقاء». ان هذه الأقوال لا تتوافق بالطبع ابداً مع احساسه الداخلي المتهيج .

ويتصرف هؤلاء العصاةيون بعدائية اذا انتقدنا قوة سياراتهم وهم الذين يخلطون ذلك مع قواهم الذاتية! اذا تمكنا من حذف مشاعر النقص عند الملايين من سائقي السيارات فان عدد الحوادث سينخفض الى النصف! لاتنا ستمنع هكذا المنافسة العدائية بين العصاةيين الذين لا يقرون بعجزهم قط .

التربية والشعور بالنقص

تظهر مشاعر النقص منذ نعومة الاظفار، وهي طبيعية جداً اذ يشعر كل طفل حائراً وعاجزاً امام القوى التي تحيطه ويكون صغيراً وضعيفاً ويجهل العالم الذي يحيطه ويكن له احساساً غامضاً . هل نتصور كم تبدوله الاشياء التي تحيط به ضخمة؟

ولهذا السبب فان كل طفل . يبحث قبل كل شيء عن الطمأنينة .
وينبغي ان يشعر انه مُسند ومدعوم وليس مُسيطرأ عليه أو يعامل
كشيء . شيئاً فشيئاً تتضح شخصيته وتظهر « اناة » ويبدأ بالبحث
عن الطمأنينة في داخله . ويحاول بكل قواه ويصبح عفويأ . إذن
ينبغي ان تتيح له التربية بتخفيف الثقة بالنفس باقصى سرعة
ممكنة . ان التربية المثالية تنصب على حذف مشاعر النقص في
أسرع وقت وتوجيه الطفل نحو الثقة بقيمته الذاتية ، لان نواة
العُصاب تظهر اذا بقيت مشاعر النقص لصيقة به وتغزو الشخصية
باكملها في السنوات التالية . وتكون حينذاك عقدة تنضج كنبات
الفطر السام وتخلق الشخصية الحقيقية وتقود اغلب الافعال
والافكار .

والحال ان الحقيقة غامضة الى حد ما ! هذا كل ما يحطم
عفويته ايضاً .

وكل شيء يستند بالطبع الى الذهن الذي تكون فيه التربية .
ومع الاسف ، يعزز الكثير من التربويين مشاعر النقص ،
ويكفي فقط التفكير بالعدد الهائل من الاشخاص التسلطين ،
اذن فهم عصايون ونمسك بهذا المفتاح عدد لا يحصى من
العصاين . انها حلقة غير متناهية من التربويين العصاين ،
ويصبح المتربين بدورهم كذلك . ان التسلطي يقوي بالطبع

مشاعر النقص حتى بالنسبة للطفل السليم . ويكفي ايضاً ان نتذكر الاشخاص المنهكين لنقتنع !

ينبغي ان نرى الاشياء كما هي . ان المربي الذي يعاني من الشعور بالنقص هو في حاجة لان يحمل طفله هذا الشعور بالنقص . كما يكون بحاجة لكي لا يمتلك طفله حياة شخصية عفوية ، انه بحاجة الى ضعف الطفل لتوثيق مشاعر الهيمنة التي تعطيه احساساً بالقوة .

ويعرف كل طبيب نفسي أحد الاسباب الرئيسية للعُصاب البالغ : هناك الكثير من الاباء الذين يهيمنون على اطفالهم . ان الحالة الاكثر شيوعاً وخطورة هي حالة الام المهيمنة (عُصابية) وابنها . بما ان هذه المرأة بحاجة الى السيطرة فينبغي ان تمنع ابنها من ان يصبح ذو شخصية ورجولي . انها اذن بحاجة الى ضعف ابنها . لكن كما هو في الغالب تختفي هذه الهيمنة تحت مظاهر «المثالية» كيف تريد ان تخرج من هذا؟ كيف الخروج اذا كانت هذه الأم العُصابية . . أم بالمعنى الصحيح . . ؟

يجب ان يتدخل علم النفس بما ان هذا الشخص غير مدرك ابداً لتعويضاته التي تسبب له المأ كبيراً! . . .

واتناول مثلاً آخر تطرقنا اليه في التحليل النفسي . لنفترض أب عُصابي يخاف النساء . ويتصور اذن انه «يحتقر» ويكره

النساء . فاذا كانت له ابنة ، ماذا سيحدث ! سيحول «كراهية»
النساء الى ابنته ويحرمها ويحتقرها ويحط من مشاعرها .

لكنني ارجب غالباً مواجهة حالة التعويض التي تظهر في صيغ
الكمال بما ان هذا الاب «يحتقر» النساء ، فانه سيفعل كل شيء
ليمنع ابنته من ان تصبح امرأة . وهذا بدون وعي ! وبغية منعها من
ان تصبح امرأة ، ينبغي عليه ان يجعلها رجولية اي مسترجلة
فيعمل اذن لان تسرح شعرها على طريقة الرجال وان ترتدي هذه
الملابس وهذا الحذاء وهذه جميعها تمنعها من ان يكون عندها
اتجاه انثوي . ويدفع ابنته لتقوم بمهام رجولية ورياضية لتطوير
قوتها البدنية . كل هذا حسن وجيد . . . لكن ما هي الاسباب التي
سيعطيها في اللاوعي ؟ سيدعي انه فعل هذا «لصالح ابنته» وبهذه
الطريقة فانها تستطيع ان تسلك طريقها دون وجوب الاعتماد على
الرجال . . . ومن خلال هذه التربية سيكون لها عضلات واعصاب
قوية . وستمكن من الحصول على مهنة . . . ولن تصبح فريسة
للرجال الخ الخ .

يبدو اذن ان هذا الرجل «هو الذي يدفع الثمن باهظاً» وله
اسباباً مبررة لاسيما واننا نرى ان الحقيقة في الصميم موجودة في
النقائص !

فقدان الحنان

ان فقدان الحنان يفجر بالضرورة مشاعر النقص (الكبت) عند الطفل كما هو الحال بالنسبة للمراهق . متى يكون هناك نقص في الحنان؟ عندما يحتقر أحد الابوين طفله أو يسيطر عليه أو يقلل من شأنه علانية وطوعياً . وفي هذه الحالة نعرف تماماً بأي شيء يتمسك الطفل ايضاً . ويحدث هذا في وضوح النهار واستطيع ان اقول . . . لكن توجد حالات اخرى اكثر جدية واكثر «نفاذاً» بعض الشيء . واتناول حالة هذا الاب الذي تطرقت اليه قبل قليل . إذ يعطي هذا الاب لابنته كل العلامات الخارجية للحنان والاهتمام هل يعود هذا الحنان المرئي الى وجدانية حقيقية؟ كلا ان اتجاهه الاكيد هو الخوف والكراهية من النساء . . . وحتى الابنة .

واتناول الان حالة أم تسلطية ومهيمنة . إذ ترعى هذه الام طفلها وستكون «أم جيدة ولطيفة» كما سيدفعها الحلم ايضاً لان تعوق ابنها عن انجاز عمل اعتيادي أو قبيح . . . بان تفعل هذا بدلاً عنه . وتأخذ هذه الام المسؤوليات على عاتقها بدلاً عن طفلها ونلاحظ ان هذه الام تغمر طفلها بالحنان وهي مقتنعة من انها تفعل هذا «لصالح الطفل» . لكن . . . هل هذا هو الحنان الحقيقي؟ كلا ، ابدأ ، تعتقد هذه الام انه يحب طفله بالذات . لكنها مخطئة . لان هذه الام عُصاوية وتمتلك شعوراً بالمقدرة

والمنعة التي تجدها في السيطرة . اذن يوجد هنا حنان مزيف لا يخطأ فيه طفل أو مراهق قط ! ويشعرون تماماً ايضاً ان شيئاً ما لا يسير على ما يرام وازاء هذه السيطرة المتكلفة يتصرفون هؤلاء بعدوانية داخلية عنيفة لكن ايضاً بشعور بالنقص وعدم الاطمئنان .

وهكذا تسير الميكانيكية النفسية ببطء شديد ثم تدفع ومن دون شفقة الطفل اكثر فاكثر نحو العُصاب .

هل يسبب الحرمان الشعور بالنقص ؟

ينبغي ان يكون السؤال هكذا : عند تربية الطفل ، ما هو هدف التربويين ؟ أريد أن أقول ما هو هدفهم البعيد ؟ ماذا سيكون الهدف البعيد ؟ سيكون الهدف البعيد للشخص السليم الطفل نفسه . وستكون التربية واضحة ودقيقة ويكون الشخص السليم قادر على رؤية خير الطفل ونسيان نفسه ، وماذا عن التربوي العُصابي ؟ أولاً ، هل هو قادر على نسيان نفسه ؟ كلا ، حتى اذا تصور انه يفعله . لماذا ؟ لان عُصامه يرغبه على الدوران باستمرار حول نفسه باحثاً عن تعويض يسمح له بالعيش . وفي حالة العصابين التسلطيين يتم العثور على النقيض . انه الطفل نفسه . اذن سوف يموت العُصابي فقدانه للوجدانية الحقيقية

والصميمة ويبدى من بعد ان هدفه لصالح الطفل . وهذا سيسمح له بالسيطرة على الطفل وحرمانه والخط من قيمته طوال سنوات . ان كل ما يحطم الارادة الشخصية للطفل يسبب شعوراً بالنقص اذا كان لهذا الطفل انطباع بتراجع قيمته الذاتية واذا عاقب شخص سليم طفله بشكل صحيح فليس هناك من شيء يدعو للخوف حينذاك يقول الطفل لنفسه : « . . . القانون هو القانون . . . » وسيفكر في شيء آخر غير الشعور بالاحتقار . لكن هذا الشيء لا يحدث ايضاً عند الطفل المتربي على يد عصابي . ولقد أشرت الى هذا بشكل كافٍ لان كل شيء فيه يتسابق على التقليل من الشعور بقيمته !

بعض الحالات الاخرى

توجد بالطبع سلسلة كاملة لانواع الحرمان والشعور بالنقص . هناك اشخاص ينقلون الى اطفالهم مخاوفهم الموهوسة (اذن العصابية) اضافة الى الآباء المهيمنين . مثلاً : التوصيات المستمرة بشأن الاحتياط من الحوادث والحشرات والسقوط والميكروبات . . . توصيات مستمرة ومتكررة : « ارتدي ملابس صوفية ، لانك ضعيف . . . » - « احذر من السقوط - من ايذاء نفسك - احذر من الآخرين - انتبه لعينيك وليديك ولرجليك . . . » ،

وأشياء أخرى! .

أو حالة هذه الام التسلطية التي تجبر ابنها على ارتداء ملابس معينة وخاصة في الشتاء والصيف . . . الى سن (٢٣)! والمقصود هنا تسلطية متكلفة يتحطم امامها كل تمرد كما لو كانت ضد جدار فولاذي . . . دهشة الخطية! . . .

ولم اشر هنا الا الى بعض الامثلة البسيطة . إن هذه التوصيات المبهوسة تنتهي بخلق شبكة من الانعكاسات المشروطة وتحطم الثقة التي ينبغي ان يمتلكها . واذا لم تتوقف هذه «النصائح» قط والتي تنجم عن خوف قلق فكيف تريدون ان يطور الطفل قوته الذاتية ولا يخاف هو نفسه في النهاية؟ وتظهر حينذاك مشاعر العجز والنقص .

وكما قلت فان الغيرة بين الاخوة والاحوات تسبب احيانا كراهية فظيعة ونقارن من جانب آخر غالباً قيمة هذا الطفل مع قيمة طفل آخر . مثلاً « . . . انظر أخاك ، خذ أخاك مثلاً ، انه ذكي! . . . أو نكشف للطفل اننا نفضل الآخر أو ان ولادته لم يكن مرغوب فيها! توشك مشاعر النقص هذه بالطبع ان تستمر الى سن البلوغ . كم من المرات التي اشعرنا فيها طفلة صغيرة باننا كنا نفضل صبياً . . . لكن وجودها حقيقة . . . ! ان هذه الطريقة العبيثة في ثقافتنا في اعتبار النساء اقل شأنًا (تساءل لماذا!) فرض على نصف شعبونا التجديف في مشاعر النقص .

النساء والشعور بالنقص

تعاني اغلبية النساء من شعور بنقص مبرح وذلك لانهن لسن
برجال. لماذا؟ لان ثقافتنا مبنية بالكامل على الرجولة ويقال عنها
التفوق الرجولي. واصبح الرجل امبراطوراً على هذه الارض، وهو
ليس بالدور المستبعد الذي يؤمن به! وخلال قرون كانت المرأة
مرفوضة من المسؤوليات الخارجية وتركت لها وفي جميع الميادين
وجدانيتها. وبالطبع أخذت حركة تحرير المرأة طريقها لكن لا
يمكن اقتلاع الافكار المتوارثة بسرعة وفي حضارة كحضارتنا تحتل
المرأة مكانة بسيطة جداً. ألا يعتبر غالباً ميلاد طفلة حدثاً خائباً؟
«ليس إلا فتاة!» انها دهشة مغيظة تصاحب ميلادها غالباً. وفي
هذه الحالة هناك انانية شديدة من جانب الآباء الذين يرغبون
بطفل لاشباع احتياجاتهم الداخلية. واذا كان ما يعجول في خاطر
الآباء. انها ليست الا فتاة! فمن المحتم ان يشعر الطفل بهذا
ارادياً أو لا ارادياً.

والشعور بالنقص الخاص بالنساء يشكل جزءاً من حالة ذهنية
تدعو للسخرية لكنها مترسخة الى حد كبير ألا يكون اذن أمراً
طبيعياً ان تمتلك النساء ذاتياً شعور عميق بانهن أقل شأناً من
الآخرين؟

هل يتوقف الشعور بالنقص لدى المرأة في مرحلة النضج؟
نعم، اذا كانت المرأة متوازنة جداً وحينذاك تقوم بدورها الاتشوي
بفرح ووضوح ساحر وللأسف فالتخلص من الشعور بالنقص لدى
المرأة نادر جداً. ويبدو كل شيء ضدها: الكثير من الرجال،
جميع القوانين وحتى قواعد اللغة حيث يقضي المذكر على
المؤنث على الرغم من تغلب الاخير عديداً! واذا وجهنا السؤال
لعدة نساء فانهن يجبن دوماً: «أنا؟».. كم أردت ان أكون
رجلاً...».

وهذا يعني انهن يمتلكن الرغبة بان يحظين بامتيازات كبيرة
منحت فقط الى جنس الرجال. وفضلاً عن ذلك فانهن يمتلكن
الرغبة في الحصول على الصفات التي (تبدو) رجولية وهذا
يعني: الشجاعة والقوة والاستقلال وحق الاختيار، الخ والنساء
اللواتي يحملن مشاعر النقص فمن الطبيعي إذن ان «تحتج»
المرأة وتبحث عن تعويض ومن المنطقي ان تبحث عن رفض
دورها كأمرأة، وان تتوجه الى الدور الرجولي. ان هذه
الاعتراضات تنعكس في نوع المشية والملابس وتصفيفة الشعر
والمناقسة الرياضية والمطالبات النسوية الخ الخ. وهكذا تدخل
في منافسة عدوانية مع الرجل.

وللاسف يثير كل هذا السخرية لكنتا بذلنا ما في وسعنا لتطويره
ويمكن حينذاك طرح حلين على النساء اللواتي يعانين من الشعور

بالنقص الذي يرجع الى ادوارهن :

أ - الشعور بالعجز وبالخضوع .

ب - «الاحتجاج» التعويضات والمنافسة .

والنتيجة؟ يفكر الرجل : «انني لا احتمل ان أكون مجتازاً» أو «مأموراً» من قبل امرأة! . . . » وتفكر المرأة : « . . آه ، هكذا الامر! . . سوف أبين لهم قيمتي ، انا! وسوف أبرهن لهم على انني لست أقل شأنًا! »

ان الشعور بالنقص الانثوي هو إذن حالة ذهنية عامة . كم هو عدد الآباء الذين يرغبون بطفل «للمحافظة على اسمهم وعلى السلالة ومواصلة مهنتهم» .

وها هي الانانية مرة أخرى ! لكن من يقول : «المحافظة على الاسم» يعني ان يمتلك طفلاً . . . ويخيب ظن هؤلاء الآباء بفضاعة إذا «كان الطفل بنتاً» . ماذا يحدث أحياناً؟ هذا الشيء العبثي : يرفض الأب ذهنيًا ان يكون لديه بنت . إذن يحاول ان يكون عنده صبيًا . ويعلمه السياقة «كرجل» ! وكذلك انواع الرياضة وطريقة المشي وارتداء الملابس كصبي ويدفع ابنته لتقوم بواجبات رجولية . . . بماذا ستفكر اذن البنت؟ ان كل ما هو رجولي هو جيد وان كل ما هو انثوي ضعيف ومحتقر .

وتتكون هكذا عند المرأة قناعة بانها أقل شأنًا «لأنها ليست الا

امرأة». هل نتخيل القوة الخارقة التي تحتاج هذه الفتاة الشابة لتجد دورها ثانية كامرأة؟

من هو المتفوق؟

من المضحك جداً «مقارنة» الجنسين . وفضلاً عن ذلك فإن المقارنة تحصل دوماً بفضل المعايير الرجولية . إذن : كل شيء مغلوط ومنذ نقطة البداية ، انها جرس الانذار عينه اذا استطعنا قول ذلك .

مثال : من الشائع التفكير في ان النساء لا يحظين بالنبوغ . لكن من يفكر في هذا؟ الرجال ، طبعاً . . . والنساء ايضاً من خلال شعورهن بالنقص . والحال ان تعريف النبوغ يقدم دوماً من قبل الرجال ! ينبغي عليهم ان يقولوا ان النساء لا يتمتعن بالنبوغ عينه الذي يتمتعون هم به ، وهذا ما يستعيد آنفاً الحقيقة . ويتمتع كل انسان بنبوغ خاص به ومن ثم تكون الادوار متبناة بشكل صحيح . واذا امتلك الرجل نوع من التجرد والتعليل (عندما يحدث له هذا) فالمرأة تمتلك دوماً تقريباً النبوغ الطبيعي في ادراك الاشياء على حقيقتها ويعمق . وهذا ما يدعى «بالحدس الانثوي» .

لكن أليس الرجل جديراً بهذه الوجدانية الصميمية؟ نادراً لانه أحاط ووجدانيته بالعقل والمنطق .

ومن هذا «نقول» ان المرأة أقل «ذكاء» من الرجل ، لكن ولمرة أخرى من يقول هذا؟ الرجل ! ان الذكاء محدد من خلال معايير وضعها رجال .

ستكون الحقيقة إذن . لا تتمتع النسوة بالذكاء الذي يتمتع به الرجال . والحال ان للذكاء عند المرأة سلطة : «تتمسك» المرأة داخلياً بالاشخاص والاشياء كما ان المرأة وجدانية جداً وتساهم بسهولة في النظر الى الاشياء ويعمق . وهذا ما يعطيها غالباً اليقين للاحكام التي تتخذها حيث ينسج الرجال الاكثر ذكاء هذه للاحكام ببطيء شديد . ان اختلاف الجنسين ينتهي هكذا بطريقة عجيبة ، إذا تطور الرجل باتجاه مجرد المنطق فان المرأة تتفتح في الاعماق . ألا تشبه المرأة الارض الام والماء؟ .

الوسط العائلي والشعور بالنقص

ينبغي ان تكون القاعدة الكبرى على النحو التالي : ينبغي عليّ أن أسهر كي يكون التقييم الذي يحمله طفلي عن نفسه متوازناً . وإذا كان كذلك فينبغي ان أعمل على ان لا يتراجع هذا التقييم الذاتي ابداً .

اعتقد انني أشرت بما فيه الكفاية كم هو سهل تحقير الطفل . ولقد رأينا انه يوجد عدد كبير من «الاشخاص المنهكين»

والمهيمنين والتسلطيين، وهذه الارضية نموذجية لظهور مشاعر
النقص والعجز والحرمان وكذلك يمكن ادراج انانية الآباء ايضاً
كأختيار آخر ضمن هذا الاطار. ويرغب الكثير من الآباء في
«اعداد» الطفل على صورتهم ويرغبون في ان يكون سلوك الطفل
متوافقاً مع إرادتهم الشخصية. وفي هذه الحالة (وهذا شائع)
فانهم لا يقيمون وزناً ابداً للشخصية أو لعقوية الطفل التي تصبح
كالعصا التي نقسمها الى نصفين.

● ان من يقول تربية يقول نقل القوة والتوازن، ولا نستطيع ان
نعطي إلا ما نملكه، وينبغي علينا ان ننحني امام الآباء الذين لا
يعتبرون انفسهم اسياداً مطلقين لاطفالهم والذين يحاولون قبل
كل شيء ان يعرفوا انفسهم.

ألا ينبغي علينا ان نتعلم قبل ان نُعلم الآخرين؟

الوسط المدرسي

يُعد الوسط المدرسي مهماً جداً ايضاً بالنسبة للطفل. وهنا
ايضاً يدور نوع ثقافتنا غالباً حول التفوق البراق وفقدان التعاون
والتفوق الاجتماعي والمالي! لنرى النتيجة إذن. في البداية وقبل
كل شيء تتشكل الوحدات ويرفض الضعفاء ويحتقر الماكين
الصغار ويحترم الاغنياء ويعجب بهم. واذا استطاع الافراد
المنفصلون ان يكونوا عُصابين فيمكن ان تكون عليه ايضاً

مدارس كاملة . ويقصد حينذاك «بحالة ذهنية» التي توضحها على وجه الخصوص بعض المؤسسات . ولقد جمعت اسرار أليمة لرجال ونساء بالغين لم يتمكنوا من نسيان التحقيرات المشكوك فيها والتي يشعرون بها في هذه المؤسسات وندعوهم من خلال هذا بـ «النفاجين» في حين انهم «عصابيين» .

وبهذا يصبح الفقراء خُدام الاغنياء ، ويقوم الفقراء والذين لم يحصلوا على استحقاقاتهم بخدمة الطلاب الاغنياء والموسورين وهذا ببساطة نوع من التمرد وهكذا ينتشر التفوق المزيف الذي يقدمه المال بطريقة بشعة ويتوغل حينذاك الاطفال في آبار الشعور بالنقص يبطىء ليخرجوا في سن الرشد مليئين بالتعويضات . ويمكن حينذاك ان ينجم عن هذه التعويضات رجل كقاطع طريق كبير وتشير غالباً محاكم الجنايات الى نتائج انعدام الحنان وهذه التحقيرات وتجني ثقافتنا الاجتماعية حينذاك الكراهية التي بذرتها لا اكثر ولا أقل . ان القضاء على الاحتقار يمنح الحنان ويقضي على جرائم عديدة .

وبهذا بعض التربويين العصابيين في المؤسسات من فقر وعوز بعض الاطفال ومن مهن آبائهم ومن خجل الطفل ومن نطقهم ، ويجري كل هذا امام صف يضحك نتيجة لهذه الاستهزاءات !
■ ان هؤلاء التربويين هم بالطبع مرضى ويقوم بعض التربويين

(كما قلت آنفاً) بممارسة الاستمنااء امام الطفل . وهنا يوجد فقدان واضح جداً للذكاء وللحب ولا يكون اهمية لاي تعليق في هذه الحالة .

ان الطفل المحروم والذي يفتقر الى الحنان والثقة في نفسه هي أحد المشاكل الأكثر صعوبة . وتكون هذه مؤلمة جداً في وقتها وفي المستقبل من بعد . ويصبح الطفل المحقر والمحروم على الأرجح شخصاً عُصابياً ويبحث عن تعويضات في القوة وفي الهيمنة التي تخفي ألمه الداخلي . ويصبح بدوره ربماً رب أسرة أو تربوي وتكون آنذاك سلسلة من دون نهاية والتي تكلمت عنها آنفاً .

علم النفس والشعور بالنقص

تظهر مشاعر النقص وكذلك الحاجة للتفوق من خلال آلاف اللمسات البسيطة الدقيقة التي تشكل بدورها لوحة كاملة . وحياتاً يدرك العُصابي فجأة ان رد الفعل هذا غير « حقيقي » . لكنه يرفض هذا الشعور فوراً وخاصة عندما تكون الافعال هي المقصودة والتي تجعله يصدق قوته وكماله . لماذا؟ لانه يخشى من رؤية نفسه كما هي عليه . إذن يحقر نفسه ويكرهها . وحينذاك يلاحظ انه ليس على حق لانه لا يتمكن من عمل اي شيء . وفي هذه الحالة فان اي شخص قد يستطيع ان يبحث عن تعويضات .

وعلى اية حال فان ادراك هذه التعويضات قد ترعب العُصابي ولنفترض انه يقوم بافعال لطيفة ومؤدبة ولائقة وانه معروف بحسن سلوكه ونزاهته «وكذلك بالتضحية في سبيل الآخرين» إذن يصدق نفسه ويعتقد بهذه الصفات التي تخفي له جروحاً عميقة! ويقيم افعاله هذه على انها متماسكة.

ولنفترض الآن انه يدرك فجأة ان هذا التماسك ليس الا «سطحياً»؟ وانه يعرف بشكل واضح وبدون استعداد ان هذه الصفات تخفي مشاعر كبيرة بالنقص ومشاعر العدائية والانانية والضعف والخوف؟ ويتصور نفسه قوي ومطلق وطيب ومحبوب ويجد نفسه فجأة امام حُطام شخصه الذاتي وتنهار كل البنى في هاوية.

ماذا سيحصل له؟ سينهار هذا العُصابي ببساطة وتتحطم آلية الطمأنينة عنده.

❏ ولهذا السبب يكون العُصابي غير قادر على مساعدة نفسه على الاقل في البداية. وينبغي ان يتدخل الطبيب النفسي ويكون العلاج النفسي احياناً مؤلماً لكنه ضروري جداً. ويجد العُصابي نفسه على الصعيد النفسي ومن خلال علم النفس مجرداً ومرتبداً. ويتخلص من بعض الملابس البراقة الغير منجزة باتقان. ويمنحه بعد ذلك علم النفس لباساً مريحاً ومضبوطاً على قياسه ليعطيه فرصة التطور من دون إزعاج أو قلق.

هل يوجد من هؤلاء العصايين ممن يعانون من الشعور بالنقص؟ نعم هناك عشرات الملايين! هذا هو نوع ثقافتنا الذي هو السبب الرئيسي لان هذه الثقافة تبني الحياة على المنافسة على حساب الآخرين وعلى حساب التفوق الفردي الوضع وعلى الهيمنة واللجوء الى القوة الخ. اذن فمن المحتم ان ينتشر هؤلاء العصايون وترافقهم سلسلة طويلة من الآلام وحياة غير موفقة.

س.ج. يونج : السريالية والعودة الى الاصول

لا تكشفوا عن علمكم الكبير الا للخبراء... (جوته)
ان فكرة يونج بسيطة فهي مفتاح علم مساري لكن أيضاً مفتاح للعلاج النفسي المقتدر. ان فهم هذه الفكرة يتطلب شرطاً جائراً: عدم اعتقاد المرء انه مركز العالم! وعدم الاعتقاد ان حياة العرب الانيقة والانارة الكهربائية يبعدنا نفسياً عن اجدادنا البعيدين. نترك الانسان المنهك بغية تناول الانسان - الانساني مع يونج. ويرى الانسان المعاصر نفسه فيه ثانية والمشابه له دوماً. وتتطلب افكار يونج ان نجد ثانية روح عميقة للطفل أو للشخص البدائي. ومن جانب آخر فان العودة الى الاصول البدائية لا تعد انحطاطاً بل انبساطاً مدهشاً. وفي هذه الحالة سيكون كل شيء واضحاً ويكفي ان تترك الامور لتسير، وسوف نرى حينذاك ان اجدادنا ما

يزالون خلف الباب مستعدين للدخول من دون ان يطرقوا! .
ويعرف كل عالم نفسي ان الحلم الصباحي يُظهر اشكالا
للتعبير (صور ورموز) تختلف عن ما هي عليه في الحلم الليلي
ولقد تناولنا هذا فيما سبق والحال ان هذه الرموز للحلم متماثلة
عند الاشخاص مهما كان الاختلاف بسبب اللغة أو التربية أو
البلدان .

صور الانسان

ان بعض الكلمات وبعض الصور تحمل المعنى نفسه
لاشخاص مختلفين لماذا؟ لماذا هذه الصورة وهذه الكلمة هل
ستكون لهما المعنى العميق عينه بالنسبة لشخص صيني كما هو
الحال بالنسبة الى شخص فرنسي مهما كانت ثقافتها
ومستوياتها؟ لماذا تمثل خرافات كل عصر وكل جنس رموزاً
متماثلة؟ الا يكون هناك «مخزناً» ذهنياً جماعياً يحمل الآثار لكل
دماغ انساني عند الولادة؟ ألا يمكننا الذهاب أبعد من ذلك
ونفترض وجود «وسط» ذهني خالص تسبح فيه الافكار الفردية*؟

* ماذا يقول فرويد؟ هذا لا يدهشك الا اذا علمت ان السيدة المسؤولة
عن المنزل تفهم السنسكريتية في الوقت الذي تعرف فيه عن فطنة انها ولدت
في البوهيم ولم تدرس ابداً هذه اللغة . هذا هو تفسير ما ورد .

اللاوعي الجماعي

انه اذن لاوعي سام والذي سيكون عينه لجميع الاشخاص .
لنرصد شخص يكون عنده العقل النقدي مقطوعاً لاي سبب كان
(حلم صباحي ، انفعال ، الهام فني ، رعدة متوسطة ، بعض
جلسات للتحليل النفسي ، الخ) . وسوف نتأكد حينذاك من شيء
مثير ، ويسير كل شيء كما لو ان الاشخاص العصريين يحملون
في دواخلهم الذكريات الانفعالية لاجدادهم البعيدين .

وهكذا فان الشخص العصري يستخدم الصور عينها والرموز
العميقة عينها والتي تبدو نوعاً من الميراث الذهني للانسانية
جميعاً من دون تمييز بسبب الثقافة أو الجنس .

ألا يكون عجيباً ان تتكرر بعض شخصيات الاساطير على وجه
البسيطة باشكال متشابهة؟

ينبغي علينا دراسة الاديان والميثولوجيا والاساطير الشعبية
والفولكلور بغية ايجادها على نقاوتها . لكنني لا اتحدث هنا الا
عن علم النفس العملي . واتناول هذه الرموز اذن بهدف الشفاء .
إذ تعود بنا هذه الى اعماق الانسان ومعانيها العظيمة . وبما ان
حالة الوعي تنسينا هذه فلا تكون حينذاك موجودة بل انها في الظل

في خلفية اللاوعي*

الرموز

سأعرض الرموز بطريقة جافة من اجل ان تكون اكثر وضوحاً. وستوضح بعد ذلك بعضها وسوف يجد كل فرد هذه الرموز في داخله سليمة منذ عشرات القرون.

١- يمكن ان يكون الرمز علامة مادية تشير الى شيء مجرد أو غير موجود.

امثلة: الصولجان، شيء ملموس، سيكون رمزاً للملكية (تجرد). وسيكون المثلث الكامل رمزاً للاله.

وكذلك بالنسبة الى القفاز الذي تم نسيانه في مكان ما رمزاً لشخص غائب الخ.

هل يمكن ان تؤثر هذه الرموز؟ نعم. اذا كانت مثقلة بالانفعال. اذا كان هذا الشخص محبوباً أو مكروهاً سيكون هناك اسناد انفعالي على القفاز المنسي. وسيكتسب هذا القفاز اذن «سلطة» انفعالية. ويفجر حينذاك مشاعراً وانفعالاً. (امثلة تلف

* انظر ثانية الى مثال حلم جان. عاش في حلم الرموز الفعالة (المتعة الجنسية تقريباً) للسيف وللزنبقة. إذن هذه الرموز موجودة في داخله كما هي موجودة في داخل كل واحد منا.

القفاز اذا كان هذا الشخص مكروهاً، استعاضة اذا كان محبوباً .
يكون الرمز بدون انفعال من دون حياة ولا يحمل اية قيمة انسانية .

٢ - يمكن ان يقدم الرمز جزءاً للكل .

مثال : سيكون المخلب رمزاً للأسد .

٣ - يصبح الرمز حقيقة حية تحتفظ بسلطة حقيقية . انه أهمها
جميعاً .

مثال عادي : بالنسبة للبعض يملك القط الاسود سلطة حقيقية
خيرة أو شريرة .

سأتناول فقط الرموز الكبيرة المثقلة بالانفعال وسوف نرى
قدرتها في العلاج النفسي .

كيف يولد الرمز

على الرغم من التقنيات الحديثة استطاع الانسان ان يتخلص
بالكاد من البرد والجوع والخوف . ولقد عوضت الحياة العصرية
مخاوف اجدادنا . لكن هذه المخاوف لم تلغ نهائياً! ويكفي وجود
لاشيء حتى يجسد الانسان نفسه ثانية في هذه المخاوف
القديمة .

ان الحياة هدف الانسان الحي اذن يعنون الانسان انفعاله
الى :

- ١ - الى كل ما يعطي الحياة .
 ٢ - الى كل ما يسمح باستمرار الحياة .
 كذلك يوجد جنسين وكان هناك وفي كل وقت مبدأين مهمين
 في العالم :

١- مبدأ ذكري الذي هو	فعال	مشع	مخصب	نافذ
٢- مبدأ انثوي الذي هو	غير فعال	ممحى	مخصب	مخترق

وهذا منطقي وعلى صورة الرجل والمرأة .
 لتطرق الان الى الرموز الستة المهمة التي تتحكم بالانسانية
 جمعاء .

الرموز الذكورية الرئيسة

- ١- الشمس * (فعالة، مشعة، مخصبة)
 ٢- الأب (الدليل المنير والمشع)
 ٣- النار * (فعالة، مشعة، مرتبطة بالشمس)
 ٤- عضو التناسل الذكري (رمز الخصوبة، فعال، مخصب،
 نافذ)

* تحمل هاتين الكلمتين علامة التأنيث في اللغة العربية على عكس ما
 هو عليه الامر في اللغة الفرنسية، إذ تحملان علامة التذكير.

الرموز الانثوية الرئيسة

- ١- الارض (غير فعالة، مخصبة)
- ٢- الماء (مخصب لكن غير فعال وممحي)

الشمس

لنضع رجلاً متحضرًا خلال الليل في وسط غابة . نشاهد ان لهذا الرجل وبعد بضعة دقائق من المشاعر عينها لرجل يعود الى عشرات آلاف السنين وامام هذه المشاعر البدائية ستبدوله سيارته وجهاز التلفزيون في سخرية عبثية .

يجعل الليل من هذا الرجل وامام نفسه وسط الطبيعة عدائياً وسيكون رد فعله كاجداده : سيخاف . ماذا سيتمنى قبل كل شيء ؟ ان تشرق الشمس . ان شروق الشمس يحد من الرعب في الصباح الحقيقي أو الخيالي . وتنشر الشمس الضوء والحرارة والحياة والطمأنينة والجمال .

لنفترض الآن ان هذا الرجل يفقد تماماً عقلية العصرية ويصبح كالبداثي . ويوم بعد آخر سيرى «معود» الشمس وليلة بعد أخرى ستنزل «الشمس» معلنة خوفه اليومي . ويحل شيئاً فشيئاً الانفعال محل الرؤيا المادية للظاهرة المرتبط بها .

أ - يرى البدائي شروق الشمس ويختفي خوفه الانفعالي .
ب - ثم يقوم البدائي بعمل تقارب بين شروق الشمس و
الحرارة - الضوء - اختفاء الخوف . ويصبح هذا التقارب أكثر فاعلاً
انفعالية .

ج - تصبح الشمس حقيقة حيّة «شخص» يسمح بالضوء -
الحرارة الطمأنينة .

د - تصبح الشمس إلهاً بحيث يصلي لها ويعبدها البدائي .
هـ - بما أن الشمس «تصعد» إلى السماء فإن فكرة الصعود
البسيطة تفجر لدى الإنسان شعوراً من الغبطة والفرح والضوء .

في إيماننا هذه

وهكذا الحال في إيماننا هذه . فإذا لا تعدّ الشمس إلهاً فإنها
تبقى رمزاً انفعالياً لمشاعر الغبطة القوية . يمكن أن يعيش هذه
التجربة كل إنسان في كل يوم .

مثال : لنرى الاجابات على كلمة «صعود»

ها هي الآن الاجابات المقارنة بين الشمس والصعود . انها
اجوبة معطاة من قبل اربع وعشرين شخصاً مختلفين ومنظمين
حسب الشبه فيما بينهم .

الشمس

الضوء - الأمل - الثروة - الكمال
الفضاء - الآلهة - الحياة - الجمال - القوة
المجد - الفردوس - الغبطة - الأب - النار - الحب

الصعود

الضوء - الأمل - الكمال - الفضاء
الآلهة - الحياة - القوة - المجد - الفضاء - الفرح (الغبطة)
الأب الأزلي - الحياة - الجمال - الحب الأزلي

ان مقارنة جواب بجواب غير مُجدٍ . لم أحصل قط على جواب واحد فقط لا يكون متفائلاً أو ايجابياً .

نتأكد إذن ان المشاعر عيناها تظهر باستحضار الشمس والصعود وهذا عند اشخاص مختلفين .

ان هذين الرمزين مرتبطان بما هو مشرق وقوي . انهما مرتبطان بالحب لانه مرتبط بالنقاء وبالكامل وبالله (الموجود في

«الاعلى»).

مثال: لا يأتي على لسان اي شخص القول: «كان ينزل الى الضوء». وسيُصدم كل شخص. لماذا؟ باستفسارنا لدى الاشخاص نحصل على الاجوبة التالية حسب درجة التفكير والذكاء:

- «التزول» الى الضوء؟... هذا لا يحدث «الصعود» الى الضوء.

- لان هذا لا يُقال. الضوء هو الى الاعلى.

- لا اعرف... لكن هذا يزعجني... كما لو كان شيئاً مخطوئاً تماماً... لا اعرف لماذا... يوجد شيء ما في داخلي يقول لي هذا.

- الضوء حسن فيما كان الى الاسفل أو الى الاعلى. لكن «الى الاسفل» لا يؤثر عليّ، في حين ان «الصعود» الى الضوء يعطيني انطباعاً بالمعرفة وبالنقاوة. انه انطباع متعذر تحديده وأفترض ان كل العالم يخطئ بالشعور عينه.

نضع الله، الفردوس، حب الله، الكمال، الخ «الى الاعلى» لماذا لا «الى الاسفل»؟

لقد «صعد» المسيح الى السماء. لماذا لم «ينزل» الى السماء؟ لان السماء الى «الاعلى»؟ لكن لماذا لا «الى الاسفل»؟

تفجر فكرة الصعود دوماً عند الشخص «المتحضر» مشاعر التنقية . لا تختلف مشاعر متسلقي الجبال والطيّارين عن هذه . إذ يمنحهم الصعود شعور بالقوة وهذا أكيد . لكنهم يقولون على الخصوص : «عالياً، نشعر بالنقاء . . .»

ونلاحظ دوماً هذه المشاعر في الفنون وفي جلسات التحليل النفسي . «الصعود» و«الشمس» يمكن ان يؤديا الى مشاعر جنسية عامة وكذلك الى الحب وهذا منطقي الحب مرتبط بالتنقية والتجرد عن الذات .

نفهم إذن ان التحليل الجيد للاحلام يتطلب معرفة باللغة الرمزية وهذا يعني البدائية .

جلسة تحليل نفسي

مطلوب من السيدة (س) ان تقول «كل ما يجول بخاطرهما» بعد تلفظ كلمة شمس . السيدة (س) تبلغ الثلاثين متوازنة جداً وذكية جداً وهي في حالة من الاسترخاء التام وعيناها مغلقتان في ظلام كامل .

... ارى الشمس، عالية في السماء، محاطة بلهب أصفر وشبهة بستاثر من الضوء وتتجه هذه نحوي ببطيء مثلما يحدث في الاحلام . أصعد الى الاعلى في سررائع ولدي انطباع انني فاقدة للوزن . اوه! . . . لكنني اشرح حقيقة بالصعود، انه انطباع

رائع من الاسترخاء . . . أقترّب بهدوء من الشمس التي تكبر أكثر فأكثر. اللهب الذي يحيطها يبدو . . . كما قلت . . . دون شراسة، لدي انطباع انها حسنة وانها تحبني . . . أشعر الآن باللهب وهو يقبلني وارى خلف الشمس حديقة كبيرة مضاعة هادئة جداً مع كواكب من كل الالوان . وفي نهاية الحديقة، هناك باباً مضاعة مع شاب يمسك في يده سيفاً من النار وعندي انطباع انه يتسم لي . . . انه شعور باختفاء الانسانية الشريرة . . . اشعر بانفعال حقيقي . . . لدي شعور انني أدخل الى ازلية من الضوء . . . أرى فجأة ابي . . . ها هو امامي . انه مشع تماماً ويمسك ايضاً سيفاً من الماس . . . ويمدني بمفتاح ذهبي كبير ويشير اليه بالباب المضيئة . . . الذي ارى امامه اشخاصاً يرتدون البياض .

لتسوّف الى هنا . نرى ان تداعي الافكار الحرة هذه مليئة بالصور التي تحدثت عنها واکرر القول ان ثمانين بالمائة من الحالات تتكرر الصور عينها .

تقود كلمة الشمس وبنظام الى : لهب - (صعود) - يُسر (تحرر من الذات) - حديقة منيرة، مع كواكب (صورة فردوس، مع كواكب باشكال هندسية كاملة) - باب مضيئة - شاب مع سيف من النار (يذكر برئيس الملائكة في الدين) - كما لو ان انسانيتي السيئة

تختفي (تنقية) - سرمدية الضوء (الله) - والدها (سوف نرى لماذا)
- والدها مشرق - سيف من الماس (سيف = قوة، ماس = ثروة،
وهي هنا ثروة روحية) - مفتاح ذهبي (الذي سيسمح لها بفتح باب
النقاوة) - شخصيات ترتدي البياض (كمال، تنقية، ملائكة).
ان جميع صور هذا الحلم موجودة في الاساطير الانسانية
وعلى الدوام. ومن المثير جداً ان نعثر على هذه الصور خلال
جلسات التحليل النفسي والتي يكونها اشخاص مختلفون كلياً.

رمز مهم جداً: الأب

لقد رأينا فيما سبق كيف ان الفكرة تظهر في :

أ - الاجابات على كلمة «شمس».

ب - الاجابات على كلمة صعود.

ج - الحلم الذي شاهدته السيدة (س) انطلاقاً من كلمة

«شمس» ونعرف القول: «يمثل والدي بالنسبة لي شمساً»...

كالشمس، والدي قوي ومشع. يقودني والدي كالشمس ويضيء

لي الطريق كما يمنحني الطمأنينة».

انه لشيء مهم: الشمس هي الاب وهو الاخير بطل بالنسبة

للطفل. ان الاب عبارة عن كيان مقتدر وعظيم. ومن جانب آخر

فان الاطفال يفخرون بابائهم، الخ. وبالنسبة للطفل يكون للاب

صفات تفوق قدرة البشر وموضع اعجاب شديد.

والحال ان الطفل لا يضع والده موضع الاعجاب لكنه يصنعه للاب بشكل عام! ويمثل الاب بالنسبة للطفل رمزاً حتى قبل ان يكون على هذا والده. ويفرض الطفل بشكل لا واعٍ ان يتوافق والده مع الرمز وتكون عنده القوة والمجد والعصمة من الخطأ والاشعاع. اذن يكون الدور العملي بالنسبة للأب صعب.

لانه ينبغي عليه ان يتوافق مع النظرة الرمزية للطفل. انه دور صعب، اذا لم يتوافق والده (لاي سبب كان) مع الرمز ويظهر لدى الطفل تناقض (يمكن ان يؤدي الى فقدان التوازن النفسي).

حالات: مهنة الاب غير مرموقة، الاب ضعيف، الاب مهين جداً، الاب غير متعلم، الاب غير محبوب، الاب فقير، الخ. ان كل هذه الحالات الشائعة تجعل من الفكرة التي يكونها الطفل عن الاب بشكل عام عظيمة ومتفجرة وقوية وتتحطم هذه الفكرة امام ما هو عليه والده.

وبالتأكيد يمكن ان يصحح هذا. انها مسألة فطنة وذكاء وعلى الخصوص مسألة توازن.

حالات أخرى: بدأ المراهق بكراهية والده لان هذا الاخير سقط مريضاً. وتتفجر هذه الكراهية زغماً عنه ويعاني المراهق من مشاعر ندم كبيرة. ويقول ان «والده نزل عن المكانة الرمزية

المثالية». ينبغي ان يقول هنا ايضاً ان والده لا يتوافق مع رمزه الداخلي .

بما ان دور الاب رمزي وعملي في الوقت عينه لذا يكون هذا الدور أصعب الادوار. ومن الخطير ان تتم الرؤية عبر رمز قوي . وليس هناك قط من أب إله في العالم حتى اذا كان كذلك في عين طفله . ان كل أب انسان وليس إلا انسان وينبغي ان يتوجه ذكائه لما يعتبره طفله كرجل وكصديق وليس باله شمس .

النار

لقد كانت النار دوماً أداة لعبادة حقيقية . وفي ايامنا هذه ترتبط النار على وجه الخصوص بمشاعر الحب . نقول (دون ان نفكر فيما نقول) . احترق من الوجد وقلبي مشتعل . . . الخ لماذا نمثل الحب المطلق (القلب الاقدس مثلاً) بشعلة مضيئة في مكان القلب؟ لماذا يُعلن عن الالعب الاولمبية براكض يحمل شعلة؟ وفي نصب الجندي المجهول هناك شعلة ايضاً . وفي كل سنة نحرك الشعلة «للمجهول» لماذا نوقد الشموع في عيد الميلاد . لماذا نوقد شمعة امام تمثال معين؟

اذا قال شاب لخطيبته «قلبي مشتعل بالنار» فيمر هذا الكلام

بالتأكيد كالرسالة عبر البريد . لماذا؟
ها هي الاجابات الشائعة بشكل عام على كلمة نار ومن قبل
مائة شخص .

نار

ضياء، ضوء، حب، تنقية، حياة، شمس
الله، طاقة، فكر، مجد، قوة، الخ

اذن يلتقي المعنى الصميمي للنار مع معنى الشمس أو
الصعود . واذا استعرضنا ثانية الاجوبة السابقة سنكتشف ان هناك
اجوبة مشتركة مثل : الضوء، الحب، المجد، الله، التنقية . .
ماذا نقول بعد؟

وفي اللغات القديمة كانت كلمة النار مرادف للحياة وللضوء
وللحب وللحيوية وللقوة (مقارنة مع الاجوبة الحديثة) !
ويعرف المحللين النفسانيين مثلاً كيف ان فكرة النار مرتبطة
بالحب (يكفي ان نفكر بالصور الدينية وفي السنة الثار «النازلة»
على الرسل) الخ .

اذا اثارت النار الحب فهذا يعني انها يمكن ان تثير الجنس

بشكل عام أو بشكل خاص . لتخيل المعاناة «لبعض المتصوفة
أو الانعكاسات الذاتية للمحبين الملهمين»!

ألا يكون كل هذا تسلية ممتعة اذا لم يعيش الإنسان على هذه
الرموز والحال ان ما يحدث هو العكس! فضلاً عن ذلك اذا
نجمت هذه الرموز عن انفعالات لا واعية فيمكن ان تنفجر هذه
بدورها .

انها حالة لمحات بعض الرسامين «الملهمين» الذين لا يفعلون
غالباً الا على العثور على هذه الرموز الكبرى الموجودة في
دواخلهم .

إذن هناك فئتين من الاشخاص : هم الذين يعيشون على
الرموز الكونية لكنهم يجهلون على الرغم من ان هذه الرموز
تحتكمهم .

والذين يعرفونها يعيشون في اعماق اعماقهم ويكونون قادرين
على استخدامها لمساعدة وفهم الآخرين وهؤلاء هم المطلعين .

النار ابنة الشمس

تبعث النار كالشمس بالحرارة وبالضوء وتزيل الخوف وعند
القدماء كانت النار تدعى : الاب ، والنار الارضية : الابن .

وكانت هناك مراسيم عديدة وعلى الاخص تلك المتعلقة
بالانقلاب الشتوي (وهو في ٢٥ كانون الاول) ويمجد الطقس في

هذه المناسبة ميلاد الطفل - النار.

وَأَسْتَمَرَّت الدِّينَاةُ الْمَسِيحِيَّةُ عَلَى هَذَا التَّقْلِيدِ الرَّائِعِ . وَبِمَا أَنَّ الْمَسِيحِيِّينَ لَا يَعْرِفُونَ تَارِيخَ مِيلَادِ الْمَسِيحِ بِالضَّبْطِ لَذَا اسْتَمَرُّوا عَلَى مَرَاسِيمِ مِيلَادِ الْوَلَدِ - النَّارِ . وَحُدِّدَ (٢٥) كَانُونِ الْوَلَدِ تَارِيخاً لِمِيلَادِ الْمَسِيحِ . وَكَانَ الْمَسِيحِيُّونَ يَشْعَلُونَ نِيرَاناً كَبِيرَةً احْتِفَالاً بِهَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ وَتَذَكُّرًا بِهَذِهِ شَمْعِ عِيدِ الْمِيلَادِ الْجَمِيلَةِ . وَبِدَلَالَةٍ مِنْ أَنَّ يَعُودُ بِالْإِنْسَانَ كُلِّ هَذَا إِلَى شَيْءٍ بَسِيطٍ ، نَرَى أَنَّهُ يَذْكُرُهُ وَعَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ بِالْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ وَيَكُلُّ الْإِنْسَانَ الَّذِينَ عَاشُوا وَيَعِيشُونَ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ :

عضو التناسل الذكري (دليل الخصوبة والحياة)

لَقَدْ تَعَلَّقَ الْإِنْسَانُ الْعَادِي وَعَلَى الدَّوَامِ بِالْحَيَاةِ . إِذِنْ كَانَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يَتَوَلَّى بِكُلِّ مَا يُعْطَى الْحَيَاةَ وَكُلِّ مَا يَتَوَلَّى بِاسْتِمْرَارِهَا . وَإِذَا اجْتَنَبْنَا مَا يُسَمَّحُ بِالْحَيَاةِ وَاسْتِمْرَارِهَا (الشَّمْسُ مَثَلًا) وَبَشَكْلٍ فَطَرِي ، فَاتَّانَا نَبْحَثُ عَنِ الرَّمْزِ الْمَادِيِّ الَّذِي يُمَثِّلُ الْحَيَاةَ نَفْسَهَا .

وَالْحَالُ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ حَيَاةٌ بَدُونِ عَضْوِ التَّنَاسُلِ الذَّكَرِيِّ . وَتَسْتَنْدُ كُلُّ الْحَيَاةِ إِلَى هَذَا الْعَضْوِ الَّذِي أَصْبَحَ مَبْدَأَ

ذكوري عام . وسوف نفهم بسهولة ان عبادة كونية استطاعت ان تتوطد بشكل مساوٍ لما هو الحال بالنسبة للشمس أو النار . وكان عضو التناسل الذكري بالنسبة للبدايين يمثل الحياة بفضل العملية الجنسية ونفهم جيداً ان هذه العملية تمثل هنا الحياة نفسها بطريقة سليمة تماماً وصافية وغريزية وطبيعية . ان عمل عضو التناسل الذكري لهو فعل خلاق ، انه المبدأ الذكوري الفعال المؤثر النافذ والمخضب .

وقد ساهمت الانحرافات العبثية المتوارثة في تقليص وتلوث معناه . ونفهم : في عصرنا تسبب كلمة «الجنس» البسيطة في احمرار وجوه الناس ! عند البدائيين كان الجنس فعلاً مقدساً معشوقاً لانه يمثل الحياة !

ها هي من جانب آخر بعض الاجابات على عضو التناسل الذكري اعطيت من قبل اشخاص عصابيين اولاً أو من قبل ذوو نشاط جنسي زائف .

عضو التناسل الذكري

الجنس هذا يزعجني خطيئة انه عبث لكنه يخجلني رجل ، .. وانا اكره الرجال متعة - ظلمة - ينبغي علينا ان نتعلم كيفية التحدث عن هذا بشكل سليم . اتصور ذلك كما لو كان شيئاً محرماً لكنني ادركت ان الترية الجنسية غير صحيحة .

ثانياً من قبل اشخاص متوازنين بشكل سليم .
عضو التناسل الذكري

الحياة، الخليفة، استمرار الحياة - القوة
الخصب، الحب، الكمال، عمود، شجرة

وأقول ثانية ان العملية الجنسية تعني رمزياً فعلاً مقدساً . وهذا ما هو سار في يومنا هذا . وعند بعض الاقوام السليمة للغاية يكون العمل الجنسي عاملاً احياناً ويعتبر طقس حياتي ويتزاوج بعض القرويين على الارض وقت البذر (رمز الخصب) . وهذا ليس الا مثلاً إذ حظي عضو التناسل الذكري على عبادة كونية .
كيف كانت (وكيف هي الان في الاحلام وفي الفنون) تصورات عضو التناسل الذكري ؟ كل ما هو قوي وايجابي ومتصّب وعمودي .

مثال : اشجار (انظر الى الجواب على الشجرة) عمود، رماح (تصور الرقصات حيث تغرس الرماح رمزياً في حُفر في الارض) . سيف (انظر ثانية الى حلم جان) . مقطع العربة (انظر من بعد ذلك) ، الخ .

لقد حظي عضو التناسل الذكري بتصورات معمارية عديدة

سواء أكانت بصيغة حقيقية أو بصيغة متمنمة .
لم يعد الجنس أداة عامة في الشعائر لكنه بقي رمزاً متأصلاً
فينا . ان الجنس الحقيقي مرتبط فقط بالحياة نفسها بل بكل ما
يجعله روحياً وليس من لا شيء إذ ان اساس العديد من
العُصابات سببه نشاط جنسي غير صحيح .

الارض

ما هي التعابير الأكثر انتشاراً والمتعلقة بهذا الرمز الشائع؟
الارض المغذية - الارض الامومية - الارض الام .
فضلاً عن ذلك ، الارض : مخصبة - سلبية - تعطي ثماراً
ومما يلفت الانتباه ان الربط الفكري بين الارض والمرأة
موجود منذ الازمنة البعيدة! تعد الارض رمزاً انثوياً ومخصبة
للفتاة . ويقال واحشاء الارض حتى من دون تصور ما تعنيه
مقارنتها مع امرأة .
وفي العالم أجمع وفي كل الاوقات تذكرنا خصوبة الارض
بالمرأة الثور الولود . وقد عملت الميثولوجيا الكونية من السماء
ومن الارض زوجان الهيان .
وبالنتيجة : تخصب السماء الارض بواسطة المطر والارض
المخصبة تسبب الوفرة . وتَقَارَنُ نصوص هندوسية الزوج بالسماء

والزوجة بالارض وتعتقد بعض الاقوام ان الارض هي «بطن امومية» حيث يخرج الرجال .

ان امثلة الاعتقاد في الارض الام يمكن ان تذكر الى مالا نهاية . أليس هذا مدهشاً .

ويغية ان تكون الارض مخصبة ينبغي ان تكون محروثة . إذ يمكن ان تتصور ما يمكن ان تتضمنه الحراثة والخصوبة . وهذا ما حدث في اساطير عديدة وفي الطقوس .

اذا كانت الارض كالمرأة المخصبة فان الادوات المخصصة لتخصيبها ينبغي ان تصبح رموزاً لعضو التناسل الذكري ؟ وهذا بالضبط ما حدث ومحراث العربى هو أحد رموز عضو التناسل الذكري الاكثر شيوعاً .

لقد مثلت بعض العربيات في الآداب صيغة عضو التناسل الذكري ووجد الشاعر بودلير لنفسه رمزاً ابدياً إذ وصف قبلات العشيقة بعملية حفر الاخاديد بواسطة المحراث .

وفي بعض اللغات تعني نفس الكلمة : معزقة (اداة تقلب بها الارض) وقضيب . وتقارن العديد من الاساطير الزوجة الشابة بخط المحراث المفتوح بواسطة سكة المحراث ويصور الهنود خط المحراث بالمرأة . وهناك العديد من البدائين الذين «يخصبون» الارض ويرمون الجرّز التي تمثل الاعضاء التناسلية

الذكرية في خطوط المحراث الخ .
ونعرف كذلك طقس لطيف عند الاستراليين : إذ يرقصون
حول حفرة في الارض تمثل العضو الانثوي ويزرعون من ثم
أعواداً (رموزاً لعضو التناسل الذكري) .

ان رمز الارض - الام المخصبة والوفيرة هو ذو منطق صارم وذو
جمالية كبيرة . ويبقى هذا الرمز من خلال قوته وسرمديته هو ايضاً
في داخل كل واحد منا ليظهر ثانية على السطح تحت ظروف
مختلفة كما هو الحال بالنسبة الى الرموز الاخرى .

قال لي اجنبي :

- ارغب في ان أدفن في ارض وطني .

- لماذا؟

- ... لا اعرف . . . لدي انطباع انني سأجد أمة ثانية وسأنام

فيها الى الأبد .

هذه بعض التصورات لكلمات تم الحصول عليها من

جلسات علم النفس ومن حوالي مائة شخص .

الارض

الثروة - الخصب - الوفرة - الطمأنينة - الموضع
الام - الامومة - المخصبة - المرأة - البكر - سلبية

الماء

ان الماء رمز انفعالي قوي مهيم منذ ملايين السنين . ويبدو
الماء شائعاً في الاحلام الليلية وفي الادب والشعر والرسم
والاغاني الخ . وها هي اجابات لتصورات عامة معطاة من قبل
مائة وخمسون شخصاً على الماء وسوف نرى انه لم يتغير اي
شيء .

الماء

يغطي - خصب - وفرة - قمح - هدوء
تنصير - ماما - يرويني - الى الابد - نقاء
شباب دائم - تجدد

أسرد هذه الاجابات حسب الرموز:

١ - رمز الخصب: خصوبة، وفرة، قمح .

٢ - رمز الانوثة: ماما، غطاء، هدوء .

٣ - رمز التنقية : نقاء ، تنصير

٤ - رمز التجدد: السرمدية - الارتواء الى الابد، التجدد.
والحقيقة ان الماء جمع دوماً هذه الرموز عند جميع شعوب
الارض . ويكفي القليل من الحدس لفهمه .

الماء رمز الخصب والانوثة

تعطي المرأة المخصبة طفلاً كالارض المخصبة بالماء والتي
تعطي الغزارة ، وهذا يحدث من تلقاء نفسه . ومن جانب آخر
نتذكر ان السماء والارض يشكلان زوجاً إلهياً . فمن الطبيعي اذن
ان يكون الماء (المطر) الذي تبعثه السماء معبوداً كالاله الذي
يمنع عقم الارض - الام ومن بين عشرات آلاف الشعوب عشق
الروس إلهاً كان في الوقت نفسه الام والارض والرطوبة . ونعرف
المنهل الموجود في اكسفورد الذي يشفي العقيمت . وهناك
العديد من الينابيع التي يمكن ان تتحقق عندها الامنيات .

يقال في الادب : «الماء الامومي» يغلفه . «يشعرانه في
الماء ، كغاطس في ذراعي أم» . وهناك العديد من الأشعار
والاساطير التي تتحدث عن الماء كاله أو كأم . يتحدث الصينيون
عن الماء كنموذج للحكمة ، أليس هونقياً ومتواضعاً ويتلائم
بانسجام مع كافة الاشكال؟ كم هو عدد الاغنيات التي لم تكرر
الى البحر والى الانهار والينابيع والمناهل الخ؟

ويكفي ان نتصور نهر السين ! انه «محب» «يسجع» «امراة»
«زوجة» انه «يحتضن» باريس وهو «نزوي» و«متزين» . تنضم هذه
الاغنيات الرمزية الكبرى للماء وهذه الرمزية العميقة تؤشر الغريزة
المتوارثة لكل واحد وتعمل على نجاحها .

ومن جانب آخر، يمكن أن يكون الماء رمزاً للخصب
وللولادة . نذكر هنا بعض المعطيات المأخوذة عن ميركيا إيليا
(تاريخ الاديان) : في السومري كان الماء يعني ايضاً «المني»
و«الحمل» و«الجيل» . وفي ايامنا هذه وعند البدائيين يختلط الماء
(في الخرافة) مع البذر الرجولي (المني) . وفي جزيرة فاكوتا تذكر
خرافة كيف ان فتاة شابة فقدت بكارتها لانها سمحت للمطر بان
يلامس جسمها .

سوف نرى بعد بضعة أسطر حتماً لفتاة شابة ١٩٥٨ (تتناول
هذه الخرافة بالضبط) .

ان العلاقة بين خصب الارض وخصب المرأة هي اذن قوية
جداً ومنطقية تماماً .

الماء رمز التجدد والتقية

لقد حفلت الاساطير العالمية بصورة «الرجل المسن» الغاطس
في الماء حيث يغطس ويخرج ثانية مكتسباً جسداً جديداً . هذه
هي صورة التعميد ورمزه . ماذا تقول التقاليد؟ لقد ولد الكون في

الماء وقبل ان يخرج من المياه كان بدون شكل ولم يكن اساساً
موجوداً. ويعني الغطس عودة الى العدم أما الطقوفي يعني الولادة
الثانية والتجدد والنقاء .

وعلى الارض يمثل الطوفان (الموجود في العديد من
الاساطير) المعنى نفسه : العودة الى العدم لانسانية قديمة وميلاد
عصر جديد . وسيغطس كل الابطال في البحر وتحوي الرحلات
الجهنمية على معبررافد أورحلة تحت المحيط وغالباً ما تكون في
بطن وحش .

ويكون مكان الموت غالباً في قارب وعلى ممرمائي . وتنقل
العديد من القوارب ارواح الموتى الخ .

واخيراً يخرج الموتى من الماء متصيرين ومتجددين .
ومن ثم حكاية مناهل الفتوة والمناهل العجيبة والينابيع والانهار
المقدسة والابار الطقسية الموجودة في عصرنا (وانهاروروافد
فرنسا ذائعة الصيت في هذا المجال وعديدة جداً) . وفي منطقة
الكونواي يغطس الاطفال المرضى في آبار القديس مانديرون .
وفضلاً عن ذلك كانت التنقية بواسطة الماء موجودة منذ الازل
ويقول إيزي شيل : سأذرع عليكم ماء نقياً وستصبحون انقياء . . .
والتعميد والغسل وخر الماء هي علامات حية دوماً .
والماء هو حقاً أحد الرموز الرائعة الموجودة في العالم .

استخدام الرموز في العلاج النفسي
هل بإمكاننا استخدام الرموز لتفجير الانفعالات؟ انفعالات
مضطربة مُشفية؟ اذا كانت الصورة الرمزية هي تعبير عن مشاعر،
ألا يمكننا ان نستخدم صورة لتقودنا الى هذا الشعور؟ ألا يمكننا
استعمالها لنصيغ ايحاء عميقاً؟
وهكذا نصل الى مرحلة جديدة من العلاج النفسي . انها
مرحلة ممتعة للغاية . ويمكن ان يكون لها فاعلية «عجيبة» حقاً
سواء بالنسبة الى التحليل النفسي أم بالنسبة الى الشفاء .

الحلم اليقظ

منذ حوالي عشرين عاماً شهد روبرت دوسي تحت اشراف ي .
كازالانت سياق «حلم متيقظ» ولقد دهش لغزارة ولقوة الصور
الحاضرة الى ذهن «الحالم» وبدأ دوسي فوراً بأبحاث ووضح
طريقة جديدة اضافت الكثير الى علم النفس .
ماذا تستخدم اذن هذه الطريقة؟

- ١ - الرمز لتحليل المرض .
- ٢ - القوة الديناميكية للرموز للتأثير على المريض .
- ٣ - تفعل بحيث ان الرمز يصبح حقيقة حية ومؤثرة (كما هو
بالنسبة الى البدائيين) .

شروط هذه التنقية :

بما ان المراد هو الحصول أو العثور على الجوهر الرمزي فينبغي ان يكون المريض مقطوعاً عن «ذهنه النقدي» لأقصى حد ممكن . إذن يكون الاسترخاء العضلي والجسمي أساسياً . ويمكن ان تستخدم تقنيات عديدة بهذا الصدد . وعلى اية حال سيكون المريض معزولاً وعلى قدر الامكان عن العالم الخارجي (ارتخاء وظلمة وعينين مغمضتين الخ) .

ومن ثم يمرر الشخص (تدريبياً) من حالة الوعي الطبيعي الى حالة أخرى : حالة حيث يمكن ان تتحرك فيها التفاعلية الرمزية . ويبقى بالطبع الشخص واعياً . ويتمثل الحلم اليقظ بشكل عام في «حوار رمزي» موجه . ويلعب عالم النفس من جانب آخر دور الواخز والمحلل : ومن جهة أخرى تكون المادة مزودة وبوفرة من قبل الشخص المريض . وعلى سبيل المثال ، ها هي ثلاث مقاطع قصيرة جداً من جلسات الحلم اليقظ .

- ١ -

جانين امرأة شابة يبلغ عمرها ثلاثون عاماً ومسترجلة وهي مدرسة لمادة الرياضيات ولا تعرف الكلمة الاولى للرمزية . يشير هذا المقطع تماماً الى ان اللاوعي الرمزي لا يهزأ بشغف من

«العقل الحسابي ١٩٥٨». وأكرر القول ان هذه «التنقية» العقل النقدي» - ينبغي ان يكون ملغياً على أعلى الدرجات والحالات الأكثر عبثية كما ينبغي ان يكون في امكانها الحضور من دون ان يصطدم المريض (كما يحدث في الحلم الليلي تماماً).

... أشعر انني أصبح ببطيء نحو شاطئ وكان هناك شيخاً مبتسماً يدولي لطيفاً جداً واستقبلني وقادني الى صخرة حيث ينبع ماء صافٍ جداً. ودفعني الشيخ الى هذا ينبوع من الماء وشعرت... بنقاء... عدت الى الوراء وخرجت من الماء... ولاحظت انني حامل... وهذا شيء يقززني كما انني لا ارجب بطفل. ومسكني الشيخ من ذراعي واغطس رأسي في الماء الذي سبحت فيه... وقال لي: «لا تخافي»... ونظر الى بطني مبتسماً وقال لي: «هذا حسن». انني حامل وبدأت بالغناء... وفي مكان الصخرة. أرى الآن شاباً ينفث الماء من فمه. يمكن ان يكون هذا الحلم اليقظ مذهشاً.

لنعود الى رمزية الماء ونتأكد من التشابه العجيب مع الاساطير القديمة للخصب بواسطة الماء.

ويمكن ان تحلم آلاف النساء ومنذ ملايين السنين بالطريقة عينها التي حلمت بها جانين.

لنأخذ هذا الجزء من «الحلم اليقظ».

- ١ - يستقبل جانين شيخ ميسم (حكمة، عفو، معرفة).
 - ٢ - جانين مدفوعة الى ينبوع الماء على الصخرة. وتحظى جانين باحساس النقاء.
 - ٣ - لاحظت جانين نفسها حاملاً. ها نحن الآن في صدد الرمزية للماء المخصب.
 - ٤ - تشعر بالاشمئزاز من نفسها. هذا طبيعي لانها ترفض دورها كامرأة. وازاء حملها للاشياء يعني هذا انها تشعر بانها غير «نقية».
 - ٥ - يغطسها الشيخ في الماء (غطس = موت) يتبعه طفو تجدد ونقاء. تتوافق اقوال الشيخ مع رمز «التعميد».
 - ٦ - ما زالت جانين حامل. غير هذا «النقاء» وجهة نظرها وبدأت تغني.
 - ٧ - يظهر في مكان الصخرة شاب. ينفث هذا الشاب الماء من فمه.
- وهذا لمرة أخرى رمز الماء المخصب، إذ تأتي الخصوبة من الرجل وتوافق عليها جانين.

ماذا حدث بعد ذلك؟ لقد اندهشت جانين كثيراً بحقيقة قبولها (في الحلم وفي خلال الايام التالية) بدور المرأة وبالمخصب الذي نشأ عنه. ولقد أفاد العلاج النفسي من الاحساس العميق الذي

اعطاه هذا «الحلم اليقظ» واستمر العلاج على اساس قوة الرموز.
وتحررت بسرعة جانين من عقدها وقبلت بدور المرأة. وهي
الان متزوجة وانثوية تماماً.

- ٢ -

الشخص المعني هنا مهندس واعزب ويبلغ من العمر اربعون
عاماً. وبعد تقنيات الاسترخاء، دُعِيَ هذا الشخص لكي يقول
الشيء الاول الذي يراه أو يشعر به وسوف نرى ان «العقلاني» لا
يستمر طويلاً هنا ايضاً.

١ - أشعر انني مضطجع . ومنطوياً كديك البندقية . ومن جانب
آخر فان هذا الوضع هو الوحيد الذي يعطيني احساساً
بالنعاس . . . ان صورة البيضة التي أجد نفسي فيها تحضر الى
ذهني . . . وهذا شعور قوي جداً بحيث انني أشعر انني بداخل
البيضة . . . في طمأنينة . ومع ذلك يبلغ عمري اربعون عاماً .
أشعر بارتياح فيها .

هنا يطلب منه ان يقول باي شيء يُقارن هذه البيضة، ولا يتأخر
جوابه .

٢ - بجنين (يشبه البيضة بجنين) . هل انني خائف جداً من
الحياة ومن مسؤولياتها؟ اشعر باستمرار تجاه العمال . . . وينبغي
عليّ ان اوجه لهم الاوامر . . . انه لشيء رائع هذا الشعور وهذه

الصورة لاختفائي كما لو انني لم أولد بعد .
وهنا يطلب منه الخروج من هذه «اليضة» بطريقة مهما
كانت .

٣ - ، ، ، ، استرخي بغضب مفاجيء . . . تحطم كل شيء
و . . . أشعر انني طاف فوق الماء على مساحة شاسعة منه مع
شمس قوية صفراء جداً في القعر ويبدو كل شيء في صمت
مخيف . لدي شعور غريب بالانتظار .
يطلب منه ان يعوم .

٤ - . . . أشعر انني أعوم ببطيء ، بقوة ، سأتوجه الى شاطئ
وفجأة تتوقف حركتي ويعيقني مسلك يبدو أنه خرج من الماء
وصعد الى السماء الى مالا نهاية . ان هذا الدرب لمشع والسماء
مظلمة . أشعر انه يتوجب علي ان أسلك هذا الدرب اذا رغبت في
تغيير . . .

ما هي الرموز التي نجدها؟

١ - صورة محددة للتعلق بأمه وبالعودة الى أمه . يقول هو
نفسه : أشعر انني كالجنين (ضمنياً : في بطن أمه) .

وتسبب هذه الطفالة عنده من جانب آخر شعور بالنقص وخوف
من المسؤوليات وتجاه انثوي وعزوبة وخوف من النساء وعدم
امكانية ترك والدته والزواج مع تمرد ضد هذه الحالات من

الاشياء . (نلاحظ هنا انه في جلسة اخرى سيرى شيئاً مفزِعاً
ويكشف الوجه القاسي لأمه).

٢ - شروحات شخصية لحالته .

٣ - رمز جميل ومألوف . ونفكر هنا في التقاليد : لقد تشكل
العالم في الماء . اذن هناك صورة لميلاد شخصي جديد ، «ميلاد
جديد لحياة جديدة» ويقول هو نفسه «لدي انطباع لنوع من
الانتظار» .

ان رمز الماء متكرر في الحلم اليقظ : لان الكثير من الناس
يرغبون «التغيير» - «الولادة الثانية» - «التقية» ومن الطبيعي اذن ان
يعود كل هذا الى رمز الماء .

٤ - يصل الى طريق «صاعد» . ويقول «أشعر انه ينبغي عليّ
ان أسلك هذا الدرب اذا اردت ان اتغير» .

وهنا عندنا رمز الصعود - التقية ، التحرر من الذات (من جانب
آخر يكون الدرب مشعاً - مضيئاً) .

بأي شيء يكون الحلم المتيقظ ممتعاً؟

لنقارنه مع التحليل النفسي التقليدي . يستند التحليل النفسي
الى حد ما الى فهم الشخص . ويستند الى فهم عقده من اجل
تصحيح طبعه . إلا اننا نعرف ان كل عمل انساني متسبب قبل كل
شيء عن انفعال أو شعور وان هذا ليس له علاقة مع الذكاء أو

العقل . ان الذكاء شيء جوهري لفهم النفس لكن هذا لا يكفي .
وهنا يكمل الحلم اليقظ بشكل حسن جداً التحليل النفسي .
لماذا؟ لانه يعمل مباشرة في اللاوعي . كيف؟ باستخدام اللغة
عينها وهذا يعني عن طريق الصور والرموز! هناك شيء ملحوظ
يجب تسجيله في احلام اليقظة وهو الهدوء الذي تسببه بسرعة .
وأحد نتائجه الأكثر شيوعاً : اختفاء الارق . ومن جانب آخر يظهر
شعور بالتححرر اى اذا؟ لان المريض يشعر انه يتصرف ويعيش
حلمه حقيقة . ان العمل الناجح في الحلم اليقظ له ارتدادات
فورية على السلوك الخارجي .

- ٣ -

هنا ايضاً مقطع قصير من حلم يقظ أدته ايثون وهي امرأة شابة
تبلغ من العمر ثلاثون عاماً ومتزوجة . تعاني من شعور كبير
بالنقص وبالذنب وهذا مرتبط بعقدة اوديب* . باردة جنسياً لكن
زوجها متفهم حالتها .

وكنقطة بداية اقترحنا عليها ان تشعر كما لو انها في بيتها في
وضع عائلي :

* انظر الى «التحليل النفسي» و«عقدة اوديب» في الفهرست

١- ... أشعر انني في بيتي ... انني أقرأ .

- ماذا تقرأين؟

٢ - اوه ... كتاب عن القديس توماس داكأن . أحب قبل كل شيء الاشياء الروحية ... ارغب في ان أكون روحاً نقية ... ليس هناك اي تعليق أو سؤال من قبل المحلل النفسي . اقتراح جديد تشعر انها في منزلها :

٣ - ... انني في الحالة نفسها ، أقرأ . يقوم زوجي باجراء بعض الحسابات : وتلعب ابنتنا بالقرب منه ، ويبدو كل شيء هادئاً كالمعتاد .

- انهضي ، وليكن لديك احساس بالتوجه نحو باب يطل على الخارج .

٤ - ... اتوجه الى باب يطل على الحديقة ، أفتحه وأخرج ، ليس هناك من حديقة ... أجد نفسي امام سهل يغمره ضوء القمر الى مالا نهاية .

٥ - أعود ببطء ، انني خائفة ... اختفى منزلي ، كل شيء يتركني . يمتد السهل على مد البصر ... لدي انطباع بالوحدة القاتلة . هل هذه أنا؟
- ليكن لديك انطباع بالتقدم نحو هذا السهل .

٦ - ... انا ... لا أجروؤ . ارغب في التعلق بشيء ما ... أبحث عن زوجي ، أو عن شخص ما ... كلا ، لا أجروؤ على

التقدم ، ارغب في ان يظهر منزلي ثانية .

- ليكن في يدك سيفاً وتقدمي .

٧ - نعم . . . عندي سيفاً . أشعر انني أقوى ، أتقدم . ويظهر أمامي فجأة حاجزاً مغلقاً وكبيراً . وخلقي هناك حشد كبير من الناس ينظر إلي . . . انني مرفوضة من قبل هؤلاء الناس الذين يرغبون باعاقتي عن العبور . . . لدي رغبة في الهرب . . . انا . . .

- فكري في سيفك .

٨ - أفتح الحاجز ، انني خائفة لكنني أتقدم ببطء . لدي انطباع ان هؤلاء الناس أقل تهديداً مما كنت اعتقده . ها أنا ارمي بسيفي !

وأستمر ويبتسم الناس إلي . لدي شعور بالهدوء في جسمي . هنا أقترح عليها ان تجد طريقة «للصعود» .

٩ - أخرج من الحشد . لا أرى شيئاً الا السهل . . . أشعر انني واثقة من نفسي اكثر . وعلى مسافة قريبة ارى شيئاً مضيقاً وبدأ يتوضح . . . انه سُلّم . . . مجدني أو من الكريستال ، لا أعلم . . . وتسلك هذا الى السماء كالسهم ويوجه لي نداءاً للسعادة . . . لا استطيع ان أنظر اليه كههدف . . . اعتقد ان الكشف عن نفسي هو الى الاعلى ، وارى منزلي في القمة وينبغي علي ان أصل اليه بنفسني . لكن بصورة أخرى .

الى ماذا يشير هذا المقطع؟

٢ - «أرغب بالحصول على نفس نقية»: يشير هذا الارتداد الى ان روحيتها تعويض عن الشعور بالنقص.

٥- شعور بالهجر، مرتبط ايضاً بالشعور بالذنب.

٦- مشاعر الخوف. السيف، مصدر راحة وقوة ويزيل هذا الخوف.

٧ - الحاجز والحشد. شعور جديد بانها مرفوضة.

٨ - تتقدم. ترمي بسيفها بشكل عفوي وتعاني من الشعور بالتححرر.

٩ - تجيب «على الصعود» بواسطة رمز السلم. وفي كافة الاوقات، يشير السلم الى «تغيير في المستوى» ورمزياً يسمح بالانتقال من ما هو مادي الى ما هو روحي. وفي ايماننا هذه يرمز السلم بشكل عام الى هذا التغيير في المستوى: يصعد ملك «درجات العرش» الذي يؤشر الانتقال من المادي (الشعب) الى الروحي (الملكية). وكذلك يصعد الكاهن درجات المذبح التي ترمز الى الانتقال من المادي (الارض) الى الروحي (الله) الخ.

ويصعد هذا السلم تشعر ايقون انها «ستغير مستواها» يعني ان تصبح غير ما هي عليه. ومن الجدير بالملاحظة انها تعاني من المشاعر عينها التي كان يعاني منها المهندس كما ذكرنا آنفاً.

لماذا حلَّ السلم ببساطة محل الدرب الصاعد الى الفضاء .
كان قد صرح هو ايضاً . أشعر انه ينبغي عليّ ان أسلك هذا
الدرب اذا رغبت في التغيير.

النتائج الاضافية المكتسبة بواسطة طريقة الحلم المتيقظ

- ١ - تغييرات في العادات - هذا طبيعي بما ان العادات تأمرها
الانفعالية اللاواعية . فضلاً عن هذا ، يفرض الكبت والعقد
النفسية عدة عادات داخلية تظهر على السلوك الخارجي .
- ٢ - نمو الشخصية من جميع النواحي . يجد الشخص ثانياً
متابعه الغريزية ويتعلم العيش في اتحاد منسجم معها . (وهذا هو
تماماً عكس العقد النفسية) . ان هذه الطريقة توفق بين الشعور
واللاشعور وتحد من القلق المتسبب عن التمزق بين اتجاهات
مختلفة .
- ٣ - اكتساب كفاءات جديدة مثل الانتباه والتركيز والوضوح .
- ٤ - تطور كبير للحدس وللخيال البناء .
- ٥ - معرفة بالقوة البديهية للانفعالية وتطبيقها في الحياة
العملية .
- ٦ - زيادة الرغبة في العمل . ان لهذه الطريقة قيمة تربوية غير
قابلة للنقاش عند الكبار والمراهقين على السواء .

تلخيص:

يتسبب كل رمز عن شعور انساني وعن انفعال عميق . ويستطيع كل رمز انفعالي بدوره تحفيز الشعور والفعل . وتشير التجارب النفسية (والفنية) جيداً كيف ان الرموز الكبيرة تعيش دوماً في اللاوعي لكل واحد منا . إلا انهم اذا عاشوا هذه الرموز . فانهم يفعلون . وتقطع «الحياة العصرية» الانسان عن طبيعته الكاملة ، ومن هنا ، يعتقد رجل المدينة ان الرموز ممتة حيث اصبحت هذه تسليات بسيطة للذهن . لا شيء أكثر زيفاً . . . اصبحت الرجل الحديث أكثر حزناً . لتنظر اليه مع سيارته القوية والمترو واجهزة التلفزيون والسينما بالالوان والبنائيات الخ . وعلى الرغم من كل هذا ، يكفي غالباً ان تفجر اغنية بسيطة انفعالاته ودموعه . قوة الرجل الحديث ! عن ماذا يحزن هذا الرجل ؟ عن دوره الكامل كرجل مع رغبة جامحة ليجد انسانيته ثانية . . . وها هو تحت ظروف معينة إذ يطفو كل شيء على السطح : انفعالات ازاء الطبيعة ، انفعالات «غير قابلة للشرح» عند سماع اغنية ساذجة ، احلام ليلية تطول فترة تأثيرها ، احلام والهامات . . . انفعالات «مضحكة» عند قراءة حكاية خرافية أو أسطورة قديمة . . .

إلا ان هذه الخرافات مليئة بالرموز الكونية . ولهذا السبب يتم تناقلها بسهولة عبر القرون في حين ان الاعمال الفنية «المتقنة» اختفت الى الأبد . . . والفضل يعود الى علم النفس المعمق

الذي اتاح الفرصة للانسان ليجد في نفسه ثانية الجنة المفقودة
والتوافق المنسجم مع العالم! . . .

تحليل اللاوعي عن طريق التخدير ومصل الحقيقة

ان تحليل اللاوعي هو ما يشبه مقولة «الحقيقة في الخمر» على
الطريقة الحديثة . انه التحليل النفسي المتحقق تحت أثر
التخدير (التخدير= التنويم عن طريق وسائل كيمياوية بينما
التنويم المغناطيسي= تنويم بواسطة وسائل الطبيعة) .
يتطلب علم النفس المعمق بالطبع الوصول الى اللاوعي
والدماغ اللاوعي هذا بالظهور وذلك للتحليل والانسجام مع
الحياة الواعية .

ينصب التحليل عن طريق التخدير على اعداد هذه العملية
بواسطة الطرق الكيماوية :

- أ- تحقق هذه العملية بسرعة حالة قريبة جداً من النوم .
- ب - تترك هذه الطريقة الشخص قادراً على الاتصال مع العالم
الخارجي .

وتحمل هذه الطريقة اسماء أخرى : ازالة العقد النفسية
بالتحليل النفسي (انظر الى هذا التعبير في «التحليل النفسي» ،

التحليل النفسي الكيمياوي ، التشخيص عن طريق التخدير
والتركيب عن طريق التخدير).

ما هي الادوية المستخدمة؟

غالباً ما تكون من المنومات البريتورية ذات المفعول السريع
(بونتول رنيسدونال ، افيان ، ناركونومال ، سيكونال ، الخ) .
وكذلك اعداد وريدي الى ان تظهر علامات ما قبل النوم .
وفي علم النفس لا يكون وخز الابرة اذن الا إعداداً للمريض .
و«ترفع» هذه الابرة وتسمح للطبيب النفسي للبدء في العملية .
وهذه العملية الفنية مستلهمة بصورة كبيرة من التحليل النفسي .
وفي الواقع . فان التحليل النفسي عن طريق التخدير طريقة
سريعة جداً للوصول الى حالة مثالية للعمل النفسي .
أ- تقود الى السطح المعطيات الموجودة والمغمورة في
المنسيات (ذكريات الطفولة ، الوسط العائلي ، الكبت الخ) .
ب- تسمح من بعد ذلك في تجميع الظروف الداخلية
وتنسيقها .

نقد لهذه الطريقة :

إذا كان الصراع الداخلي ليس في العمق تماماً وليس قديماً ،
فان طريقة التحليل عن طريق التخدير بالمواد الكيمياوية تشهد

نجاحاً مذهلاً . ولقد شاهدنا هذا خلال الحرب حيث ساعدت
ويسرعة على الحد من الصدمات الانفعالية التي كان يعاني منها
المقاتلون .

واذا كان الصراع عميقاً وإذا كان هذا الصراع عُصاباً له أثره منذ
زمن طويل فيمكن ان يكون هذا عقبة مهمة . ان تحليل اللاوعي
عن طريق التخدير يوشك ان يكون له علامات وليس فقط على
الطبقات العميقة (كالتنويم المغناطيسي) وعلى اية حال فانها
يمكن ان تكون فنية جداً وممتعة جداً تسمح بالتقصي ويسرعة عن
الاسباب الحقيقية للمرض النفسي .

مصل الحقيقة والشرطة :

هل نستطيع تطبيق تحليل اللاوعي عن طريق التخدير على
مجرم؟

هل يمكننا استخدامه لمعرفة «القعر النفسي» للموقوف؟
والسؤال بالطبع خطير جداً ويمكن ان يكون له ارتدادات كبيرة .
انها مشكلة حرية الفكر التي تقع في شباك اللعبة! وتعدد الآراء
كما تم التطرق ايضاً الى ممارسة التحليل النفسي عن طريق
التخدير في الطب الشرعي .

■ **تجاه المجرم:** ان معرفة الظروف المحيطة (تربية، وسط عائلي، تحقيق، شعور بالنقص، كبت) توضح بشكل أفضل بالطبع فعل المجرم ويسمح التحليل النفسي اذن بمعرفة نقاط الانطلاق النفسية للجاني. ويفضل هذه الطريقة، يمكن ان نجد متغيرات غامضة لا يسمح المنطق ابدأ باكتشافها. وبالنسبة للجاني يوضح تحليل اللاوعي عن طريق التخدير فعلة. ولا يعني التوضيح التبرئة. لكن الشرح الكامل للفعل الاجرامي يفهم غالباً اننا ازاء حالة مريض عقلي. وضمن هذا الاتجاه يساعد البتول على تحديد درجة المسؤولية الجزائية. ولا ننسى ان بين المسؤولية التامة وعدم المسؤولية الكلية هناك سلسلة من عدم الشعور بالمسؤولية الجزئي. وفي هذه الحالات، يسمح احياناً استخدام علم النفس المعمق «بترويض» المجرم.

■ **تجاه الشرطة -** «ألا نتخوف (يقول البروفسور بيدليش) عندما نفتح الباب قليلاً - لانه ليس هناك إلا الخطوة الاولى التي تكلف - يكون لدينا ميل اكثر فاكثرتطبيق أثر مادة البتول؟ وينبغي ان تبقى العدالة في فرنسا صافية وترفض كل طرق العنف التي لا تزال نمارسها وعلى الاقل في بداية التحقيقات البوليسية.

ويدافع المذنب عن نفسه كما يُسمع: ويكون ذهنه متحرراً. ولا يمكن ان يمسك به أحد ويدافع عن نفسه كما هو: ذكي أم غبي،

محتال أو صريح . ولا يؤدي القسم ويمكن ان يكذب وتقع على عاتق القضاة مهمة تقييم ذلك في ضمايرهم المتحررة اضافة الى قدراتهم الانسانية امام قدرات الآخرين . .

ويندمج هنا اذن التحليل عن طريق التخدير مع اختراق للضمير. لكن التحليل النفسي واحد منها ايضاً بما انه يبحث عن الدوافع الحقيقية! واذا ذهبنا الى أبعد من هذا يمكن اعتبار ان اية ثقة هي بمثابة خرق للضمير وكل شيء يستند إذن الى شيء واحد: قبول الشخص ورضاه.

ملخص

ليس هناك اية مشكلة اذا كان الشخص مقتنعاً باللجوء الى الوسائل المستخدمة والى الهدف المتبع انها بالطبع الحالة التي نستخدمها في تحليل اللاوعي عن طريق التخدير في العلاج النفسي الذي يهدف الى الشفاء فقط.

وفي الطب الشرعي فان تطبيق تحليل اللاوعي عن طريق التخدير يستند اذن الى ظروف عديدة. فمن جانب آخر يسمح بتبرئة من هو مشكوك فيه. ومن جانب آخر يمكن ان نخلط بين قاطع طريق والكذاب!

هل ان هذا الوغد جُر في الكذب، نعم أو لا؟ هل نستطيع ان نجبره على قول الحقيقة ضد إرادته؟ ونلاقي مشكلة حرية

الضمير. ونذكر هنا قضية نورومبورغ، إذ رفض رودلف هيس تحليل اللاوعي عن طريق التخدير. ولقد أخذ رفضه بنظر الاعتبار وكذلك حرته في الدفاع عن نفسه كما يريد.

العلاج النفسي الجماعي

لقد تطرقنا لحد الآن الى العلاج النفسي «للاشخاص» وهذا يعني العلاج الممارس على شخص واحد. وعلى أية حال، فإن هذه الطريقة تمثل احياناً جانباً سلبياً: لا يتوصل الشخص الى تقدير انه غير منقطع ابداً عن الانسانية ويعتقد عن يقين ان حالته هي الوحيدة ولا يوجد اي شخص يُعاني من مشكلة كما يعاني هو منها ويكلمة واحدة يستمر هذا الشخص في الشعور بانه خارج عن المجتمع وهذا (ما يعتقد) يكن له العداء.

ومن الممتع حينذاك تجميع عدد معين من الاشخاص. وسيكون كل شخص على الأرجح قد فحص على انفراد. لماذا؟ من اجل ان يكون للمجموعة تجانس معين في نوع المرض وان يستطيع كل شخص ان يجد نفسه في الآخر.

كيف تجري الجلسات الجماعية؟ ان الهدف الاول هو ايقاف فكرة الانعزال الاجتماعي وستكون الجلسة اذن مبنية على لقاء يشارك فيه كل الاشخاص الموجودين. يشير الطب النفسي

النقاشات ويمكن ان تقرأ «تقارير» بعض الاشخاص الموجودين وقد تكون هذه التقارير باسماء مستعارة أولاً . وبالطبع لا تكون كذلك على الأرجح ويمكن ان يتبع هذه التقارير عروض اخرى تتبعها مناقشة عامة تكون ممتعة جداً . ان دور الطبيب النفسي ينصب على التحفيز ضمن إطار البحث لتبادل وجهات النظر والتزود بالشروحات . ويمكن ان يكون لهذه الجلسات اساساً في التحليل النفسي .

لقد تطور العلاج النفسي الجماعي مؤخراً في امريكا وفي انكلترا وبخاصة في اوقات الحروب .

الفهرست

٣	ميسير والتنويم المغناطيسي
٨	التنويم المغناطيسي والايحاء
١٠	التنويم المغناطيسي - بوابة اللاواعي
١٣	كيف يتجسد النوم المغناطيسي
١٥	كيف يجب النظر الى النوم المغناطيسي؟
١٧	لنأخذ هذا المثال البسيط : الاستكمالي
١٨	شاركو ومستشفى دولا سالبيريير
١٩	برنهام أو اعلان الحرب
٢٠	بابنكسي ، الرجل الذي يستتج
٢١	الايحاء الانفعالي
٢٢	ما هو الايحاء؟
	ما المقصود بالايحاءية أو الاستعداد
٢٣	الايحاءية؟
٢٥	شروط الايحاء
٢٧	ما المقصود بالفكر المتسلطة
٣٣	أميل كويه والمباراة الداخلية
٥٣	كلب مصاب بالعصاب

٥٩	بيير جانيه (١٨٥٩-١٩٤٧)
	الانسان العادي والانسان الشاذ كما
٦١	يراهما جانيه
	النقاط الاساسية لمفهوم جانيه في
٦٦	علم النفس
٦٩	الافعال المنهكة
٧٠	مستهلكو الطاقة او الاشخاص المنهكين
٧٣	المتسلط البحث
٧٨	الغيورون
٨١	الغيرة لدى الاطفال
٨٣	الغيرة الاسقاطية
٨٦	التفان المتسلط
١٠٦	مثال شائع
١٠٩	التداعي الحر
	ما هي شروط التداعي الحر
	سيجموند فرويد (١٨٥٦-١٩٣٩) الباحث عن
١١٧	اللاشعور

الفهرست

١١٩	مصطلحات التحليل النفسي
١٢٢	اللاشعور
١٢٣	الذكريات
١٢٤	العادات
١٢٧	الهو والههي اللاشعورية
١٣٠	الانا
١٣٢	الرقابة
١٣٤	الانا العليا
١٣١	الكبت
١٣٩	التربية والكبت
١٤٠	عودة الى الكبت
١٤٣	العقدة النفسية
١٤٤	كيف تتكون العقدة النفسية؟
١٤٧	كيف تتجلى الاشباح اللاشعورية؟
١٤٨	الحلم
١٤٩	حلم بيير
١٥٣	أين نحن في هذا الصدد؟

١٥٤	السخط الشجاع
	تعرف الانفعال
١٥٧	الغريزة الجنسية
	ماذا لو مارس الطفل العادة السرية
١٥٨	أو الاستمءاء
١٦٠	عقدة الخصي
١٦١	حالة الصبي جان (٩ سنوات)
١٦٢	ما الذي قد يحصل لجان؟
١٦٦	عقدة أوديب
١٦٩	شواهد أطفال
١٧٣	النشاط الجنسي
١٨٠	إذا كان الاب متسلطاً ودكتاتورياً
١٨٢	عقدة أوديب الحقيقية
١٨٠	مرحلة البلوغ
١٨٧	عقدة أوديب والمعاناة
١٩١	عقدة ديان
١٩٦	عقدة قاتين
١٩٨	العلاج الخاص بالتحليل النفسي

الفهرست

٢٠١	ان القوة مركزة على الضعف
٢٠٢	الشعور بالنقص
	متى يصبح الشعور بالنقص حالة مرضية؟
٢٠٣	ما هو الحل الشائع
٢٠٥	بغية فهم الامور بشكل أفضل
٢٠٩	العُصاب وتعويضاته
٢١٢	تعقيدات العُصاب
٢١٢	رياضة السيارات والعُصاب
٢١٤	التربية والشعور بالنقص
٢١٨	فقدان الحنان
٢١٩	هل يسبب الحرمان الشعور بالنقص؟
٢٢٠	بعض الحالات الاخرى
٢٢٢	النساء والشعور بالنقص
٢٢٥	من هو المتفوق؟
٢٢٦	الوسط العائلي والشعور بالنقص
٢٢٧	الوسط المدرسي
٢٢٩	علم النفس والشعور بالنقص

٢٣١	س.ج يونج : السريالية والعودة الى الاصول
٢٣٢	صور الانسان
٢٣٣	اللاوعي الجماعي
٢٣٤	الرموز
٢٣٥	كيف يولد الرمز
٢٣٧	الشمس
٢٣٨	في أيامنا هذه
٢٤١	جلسة تحليل نفسي
٢٤٣	رمز مهم جداً : الاب
٢٤٥	النار
٢٤٧	النار ابنه الشمس
	عضو التناسل الذكري
٢٤٨	(دليل الخصوبة والحياة)
٢٥١	الارض
٢٥٥	الماء رمز الخصب والانوثة
٢٥٦	الماء رمز التجدد والتنقية
٢٥٨	الحلم اليقظ
٢٥٩	شروط هذه التنقية

٢٦٣	ما هي الرموز التي نجدها
	النتائج الاضافية المكتسبة بواسطة
٢٦٩	طريقة الحلم المتيقظ
٢٧٠	تلخيص
	تحليل اللاوعي عن طريق
٢٧١	التخدير ومصل الحقيقة
٢٧٢	ما هي الادوية المستخدمة؟
٢٧٢	تقد لهذه الطريقة
٢٧٣	مصل الحقيقة والشرطة .
٢٧٦	العلاج النفسي الجماعي



أصدق الحديث كلام الله وخير الهدى محمد ﷺ

في صحبة النبي ﷺ وصحابته الأبرار

أكبر موسوعة شاملة للأحاديث النبوية
أربعين ألف حديث صحيح

المسند

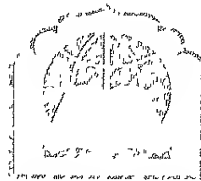
لشيخ الإسلام الإمام أحمد بن حنبل
شرحه وخرجه أحاديثه وعلق عليها
أحمد محمد شاكر

يصدر تباعاً وكل ١٥ يوم عدد جديد بسعر تشجيعى
العدد بـ ١٥٠ قرش فقط في مكتبة التراث الإسلامى ومع باعة الصحف

Bibliotheca Alexandrina



0364058



مكتبة التراث الإسلامى

٢٩١١٢٩٧ ٢٩٢٥١٧٧ ٢٩١٢٩٧

كتاب لا غنى عنه لمن يريد أن يتعلم أحكام دينه

To: www.al-mostafa.com